

السيد سعيد الأعرجي

خطوات الشيطان

دار النشر الإسلامية



مكتبة مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لروح إيمانه .
(الإمام الصادق ع)

moamenquraish.blogspot.com

خطوات الشيطان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

دار الرشيد للأدب والفنون

طباعة - نشر - توزيع

حارة حريك - شارع القسيس - خلف البلدية - ص.ب.: ١١/٨٦٠١ بيروت - لبنان

هاتف : ٠٣/٨١٤٢٩٤ - تليفاكس : ٠١/٥٤١٩٣٠ - E-mail: dar_alrasool@hotmail.com

خطوات الشيطان

تأليف السيد سعيد الأعرجي

دار النشر: دار السلام



الفهرس

١٣	المقدمة
١٣	(١) خطوات الشيطان:
١٤	(٢) أهمية البحث:
١٥	(٣) هدف البحث:
١٦	(٤) اشكالية البحث:
١٧	(٥) الاسئلة الاصلية والفرعية او فروض و منهجية البحث
١٨	(٦) سابقة البحث:
١٩	(٧) اسلوب التحقيق:
٢٠	(٨) تعريف المصطلحات:
٢١	توضيح بعض المصطلحات
٢٥	الخلاصة

٢٩	الفصل الأول: بحوث تمهيدية
٣١	أولاً: الشيطان
٣٣	ثانياً: ابليس
٣٥	ثالثاً: الجن:
٣٦	رابعاً: النار:
٣٧	خامساً: الانس:
٣٩	الفصل الثاني: الخلق والماهية
٤١	أولاً: خلق الشيطان
٤٨	ثانياً: خلق الجن
٦٢	ثالثاً: الفرق بين الشيطان و الجن
٦٤	رابعاً: أسماء الشيطان
٦٦	خامساً: الشيطان أداة اختبار
٥٨	سادساً: معنى التلبس والغرور
٧١	الفصل الثالث: خطوات الشيطان
٧٣	معنى خطوات الشيطان وتعريفها
٧٣	(١) تعريفها:
٧٣	خطوات لغة واصطلاحاً:

- ٢) ما ورد في تفسير خطوات الشيطان ٧٥
- ٣) عمل الشيطان: ٧٨
- ٤) سياسة الشيطان: ٨١
- ٥) كيف يتعامل الشيطان مع الإنسان؟ ٨٣
- ٦) مراحل تأثير الشيطان على النفس الإنسانية ٨٦
- المرحلة الاولى: الوسوسة ٨٦
- مشكلة الوسوسة: ٨٨
- علاج الوسوسة: ٩١
- الوسوسة العملية: ٩٤
- حذار من الموسوسين: ٩٨
- المرحلة الثانية: (النزغ) ٩٩
- الاستعاذة ١٠١
- فما معنى الإستعاذة؟ ١٠١
- المرحلة الثالثة: مرحلة تتبع خطوات الشيطان أو تلقي الاوامر الشيطانية: ١٠٣
- المرحلة الرابعة: مرحلة إطاعة الشيطان وتنفيذ أوامره: ١٠٤
- المرحلة الخامسة: مرحلة التسلط و السلطان ١١٠
- المرحلة السادسة: بلوغ مرحلة ولاية الشيطان ١١٣
- ٧) اتباع الهوى ١٢١
- ٨) براءة الشيطان من اتباعه ١٢٧

- ٩) مدى تسلط الشيطان على الإنسان ١٣٢
- ١٠) حث الشيطان لترك اقامة دولة الإسلام والرضا بحكم الكافرين . ١٣٣
- الإسلام دين الدولة: ١٣٣
- ١١) حث الشيطان لترك اقامة الحدود الالهية ١٣٦
- ١٢) الغاية من عرض القرآن لأساليب الشَّيْطَان الرِّياء ١٥٠
- وهذا الامر يتحقق في عدة مقامات: ١٥١
- المقام الأوّل: ١٥١
- المقام الثاني: ١٥١
- المقام الثالث: ١٥١
- الحالة الاولى: - ١٥٥
- الحالة الثانية: - ١٥٥
- الحالة الثالثة: - ١٥٥
- الحالة الرَّابِعة: - ١٥٥
- الحالة الخامسة: - ١٥٦
- فما هذا التزيين؟ ١٥٧

١٦١ الفصل الرابع: الإنسان الكامل والشيطان

- ١- آدم و الشَّيْطَان ١٦٣
- ٢- الأنبياء و الشَّيْطَان ١٧١
- ٣- ملازمة الشيطان للإنسان ١٧٨

- ٤- الإنسان مسؤول عن أعماله ١٨٠
- ٥- الشيطان في الميدان الاجتماعي ١٩٣
- ٦- بين الارتباط الواقعي والارتباط التجريدي ١٩٨
- نسيان الله: ٢٠١
- الإثم الباطني: ٢٠٨
- أهمية الأعمال الباطنية: ٢١٠
- أقسام القلوب: ٢١٦
- أولاً: القلب السليم: ٢١٦
- ثانياً: القلب الميت: ٢١٩
- ثالثاً: القلب المريض ٢٢٥
- أسباب وعلاج مرض القلب: ٢٣٢
- أولاً: - حب الدنيا: ٢٣٢
- ثانياً: ارتكاب المعاصي والذنوب ٢٣٤
- ثالثاً: الخروج عن استقامة الفطرة ٢٣٥
- من نماذج للإثم الباطني: ٢٣٧
- (١) العزم على المعصية: ٢٣٧
- (٢) الرضا بالذنوب: - ٢٣٧
- (٣) كره المؤمنين: ٢٣٩
- كيف نتعامل مع مرضى القلوب! ٢٤٤

٢٤٩ الفصل الخامس: دفع و مبارزة الشيطان

- ١- الاستعاذة ٢٥١
- الركن الأوّل: الاستعاذة: ٢٥٢
- الركن الثاني: في المستعاذ به ٢٥٦
- الركن الثالث: المستعيذ ٢٥٩
- الركن الرابع: المستعاذ منه ٢٦٢
- الركن الخامس: فيما يستعاذ لاجله: ٢٦٦
- ٢- ذكر الله ٢٧١
- ٣- تقوية الارادة ٢٧٨
- ٤- جهاد النفس ٢٨٢
- الجهاد في اللغة والاصطلاح: ٢٨٢
- النفس في اللغة والاصطلاح: ٢٨٣

٢٨٩ الفصل السادس: مآثور الحديث والشيطان

- ١- ماذا قال رسول الله ٩ عن الشيطان ٢٩١
- ٢- الشّيطان كما ورد ذكره في نهج البلاغة ٢٩٦
- اول معصية للشيطان: - ٣٠٥
- الحكمة في خلق الشياطين ٣١٥
- ٣- الشّيطان كما ورد ذكره في الصحيفة السجادية ٣١٧
- ٤- ماذا قال الإمام الصادق ٧ عن الشيطان ٣٣٢

٥- حديث العلماء عن الشيطان ٣٤٣

١- الشيخ الصدوق: (المتوفى ٣٨١ هـ ق) ٣٤٣

٢- المحقق محسن الكاشاني: (المتوفى ١٠٩١ هـ ق) ٣٤٥

تليس إبليس ٣٥٠

مداخل الشيطان إلى القلب ٣٥١

٣- الشيخ محمد باقر المجلسي: (المتوفى ١١١١ هـ ق) ٣٦١

٤- الشيخ محمد مهدي التراقي (المتوفى ١٢٠٩ هـ ق): ٣٦٥

تسويلات الشيطان ووساوسه ٣٦٧

علاج الوسواس ٣٧٠

ما يتم به علاج الوسواس ٣٧٣

٥- سيد قطب: ٣٧٦

٦- ابراهيم محمد الجمل: ٣٨٦

هرب الشيطان من الاذان ٣٩٠

الفصل السابع: الأبواب السابقة ومحصلة الكتاب ٣٩٣

ثمرة البحث ٣٩٥

(١) ينبغي الابتعاد عن الاهتمام كثيراً بالمظاهر وعلينا الزهد في هذه الحياة

القصيرة الفانية: ٣٩٦

(٢) أن يكون الإنسان من المُخْلِصين ٣٩٩

(٣) ينبغي أن يكون الإنسان عبداً مخلصاً رشيداً لله ولا يغوي ٤٠١

- ٤) يجب عدم اتباع ابليس في ظنه: ٤٠٤
- ٥) ينبغي عدم اتباع الشيطان في خطواته: ٤٠٥
- ٦) ينبغي الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم..... ٤٠٦
- ٧) الايمان بالله واليوم الآخر وعدم الرياء ٤٠٧
- ٨) هجران ما يريد الشيطان من اعمال:..... ٤٠٩
- ٩) ذكر الله سبحانه وعدم نسيانه: ٤١٠
- ١٠) التوكل على الله: ٤١٤
- ١١) الاقتصاد وعدم البخل أو الاسراف والتبذير: ٤١٨
- ١٢) الوقوف بوجه مراحل التأثير الشيطاني ٤٢٣
- دعاء ٤٢٧
- الخاتمة ٤٢٩
- مصادر الكتاب..... ٤٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

(١) خطوات الشيطان:

هذا البحث الذي بين أيدينا يتحدث عن الشيطان وخطواته - لغة واصطلاحاً فقد قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»^(١).

حيث يجري الحديث في هذا البحث عن خطوات الشيطان وطرقه وآثاره وآثامه واساليبه و وساوسه وكل ما يؤدي إلى معاصي الله سبحانه، كما أنه يستعرض الشواهد القرآنية والحديثية إلى هذه الخطوات، ومتعلقاتها وظروفها وبعد تشخيص الداء «الشيطان وخطواته» نستعرض كيف الدواء والاستشفاء مما

ورد في القرآن الكريم في العشرات من الآيات وكذلك مما ورد على لسان الرسول الأعظم ﷺ وسيرته العطرة وكذلك مما جاء في أخبار أهل البيت عليهم السلام في نهج البلاغة و الصحيفة السجادية وغيرهما وكذلك سيرة السلف الصالح من العلماء.

(٢) أهمية البحث:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(١).

إنَّ بحث خطوات الشيطان من البحوث الحساسة والمهمة في حياة الإنسان كما أنه يعد من البحوث الساذجة والمهملة في الكتب القديمة حيث تجيب على أسئلة ليست ذات أهمية في حياة الفرد المسلم ولا تنفعه تلك المنفعة لذا وجدت نفسي لزاماً أن ألقت الانظار إلى هذا الخطر المحدق والذي لا ينفك لحظة واحدة عن الإنسان ويجري منه مجرى الدم في العروق ويدب فيه دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء.

إذاً علينا ان نعرف عدواً خطراً مستتراً كي نقي أنفسنا وأهلينا وأعزاءنا منه، ان نحذّر الجميع وإيانا منه وان عدواً خفياً لأشدّ ضراوة من عدو سافر للعيان فمن أراد مرضاة الله ودخول الجنة ومرافقة الابرار وصُحبة الانبياء والاطهار عليه أن يعرف الشيطان كي يحذره ويتجنبه ولا يطيعه ولا يخطو خطواته.

(٣) هدف البحث:

إنَّ هدف هذا البحث هو التعرف على الشيطان كيف نشخصه؟
 من هو الشيطان؟ ما هو دور الشيطان في حياة الإنسان؟ كيف يؤثر
 عليه؟ كيف يخرج من عز الطاعة إلى ذل المعصية؟ هل ان الجنة بمعنى الطاعة
 والنار بمعنى المعصية أم لا؟ كيف كان الشيطان يتعامل مع الانبياء والاولياء؟
 الحديث عن الجن باعتبار أنَّ الشيطان كان من الجن.
 وبعد التعرف على ذلك:
 تنتقل إلى الحذر فالوقاية خير من العلاج.
 كيف نحذر الشيطان؟
 كيف نتمرد عليه ونعصيه ولا نطيعه في شيء؟
 ثم إذا وقعنا في طاعته وفي المعصية كيف نتخلص منه ومنها كيف نعالج
 ذلك.

كيف لا يصيبنا القنوط.
 ويهمني أن يكون البحث كتاباً متناولاً ومتداولاً تتناقله الاكف والأيدي
 وبرنامجاً عملياً يومياً ينتفع به كل أحد مهما كان مستواه الثقافي والعلمي. وان
 أحرص أن يكون سهلاً سلساً ميسوراً
 لان تكون رسالة ماجستير على الرفوف يقع عليها التراب
 ولا ينتفع بها إلا النزر الاقل من القليل.
 فهي مفردة من مفردات القرآن في تفسيره قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا

الْقُرْءَانُ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ۖ (١).

٤) اشكالية البحث:

لقد فتشت منذ زمن فما وجدت بحثاً كاملاً وشاملاً ومبلوراً عن الشيطان وحيث ان مصادر هذا البحث نجدها مبنوثة في بطون الكتب القديمة علماً ان اكثر من مائة آية قد تحدثت عن الشيطان وخطواته فضلاً عما جاء في احاديث الرسول الأعظم ﷺ وفي نهج البلاغة و الصحيفة السجادية واحاديث أهل البيت عليه السلام وكذلك في التفسير الروائي وما جاء على لسان الانبياء عليهم افضل الصلاة والسلام.

ان الحصول على مصادر هذا البحث ليس امراً هيناً ميسوراً بالرغم من اهميته وخطورته و ليس بعيداً ان الشيطان يغفل اعداءه لتسليط الاضواء عليه وتحذير الناس من مغبة طاعته وقد نهانا الله سبحانه عن ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ (٤).

١ - سورة الانعام، ١٩.

٢ - فاطر، ٦.

٣ - البقرة، ٢٠٨.

٤ - البقرة، ٢٦٨.

وقال تعالى: ﴿...وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾^(١)
 وقال تعالى: ﴿...وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا
 مُّبِينًا﴾^(٢).

إلى آخره من عشرات الايات التي تتحدث عن الشيطان وكيده ومكره
 وخطواته.

٥) الاسئلة الاصلية والفرعية او فروض و منهجية البحث

ينبغي ان تكون فروض البحث ومنهجه من خلال ما عرضه القرآن الكريم
 في عشرات الآيات وكذلك ماجاء في السنة النبوية الشريفة وفي نهج البلاغة و
 غيرها وان يعكس البحث في فهرسته ماييلي:
 خطوات الشيطان. مامعنى خطوات الشيطان لغة واصطلاحاً.

خلق الشيطان

الشيطان من هو؟ الجن، من هو الجن؟

كيف يتعامل الشيطان مع الإنسان؟

هل ان الإنسان هو المسؤول عن اعماله أم الشيطان؟

هل ان الشيطان اداة اختبار أم لا؟

كيف يتبرأ الشيطان من اتباعه؟

كيف يتعامل الشيطان مع الانبياء؟

كيف تعامل الشيطان مع آدم ﷺ؟
 ما هي مراحل تأثير الشيطان على الإنسان؟
 ما هي الاهداف التي ارادها القرآن الكريم في عرضه لاساليب الشيطان؟
 ما هو دور الشيطان على الصعيد الشخصي والفردى؟
 ما هو دور الشيطان في الميدان الاجتماعى؟

(٦) سابقة البحث:

منذ سنوات طوال كانت تدور في خلدي أسئلة كثيرة حول الشيطان وخطواته وخلقه، وأساليبه ولماذا خلقه الله؟ وكيف أستطاع ان يُخرج آدم ﷺ وزوجه من الجنة؟ ولو لم يكن الشيطان قد خُلِقَ فماذا حصل؟ وهكذا...
 وحينما أبحث أجد أن هذا العنوان مهمل وليست هناك مؤلفات بارزة تعالج هذه البحوث وتجيب على هذه الاسئلة، سيما اسئلة الشباب وباسلوبهم السلس السهل فعزمت ان أخوض الغمار ولكن بتردد لعاملين.
 الأول: بلاء الشيطان حيث كنت أتوقع ان يضع لي عقبات كثيرة ومشاكل مثيرة ولكنى كنت أقنع نفسى وأردد قوله تعالى: ﴿.. إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (١).

الثانى: كان سؤال يتردد أيضاً على ذهني وهو:
 هل غفل فطاحل العلماء واساتذه الفكر عن هذا البحث لرأب الصدع

الخطير ومواجه العدو الشرس كي أطرقه أنا؟ وإذا كان كذلك فلماذا تركوه جانباً؟
 وشاء الله سبحانه ان أتصدى لالقاء محاضرات يومية في مسجد
 السبطين عليه السلام في جنوب العاصمة طهران من بعد صلاتي المغرب والعشاء منذ تسع
 سنوات تقريباً فكنت ولمدة شهرين أتحدث عن الشيطان لعنه الله وما جاء ذكره
 في القرآن الكريم حتى تبلور الموضوع بشكل جيد فطلبوا مني أن أطبعه كتاباً
 منفرداً لكي ينتفع به المؤمنون وفعلت ذلك حيث طبع في بيروت منذ أربع سنوات
 ثم في قم طبعه أخرى منذ ثلاث سنوات ولكنه كان مختصراً.

بعد ان عرضته على بعض العلماء والاساتذذ ذوي الاختصاص فأبدوا
 ملاحظاتهم واظهروا استحسانهم له فطبعته تحت عنوان (الشيطان، اساليبه، آثاره)
 وتم التعريف عليه في حينها من خلال صحيفة الجهاد ومجلة آفاق الحضارة
 الإسلامية - العدد (١٢) صفحة (٤٦٢) من عام ١٣٨٢ هـ.ش.

(معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية) التابعة إلى وزارة العلوم في
 الجمهورية الإسلامية.

كما ان نفس المجلة (آفاق الحضارة الإسلامية) - العدد (١٥) فروردين
 ١٣٨٤ هـ ش نشرت بحثاً تحت عنوان (خطوات الشيطان) ٣٣ صفحة ابتداءً من
 صفحة ٥٣ إلى صفحة ٨٧.

(٧) اسلوب التحقيق:

إن اسلوب التحقيق المعتمد هو الأسلوب التحليلي حيث استعراض
 النصوص القرآنية والاحاديث النبوية ثم نستل منها ما هو منسجم و مرتبط

بالتحقيق، او نستقرؤها أحياناً كمقدمة لها وتكون هي شاهد على ذلك.
وأحياناً أخرى نستنتق القرآن الكريم و القرآن يجيبنا، ونستشفى به وهو
يقدم لنا دواء دائنا وكذلك احاديث الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته الكرام عليهم
أفضل الصلاة والسلام.

٨) تعريف المصطلحات:

على ما اعتقد انه ليست هناك مصطلحات غامضة في هذا البحث او التحقيق
على أخي وعزيزي المطلع، واذا كانت هناك فإني قد أوضحتها في محلها لغةً
واصطلاحاً من قبيل:

الشيطان، ابليس، الجن، الاستعاذة، التلبيس، الغرور، الارتباط الواقعي،
الارتباط التجريدي... وهكذا. فالبحث يمتاز بالسهولة والسلاسة والوضوح التام،
وبدون أي غموض او تعقيد، وإليك توضيح بعض المصطلحات:

توضيح بعض المصطلحات

هنا توضيح لبعض المصطلحات التي وردت في هذا الكتاب او هذه الرسالة:

خطوات: جمع خطوه، من خطى يخطو أي مشى، وهنا بمعنى: أعمال، او ذنوب، او طاعة، او من اتبع آثاره، او كل ما يغضب الله سبحانه، وما يوسوس به في صدور الناس، وما ينقلهم إلى المعاصي.^(١)

الشیطان: من شطن أي تباعد، وهو كل عات متمرّد من الجن والدواب، وأن الشيء إذا استقبح شُبّه بالشیطان، لا يُرى ولكن يُستشعر به.^(٢)

ابليس: نسبة إلى كلمة أبلَس أي يش و ندم، وأبلس من رحمة الله: اي يش من رحمة الله، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٣)(٤).

الجن: من الجنّ (بافتح) وهو السّتر، وفي عرف القرآن نوع من

١ - لسان العرب - ابن منظور ج ٤، ص ١٤٧ - ١٤٨ / مجمع البيان - الطبرسي ج ١، ص ٤٥٩.

٢ - لسان العرب - ابن منظور، ج ٤، ص ١٤٧ - ١٤٨ / مجمع البيان - الطبرسي ج ١، ص ٤٥٩.

٣ - الروم، ٣٠.

٤ - مجمع البيان - الطبرسي ج ٨، ص ٤٦٥ - ٤٦٦.

الموجودات ذوات الشعور والارادة مستورة عن حواسنا بحسب طبيعتها، وهم غير الملائكة وهم مكلفون كالbشر قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١)(٢).

الاستعاذة: مشتقة من العوذ وهو: الالتجاء والاستجارة او الالتصاق، فعلى الأول: التجي إلى رحمته و عصمته وعلى الثاني معناه. ألصق نفسى بفضل الله ورحمته. (٣)

التلبيس: اظهار الباطل في صورة الحق، والتلبيس كالتدليس والتخليط، واللبس الخلط، ولبس عليه الامر أي اختلط عليه الامر حتى لا يعرف جهته. (٤)
الغرور: نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والردى جيداً وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك. (٥)

الوسوسة: هي الدعاء إلى أمر بصوت خفي، او كلام خفي تميل إليه النفوس والطباع يلقيه الشيطان في خواطر ومشاعر الناس. (٦)

النزغ: وهو الاغراء والافساد، والكلام الذي يُغري بين الناس ونَزَعَ الشيطان أي أفسد، والنَزْعُ شبه الوخز والطعن والنَزْعُ أوله وسوسه وآخره مَس. (٧)

١- سورة الذاريات، ٥٦.

٢- لسان العرب - ابن منظور، ج ٢، ص ٣٨٥.

٣- مجمع البيان - الطبرسي - ج ١، ص ٨٩ / التفسير الكبير - الفخر الرازي ج ١، ص ٦٤/٦٥.

٤- تلبيس ابليس - ابن الجوزى البغدادي، ص ٤٩ - ٥٠.

٥- لسان العرب - ابن منظور، ج ١٠، ص ٤١.

٦- مجمع البيان - الطبرسي ج ١٠، ص ٨٦٧.

٧- لسان العرب - ابن منظور ج ١٤، ص ١٠٨.

المس: هو الاصابة و الاضرار بالبدن قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (١١)(٢).

الهوى: هو حب الشيء و اشتهاؤه، من دون فرق في أن يكون المعلقُ أمراً حسناً او قبيحاً، و لأن النفس بمقتضى طبيعتها تميل إلى الشهوات و الاهواء لولا العقل و الشرع، فالهوى هو الرأي الشخصي المنفصل عن الشارع المقدس و عن التشريع فيكون مطية للشيطان و يورد صاحبه الهلكة. (٣)

الارتباط الواقعي: هو الارتباط الحقيقي المتجذر العميق الذي تترتب عليه التضحية و الفداء، و لا يتزلزل لتغير الظروف. (٤)

الارتباط التجريدي: هو الارتباط الظاهري الشكلي المزاجي المتأثر بالاحداث و يعيش الحالة السطحية الفوقية. (٥)

الاثم الباطني: وهو ما يفكر فيه الإنسان (بعقله) من شك و شرك و حسد و حقد و ريبة و سوء ظن و النية في الاقدام على المنكرات قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ (٦)(٧).

القلب السليم: هو ذلك القلب الذي يلقي الله ربه و ليس فيه أحد سواه، و

١- سورة ص، ٤١.

٢- مجمع البيان - الطبرسي ج ٨ ص ٧٤٥

٣- لسان العرب - ابن منظور ج ١٥، ص ١٦٨.

٤- لسان العرب - ابن منظور، ج ١٥، ص ٣٦٩ - ٣٧٣.

٥- لسان العرب - ابن منظور ج ٢، ص ٢٣٥ - ٢٣٨.

٦- الانعام، ١٢٠.

٧- مجمع البيان - الطبرسي ج ٤، ص ٢٥٥.

سلم من حب الدنيا، والسليم من السلم والسلامة وهي التعري من الآفات الظاهرة والباطنة. (١)

الانفس: الانس أو الإنسان بمعنى واحد ويعني بالانسان آدم عليه السلام وهو اسم جنس و يجمع اناس وناس و حكى سيبويه، الناس الناس أي الناس بكل مكان و على كل حال. (٢)

النار: جاءت من النور وجمعها أنور و انوار و نيران ولها ايقاد و أوار.

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (٣) (٤).

ولها وقود و حطب قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (٦)، فهي جوهر مُضَيء حار محرق (٧).

١ - مجمع البيان - الطبرسي ج ٧، ص ٣٠٥.

٢ - لسان العرب - ابن منظور ج ١، ص ٢٣١ - ٢٣٦.

٣ - الواقعة، ٧١.

٤ - لسان العرب - ابن منظور ج ١٤، ص ٣٢١ - ٣٢٥.

٥ - البقرة، ٢٤.

٦ - الجن، ١٥.

٧ - مجمع البيان - الطبرسي ج ١، ص ١٤٤.

الخلاصة

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

ان موضوع الشيطان بصورة عامة وخطواته بصورة خاصة من المواضيع الحساسة والمهمة في حياة الإنسان ولكن مع شديد الاسف والاسى نجد ان بحث خطوات الشيطان يُعد من المباحث المهمة والساذجة ولم يعر لها اهمية تذكر حيث تجيب الكتب القديمة منها وحتى المعاصرة على اسئلة ليست ذات أهمية في حياة الفرد المسلم الذي يشترك الى الله سبحانه وتعالى حيث لا تنفعه تلك المنفعة العملية المهمة في حياته ولا بعد معاته، واما في كتب التفاسير هناك اجابات وقع فيها الخلط واخرى وقع فيها الالتباس وعدم التمييز بين جهات التكوين و جهات التشريع حيث يعطفون الكلام الاعتباري على الكلام التشريعي فتكون النتيجة مختلطة ملتبسة غير واضحة المعالم.

إذن ما الحل؟

الحل هو ان نلجأ إلى القرآن بشكل مباشر نستنتقه، فانه يجيبنا ويكشف عن مكنوناته ومكوناته ويضيء، بانوار هدايته طريقنا فهو الكتاب الذي يضمن

للشيطان السلام والسعادة والنظام، انه يرفع من مكانة البشر، ويزيد في رفاهيتهم بل ويساعدهم على التوصل اليها، يضاف إلى ذلك ان القرآن هو مرجع لكل علماء اللغة والمعاجم، ودليل لعلماء النحو، ومستند اعلى للفقهاء والمجتهدين، ونموذج يحتذى للاديب، وغاية البحث المواظب للحكيم، ومعلم للواعظ المبشر، ومثابة لكل رجل ذي خلق ودين، منه اشتقت العلوم الاجتماعية ومبادئ الادارة العامة للدولة، وعليه تركزت العلوم الدينية على ضوء هدايته اكتشفت اسرار الكون وقوانين الطبيعة ان القرآن هو المعجزة الخالدة للدين الخالد، انه المصدر النبيل والشريف للشرع النبيل والشريف^(١).

ثم تنتقل بعد ذلك إلى ما ورد عن رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام - ماورد في نهج البلاغة وفي الصحيفة السجادية بعد ان نستعرض خطوات الشيطان ماهي لغة واصطلاحاً، من هو الشيطان؟ من هو الجن؟ خلق الشيطان، كيف يتعامل الشيطان مع الإنسان، الإنسان مسؤول عن جميع افعاله، الشيطان اداة اختبار، براءة الشيطان من اتباعه، كيف كان الشيطان مع الانبياء، كيف كان مع آدم عليه السلام؟ ما معنى الاستعاذة؟ وكيف نستعيز بالله وماهو أثرها؟ ماهي مراحل تأثير الشيطان على النفس الانسانية؟

ماهي الغاية من عرض القرآن الكريم لاساليب الشيطان؟

ثم عرض وجهات نظر مختلفة عن الشيطان وما هو دور الشيطان في الميدان الاجتماعي. ثم دور العبادة وكيف يكون الارتباط واقعياً ومتى يكون

١ - القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني - محمد اركون صفحة (١٤)
ترجمه وتعليق هاشم صالح - دارالطليعة - بيروت.

تجريبياً.

ومنافذ الشيطان واقسام القلوب وفي الختام يكون الحديث عن ثمره هذا الموضوع ودعاء:

اللهم أشكو إليك عدواً يُضِلُّني وشيطاناً يَغْوِينِي قد ملأ بالوساس صدري،
وأحاطت هواجسه بقلبي يعاضدُ لي الهوى ويَزِينُ لي حُبَّ الدنيا ويحولُ بيني
وبين الطاعة والزلفى^(١).

١ - الإمام السجاد (عليه السلام) - في مناجات الشاكين - مصاف بي پایان باشيطان د. فتح الله نجار زادكان (محمدي) مؤسسه بوستان - كتاب قم.

الفصل الأول

بحوث تمهيدية

- الشيطان لغة اصطلاحاً
- ابليس لغة اصطلاحاً
- الجن لغة اصطلاحاً
- النار لغة اصطلاحاً
- الإنس لغة اصطلاحاً

أولاً: الشيطان

لغة:

الشيطان في اللغة من شطن، والنون فيه اصلية اي تباعد، ومنه بثر شطون وشطنت الدار و غربة شطون. وقيل بل النون فيه زائد من شاط يشيط اي احترق غضباً.

فالشيطان او ابليس من الجن و الجن مخلوق من النار كما دل عليه قوله تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾^(٣) من ذلك اختص بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة وامتنع من السجود لآدم، قال ابو عبيدة: الشيطان اسم لكل عارم من الجن والانس والحيوانات^(٤).

١ - سورة الكهف، ٥٠.

٢ - سورة الرحمن، الآية ١٥.

٣ - سورة الحجر، ٢٧.

٤ - معجم مفردات الفاظ القرآن الكريم / الراغب الاصفهاني ص ٢٦٧ و ٢٦٨.

اصطلاحاً:

الشيطان في الاصطلاح الشرير، وقد غلب استعماله في إبليس الذي يصفه القرآن الكريم وذريته. فهو خلق من خلق الله مكلف كالإنسان قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

والشيطان: كلّ عات متعمد من الجن والإنس والدّواب، وإنّ الشّيء إذا أستقبح شبّه بالشيطان، الشيطان، لا يرى ولكنه يُستشعر أنّه أقبح ما يكون من الاشياء ولو رُوي لرُوي في أقبح صورة قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿^(٢) أي في قباحتها^(٣). والشيطان نفسه إبليس، وسمي إبليس إبليساً نسبة إلى كلمة أبلس: أي يئس وندم وأبلس من رحمة الله: أي يئس من رحمة الله وندم قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْسِلُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٤).

١ - سورة الذاريات، ٥٦ .

٢ - سورة الصافات، ٦٥ .

٣ - لسان العرب - ابن منظور ج ٧، ص ١٢١ .

٤ - سورة الروم، ١٢ .

ثانياً: إبليس

لغة:

و إبليس لعنه الله مشتق منه لأنه أبلس من رحمة الله أي أوبس^(١).
والشيطان من الجن (بالفتح) وهو الإشتار وهو في عرف القرآن نوع من
الموجودات ذوات الشعور والإرادة مستورة عن حواسنا بحسب طبعها وهم غير
الملائكة^(٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ
أُولِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣) وكان معروفاً باسم (عزازيل).

وسمي الشيطان أيضاً خناساً لأنه يوسوس للإنسان فإذا ذكر الله تعالى
رجع وتأخر (أي خنس وسكن) ثم إذا غفل عاد إلى وسوسته^(٤) وُسُمي
بـ(طاووس الملائكة) لكثرة عبادته.

ومن أسماء الشيطان الغرور قال تعالى: ﴿.. وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ..﴾^(٥)
وكنيته (أبو مروة).

ومن جملة أسمائه الخيث والمهلك والهاوية واطلق عليه انجيل يوحنا
الإصحاح ١٢ فقرة ٣١ لقب (رئيس العالم) ولهذه التسمية أو الصفة ما يبررها إن

١ - لسان العرب - ابن منظور ج ٧، ص ٤٨٢.

٢ - الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي ج ٧، ص ٣٢١.

٣ - سورة الاعراف، الآية ٢٧.

٤ - الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي ج ٢٠، ص ٣٩٧.

٥ - سورة فاطر، ٥.

أريد بالعالم عالم الشر.

وفي قاموس الكتاب المقدس (الشَّيْطَان كائن حقيقي، وهو أعلى شأنًا من الإنسان، ورئيس رتبة من الأرواح النجسة.. أما أعوانه فهم عصبة الأرواح الساقطة وهو يوقع النَّاس في الخطيئة عن طريق الغش والاحتيال ويظهر بمظهر النور والتين والصور المقبولة للناس) وتجدر الإشارة إلى أن الشَّيْطَان اسم جنس يشمل إبليس وغيره. ونحن لم نر كائنًا من جنس خاص يسمى شيطانًا، ولكن الوحي أخبر عنه، والعقل لا ينفيه فوجب التصديق^(١).

اصطلاحاً:

وقد ورد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه ذكر أن اسم إبليس (الحارث) وإنما قول الله عزَّوجلَّ (يا إبليس) يا عاصي وسمي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله عزَّوجلَّ (أي يش منها)^(٢).
إذن من أسماء الشيطان إبليس.

ومعنى الرَّجِيم ورد عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني أنه قال: سمعت أبا الحسن بن محمد العسكري عليه السلام يقول: معنى الرَّجِيم أنه مرجوم باللعن، مطرود من مواضع الخير، لا يذكره مؤمن إلا لعنه^(٣).

وفي الحديث أيضاً: «إذا ولد المولود لبني آدم قرن إبليس به شيطاناً وقرن

١ - في ظلال الصَّحيفة السجادية، محمد جواد مغنية، ص ١٦٤.

٢ - معاني الأخبار - الشيخ الصدوق صفحة ١٣٨.

٣ - معاني الأخبار للشيخ الصدوق، صفحة ١٣٩.

الله به ملكاً فالشيطان جاثم على إذن قلبه الأيسر والملك قائم على إذن قلبه الأيمن فهما يدعوانه»^(١).

ثالثاً الجن:

لغة:

جنن: جَنَّ الشيء يَجْنُهُ جَنْناً ستره، وكل شيء سُتِرَ عنك فقد جُنَّ عنك، و جَنَّهُ الليل يَجْنُهُ جَنْناً وجنوناً.. وأَجْنَهُ ستره^(٢).

اصطلاحاً:

هي موجودات ذوات شعور وإرادة ومكلفة ومستورة عن حواسنا بحسب طبعها والجن هم جيل رقاق الاجسام خفيفة على صورة مخصوصة بخلاف صورة الإنسان والملائكة فإن الملك مخلوق من النور والانس من الطين والجن من النار^(٣).

١ - بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي ج ٦٣، صفحة ١٤٠.

٢ - لسان العرب - ابن منظور ج ٢، ص ٣٨٥.

٣ - مجمع البيان - الطبرسي ج ١٠، ص ٥٥٣.

رابعاً النار:

لغة:

النار بمعنى الرأي، و انور المتجرد أي نير الجسم، و نار فهو نير، و أنار فهو منير و النار معروفة أنثى، وفي التنزيل ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ و النار هنا نور الله، وقد تذكّر النار و الجمع انور و نيران^(١)

اصطلاحاً:

جوهر مضىء حار محرق و اصله من النور يقال نار و أنار واستنار^(٢).
وبعض أهل الكشف قالوا «ان النار مخلوقة من صفة غضب الله»^(٣)
لها وقود و حطب و انها تخبو و تستعر و لها أوار و ايقاد، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾^(٥).
وقال تعالى: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾^(٦)
وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾^(٧)

١- لسان العرب - ابن منظور ج ١٤، ص ٣٢٢.

٢- مجمع البيان - الطبرسي ج ١، ص ١٤٤.

٣- تفسير القرآن الكريم - صدر الدين الشيرازي ج ٣، ص ١٩٠.

٤- سورة البقرة، ٢٤.

٥- سورة الجن، ١٥.

٦- سورة الأسراء، ٩٧.

٧- الواقعة، ٧١.

خامساً الانس:

لغة:

الانس و الإنسان بمعنى واحد، ويعني بالانس ابوالبشر آدم ﷺ وهو اسم جنس و يجمع أناس و ناس و أناس، و حكى سيويه، الناس الناس أي الناس بكل مكان و على كل حال^(١).

اصطلاحاً:

هو ما اودعه الله سبحانه هذا المخلوق (خليفة) و ما يقطعه هذا الموجود في مسير وجوده، فهو وجود متحول متكامل يسير في مسير وجوده المتبدل المتغير و يقطعه مرحلة مرحلة^(٢).

١ - لسان العرب - ابن منظور ج ١، ص ٢٣١ - ٢٣٦.

٢ - الميزان - الطباطبائي ج ١، ص ١١١ - ١١٢.

الفصل الثاني

الخلق والماهية

- ١- الخلق والماهية
- ٢- خلق الشيطان
- ٣- خلق الجن
- ٤- الفرق بين الشيطان والجن
- ٥- اسماء الشيطان
- ٦- الشيطان اداة اختبار
- ٧- معنى التلبيس والغرور

اولاً: خلق الشَّيْطَان

لماذا خلق الله سبحانه وتعالى الشَّيْطَان؟

ولماذا هذه العداوة بينه وبين الإنسان؟

كان الشَّيْطَان مخلوقاً غير مميز عن سِنخ الملائكة حيث يعتبرونه واحداً منهم، كان يطير معهم و سمي بطاووس الملائكة لكثرة عبادته، ما إن خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان (آدم ﷺ) حتَّى بانَتْ خلقته وظهرت كوامنه، حيث تميّز عن الملائكة بعدم السَّجود والانقياد والطَّاعة لله تعالى وانفصل عنهم، وتنبيه الملائكة بأنّه ليس ملكاً إذن فهو ليس منهم، بدأ دوره بعد أن كان مغموراً تحرك بكل ما أُوتى من قوة ونشاط وبكل ما استطاع من حول وطول تجاه إضلال الإنسان وغوايته.

لماذا حصلت هذه العداوة بينه وبين الإنسان؟ لماذا كلّ هذا التخاصم

والتنافر؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (٣).

أصبح الإنسان محفوقاً بمخلوق يهدده ويخاصمه ويؤذيه ويعاديه منذ ولادته وحتى وفاته وللإجابة على الداعي أو السبب لهذه الخصومة يستدعي متناً مقدمة تمهيدية لإيضاح المطلب وهي كما يلي:

نحن حينما ننظر إلى عالم الخلقة بصورة كلية نجده جميلاً، فإنَّ أيَّ مخلوق من مخلوقات الله جلَّ شأنه حينما ننظر إليه نراه آية من آياته المباركة ومظهراً من مظاهراسمائه الحسنی، كذلك الشَّيْطَانُ أساس خلخته خير محض باعتبار ان الله تبارك وتعالى لا يصدر منه إلَّا الخير، فهذا المخلوق شيء طبيعي كبقية المخلوقات، ولكن إذا مزجناه مع بقية المخلوقات يكون مثله مثل من مزج الملح بالسكر او مزج الخل بالعسل. الملح، السكر، الخل، العسل كلُّ بمفرده شيء طبيعي وصالح ونافع وطيب المذاق ولكن بالمازجة يفقد الشيء مميزاته وخصائصه أحياناً، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٤).

إذن من بعد أن أحسن الله كلَّ شيء في خلقه خَلَقَهُ أي أحكم كل شيء خَلَقَهُ وأتقنه (عن ابن عباس ومجاهد) وقيل معناه علم كيف يخلق كلَّ شيء قبل أن

١- سورة الأعراف، ٥٣.

٢- سورة الفرقان، ٢٩.

٣- سورة فاطر: ٦.

٤- سورة السجدة، ٧.

خَلَقَهُ من غير أن يعلمه أحد (عن مقاتل والسدي) من قولهم فلان يحسن كذا أي يعلمه، وقيل الذي جعل كل شيء في خلقه حسناً^(١) وقال الراغب - الحسن عبارة عن كل مبهج - بصيغة الفاعل - مرغوب فيه وذلك ثلاثة أضرب (أي أنواع أو اشكال أو أقسام) مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحسن.

وهذا تعريف له من جهة خاصيته وانقسامه بانقسام الإدراكات الإنسانية، وحقيقته ملائمة أجزاء الشيء بعضها لبعض والمجموع للغرض والغاية الخارجة منه، فحسن الوجه تلاؤم اجزائه من العين و الحاجب والأنف والفم وغيرها، وحسن العدل ملائمة العدل للغرض من الاجتماع المدني وهو نيل كل ذي حق حقه والتدبر في خلقه الأشياء، وكل منها في نفسه متلائم الأجزاء بعضها لبعض والمجموع من وجوده مجهز بما يلائم كماله وسعادته تجهيزاً لا أتم ولا أكمل منه يعطي أن كلاً منها حسن في نفسه حسناً لا أتم وأكمل منه بالنظر إلى نفسه.

وأما ما نرى من المساءة والقبح في الأشياء فلا أحد أمرين أما لكون الشيء الشيء ذا عنوان عديمي تعود إليه المساءة لا لوجوده في نفسه كالظلم والزنا، فإن الظلم ليس ب شيء قبيح من جهة نفس العمل الخارجى الذى هو مشترك بينه وبين النكاح بل بما أن فيه مخالفة للنهي الشرعى أو للمصلحة الاجتماعية. أو بقياسه إلى شيء آخر فيعرضه المساءة والقبح من طريق المقايسة كقياس الحنظل إلى البطيخ وقياس الشوك إلى الورد وقياس العقرب إلى الإنسان فإن المساءة إنما تطرأ هذه

الأشياء من طريق القياس إلى الوجه الأول بالحقيقة، وكيف كان فإن الشيء بما أنه موجود مخلوق لا يتصف بالمساء وتدل عليه الآية الشريفة ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾^(١)

إذا أضيف إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢).

فينتجان ما يلي:

أولاً: - ان الخلقة تلازم الحُسن فكل مخلوق حَسَنٌ من حيث هو مخلوق.
ثانياً: - ان كل سيء وقبيح ليس بمخلوق من حيث هو سيء قبيح كالمعاصي والسيئات من حيث هي معاصٍ وسيئات، والأشياء السيئة من جهة القياس^(٣).
بعد ذلك نقول بأن الشيطان الذي هو بنفسه جميل فما هي المنافع التي تربو على أضراره؟

نحن نعلم ان الله سبحانه وتعالى أوجد هذا العالم مكوناً من أجزاء وجعله مُركَّباً من عناصر شتى، وبتعبير آخر ان العالم ليس حقيقة بسيطة كالأمر الإلهي بل هو موجودات مختلفة فيما بينهما، ولكي يكون العالمُ عالماً ينبغي أن يكون هناك تفاوت بين المخلوقات قال تعالى: ﴿...وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿...وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ

١ - سورة السجدة، ٧.

٢ - سورة الزمر، ٦٢.

٣ - الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي ج ١٦، ص ٢٤٩.

٤ - سورة البقرة، ٢٥١.

فِي مَاءٍ أَمَّا تَكُنْمُ...»^(١).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...»^(٢).

إذن هناك تفاوت في الوجود بين أجزاء العالم وإذا لم يكن هناك تفاوت ينتفى التمييز فيما بينهم حيث يكونون كلهم برتبة وجودية واحدة ولا فرق بينهم وبين أي واحد منهم عن الآخر، فيكون العالم كله رتبة بسيطة واحدة ممّا يؤدي بالتالي إلى فئاته وزواله ولاداعي لخلقه.

فالإختلاف في الرتب ضروري حيث يكون هناك كبير وصغير وعدم ووجود وطاعة ومعصية وخير وشر وكمال ونقص وانسجام وتخاصم وقوي وضعيف وهكذا... ممّا يؤدي إلى بقاء العالم، ومن هنا يسمى هذا العالم بعالم التضاد والتزاحم - دارالتدافع والتمانع والتضاد - حيث تنشأ من هذا العالم هذه المفارقات، فمن الحكمة الإلهية وجود هذه التزاحمات والتخاصمات في النظام الكوني وبالأضداد تعرف الأشياء، فهي إذن لازم من لوازم وجوده.

نحن لانستطيع ان نفهم طاعة إذا لم تكن هناك معصية، الطاعة لها مصداق خارجي (مثال تطبيقي واقعي عملي) فلا يمكننا معرفته إلا من بعد أن نعرف مصداق المعصية حيث تعرف الاشياء بأضدادها. إذا لم يكن هناك وازع - دافع - لدى الإنسان ان يفعل الشر حيث لا يوجد في سريره هذا الأمر وهو الشر، معنى ذلك ان الطاعة لازمة ولا يمكنه ان ينفك عنها وبهذا يكون أمره بالطاعة لاغياً

١ - سورة الأنعام، ١٦٥.

٢ - سورة لقمان، ٢٠.

لاداعي له لأنّه لا يقدر اساساً على فعل المعصية فما معنى أن نأمره بالطاعة، كما هو عليه لدى الملائكة إذ لا يمكنها ان تعصي الله طرفة عين، وإذا أصبح صدور الطّاعة من الإنسان امرأ ضرورياً فيكون أمره بالطاعات من قبيل النبوات والعبادات والتكاليف وكلّ شيء امرأ لاغياً، فتلغى النبوات والرّسالات السّماوية ويُلغى الثواب والعقاب، ويتنفي الخوف من المعاد وتنفي الإنسانية من الأرض والعالم كلّ، لأنّ العالم متقوم بالإنسان وخلق الله سبحانه وتعالى العالم من أجله - أي من أجل الإنسان - وسخره له.

إذن لا بد ان تكون في سريرة الإنسان دعوة إلى الشر ولا بد أن يكون بإمكان الإنسان أن يأتي بالمعاصي كما أن بإمكانه ان يأتي بالطاعات، حتّى يأتي قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١) وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٢).

إضافة إلى ذلك وجود فريقين، فريق يدعو إلى الخير وفريق آخر يدعو إلى الشر، فريق يقول له: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٣). وفريق يقول له: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾^(٤) و﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾^(٥). وبالتالي أصبحت لدى الإنسان الطّاعة والمعصية على حد سواء حيث

١ - سورة الانسان، ٣.

٢ - سورة البلد، ١٠.

٣ - الحجر، ٩٩.

٤ - سورة المؤمنون، الآية

٥ - سورة الجاثية، ٢٤.

يمكنه فعل أيهما شاء، يستطيع ان يأتي بالفرائض وان ينتهي عن المحرمات ويستطيع عمل العكس ان يأتي بالمحرمات ولا يقيم الفرائض وكلا الفريقين يشجعه من جانب ويثبُط عزيمته من جانب آخر، لذا:

أولاً: ينبغي صدور الأوامر والنواهي حتّى نستطيع ان نحقق الطاعة في الخارج، وإذا لم يكن امكاناً للإمتثال وعدمه في حقّ الإنسان فلا معنى للامر والنهي لأن الأمر بالشئ فرع إمكانيّة مخالفته والنهي عن الشئ فرع إمكانيّة الإتيان به.

ثانياً: اقتضت الضرورة والحاجة إلى أن تكون هناك دعوة إلى الشر ودعوة إلى الخير والإنسان يقف على مفرق الطريقين يمكنه الإمتثال كما يمكنه الإمتناع...

والشيطان يشكل تياراً وسطاً للبشرية يقودها نحو التيه والضلال، فإذا لم يكن هناك شيطان إذن تنتفي الحاجة إلى خلق الإنسان على الأرض في دارالدنيا وخلق الدنيا بخصائصها يقتضي وجود الشيطان كما إنّه إذا خلق الله عزّ وجلّ الإنسان ذا طرف واحد كالطاعة مثلاً فإنّنا نصل إلى نتيجة إنتفاء وجوده ووجود الدنيا.

إذن لابد أن يكون في دارالدنيا دعوة إلى الشر ولكي يكون الشيطان مظهراً من مظاهرها مجسداً للشر وليس له إلاّ الدّعوة فقط، ليس له إلاّ ان يعرض ضلاله على العباد.

ثانياً: خلق الجن

بعد أن عرفنا ان الشَّيْطَان من الجن وليس من الملائكة أو من الأنس أو من جنس آخر فما هو الجن؟

كيف يعيش وكيف يتكاثر؟ وهل هو يشبه البشر أم لا؟^(١) الجن نوع من الخلق مستورون عن حواسنا ويصدق ويؤكد ذلك القرآن الكريم بوجودهم ويذكر أنهم مخلوقون قبل الإنسان وأنهم مخلوقون من التَّار كما ان الإنسان مخلوق من التراب قال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾^(٢).

قال الراغب: السَّمُوم الريح الحارة تؤثر تأثير السم. انتهى. وأصل الجن الستر وهو معنى سارٍ في جميع ما اشتق منه كالجن والمجنة والجنة والجنين والجنان وجن عليه الليل وغير ذلك.

والجن طائفة من الموجودات مستورة بالطبع عن حواسنا ذات شعور وإرادة تكرر في القرآن الكريم ذكرهم ونسب إليهم أعمال عجيبة وحركات سريعة كما في قصّة سليمان عليه السلام وهم مكلفون ويعيشون ويموتون ويحشرون تدل على ذلك كله آيات كثيرة متفرقة في كلامه تعالى.

وأما الجانّ فهل هو الجن بعينه أو هو أبو الجن كما أن آدم عليه السلام أبو البشر كما عن ابن عباس، أو هو إبليس نفسه كما عن الحسن، أو الجان نسل إبليس من الجن أو هو نوع من الجن كما ذكره الراغب أقوال مختلفة لا دليل على أكثرها.

١ - الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي ج ٢٠، ص ٣٩١.

٢ - سورة الحجر، ٢٧.

والذي يهدى إليه التدبر في كلامه تعالى أنه قابل في هاتين الآيتين الإنسان بالجان فجعلهما نوعين اثنين لا يخلوان عن نوع من الارتباط في خلقتهما، ونظير ذلك قوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾^(١).

ولا يخلو سياق ما نحن فيه من الآيات من دلالة على أن إبليس كان جاناً وإلا لفي قوله: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ الخ، وقد قال تعالى: في موضع آخر من كلامه في إبليس: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنَّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(٢) فأفاد أن هذا الجان المذكور هو الجن نفسه أو هو نوع من أنواع الجن ثم ترك سبحانه في سائر كلامه ذكر الجان من أصله ولم يذكر إلا الجن حتى في موارد يعم الكلام فيها إبليس وقبيله كقوله تعالى: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾^(٣) وقوله: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾^(٤) وقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ - إِنْ أَنْ قَالَ - يَمَغْشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾^(٥).

وظاهر هذه الآيات من جهة المقابلة الواقعة فيها بين الإنسان والجان تارة وبين الإنس والجن أخرى أن الجنَّ والجَانَّ واحد وإن اختلف التعبير. وظاهر المقابلة بين قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الخ، وقوله: ﴿وَالْجَانَّ﴾

١ - سورة الرحمن، الآية ١٥.

٢ - سورة الكهف، ٥٠.

٣ - سورة الانعام، ١١٢.

٤ - سورة حم السجدة، ٢٥.

٥ - سورة الرحمن، ٣١ - ٣٣.

خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ» الخ أن خلق الجن من نار السموم المراد به الخلق الابتدائي وبدء ظهور النوع كخلق الإنسان من صلصال؛ وهل كان استمرار الخلقة في أفراد الجن المستتبع لبقاء النوع على سنة الخلق الأول من نار السموم بخلاف الإنسان حيث بدأ خلقه من تراب ثم استمر بالنطفة؟ كلامه سبحانه خال عن بيانه ظاهراً غير ما في بعض كلامه من نسبة الذرية إلى إبليس كما قال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾^(١)، ونسبة الموت إليهم كما في قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مَنَّ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾^(٢) والمألوف من نوع فيه ذرية وموت هو التناسل والكلام بعد في هذا التناسل هل هو بسفاد كسفاد نوع من الحيوان أو بغير ذلك؟

وقوله: ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ مقطوع الإضافة أي من قبل خلق الإنسان والقرينة هي المقابلة بين الخلقين.

وعند منشأ خلق الجن في الآية هو نار السموم لا ينافي ما في سورة الرحمن من عده مارجاً من نار أي لهيباً مختلطاً بدخان فإن الآيتين تلخصان أن مبدأ خلقه ريح سموم اشتعلت فكانت مارج نار^(٣).

والجان هو إبليس كما ذكر الحسن وقتاده وقيل هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر ويعود إلى حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وقيل

١- سورة الكهف، ٥٠.

٢- سورة فصلت، ٢٥.

٣- الميزان في تفسير القرآن (الطباطبائي) ج ١٢، ص ١٥١.

السَّمُومِ النَّارِ الْمَلْتَهَبَةِ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ ^(١) وَالْجِنُّ يَعِيشُونَ وَيَمُوتُونَ وَيَبْعَثُونَ كَالْإِنْسِ قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ ^(٢)، إِذَنْ أُمَمِ الْجِنِّ كَأُمَمِ الْإِنْسِ أَصَابَهَا وَيَصِيبُهَا الْهَلَاكُ وَالْمَوْتُ عَلَى حَدِّ سِوَاءٍ وَإِنْ فِيهِمْ ذَكَوْرًا وَأُنْثَى وَيَتَكَاثَرُونَ بِالتَّوَالِدِ وَالتَّنَاسُلِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ^(٣).

ان الرَّجُل من العرب كان إذا نزل الوادي في سفره ليلاً قال: أعوذ بعزير هذا الوادي من شر سفهاء قومه، ونقل عن مقاتل ان أول من تعوذ بالجن قوم من اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا في العرب ولا يبعد أن يكون العوذ بالجن الإستعانة بهم ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي فزاد الجن الإنس إثماً على إثمهم الذي كانوا عليه من الكفر والمعاصي، عن ابن عباس وقتاده، وقيل رهقاً أي طغياناً عن مجاهد وقيل فَرَقًا وخوفاً عن الزبيعي وابن زيد وقيل شراً عن الحسن وقيل زادوهم ذلاً وضعفاً ^(٤) وللجن شعور وإرادة، وإنهم يقدرون على حركات سريعة وأعمال شاقة كما ورد في قصة سليمان عليه السلام وتسخير الجن له وقصة ملكة سبأ (بلقيس)، قال تعالى: ﴿... وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ ابْنُ رَبِّهِ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ آعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ ^(٥).

١ - مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي م ٣، ج ٦، ص ٥١٦.

٢ - سورة الاحقاف، ١٨.

٣ - سورة الجن، ٦.

٤ - مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي ج ١٠، ص ٥٥٥.

٥ - سورة سبأ، ١٢ - ١٣.

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُوا أَئِيَّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ قال عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أَمِينٌ^(١).

قال مارد قوي داهية من الجن أنا آتيك بعرضها قبل ان تقوم من مجلسك هذا الذي تقضي فيه واني على حملي لقوي وعلى الإتيان به في هذه المدة قادر وعلى ما فيه من الذهب والجواهر أمين، وفي هذا دلالة على ان القدرة قبل الفعل لأنه أخبر بأنه قوي عليه قبل ان يجيء به وكان سليمان يجلس في مجلس للقضاء غدوة (أي صباحاً) إلى نصف النهار^(٢).

والجن مكلفون كالإنس منهم مؤمنون ومنهم كافرون ومنهم صالحون وآخرون طالحون قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) أي لم أخلق الجن والإنس إلا لعبادتي فهم من حيث التكليف على حد سواء قال تعالى: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا^(٤).

أي قل يا محمد ﷺ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ القرآن طائفة من الجن وهم خلق أو جيل رقاق الأجسام خفيفة على صورة مخصوصة بخلاف صورة الإنسان والملائكة، فإن الملك مخلوق من النور والإنسان من الطين والجن من النار، فقال

١ - سورة النمل، ٣٨ - ٣٩.

٢ - مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي ج ٧، ص ٣٤٨.

٣ - سورة الذاريات، ٥٦.

٤ - سورة الجن، ١ - ٢.

الجن بعضهم لبعض ﴿.. إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ..﴾ وما يدعو إلى العجب منه لخفاء سببه وخروجه عن العادة في مثله من حيث المعنى والفصاحة والنظام لا يقدر أحد على الإتيان بمثله ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ...﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ (٢).

أي ومن الجن مسلمون ومنهم جائرون ظالمون خارجون عن الطريق، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ...﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ...﴾ (٤).

ومعناه يا محمد ﷺ إذ وجهنا إليك جماعة من الجن تستمع القرآن أو معناه صرفناهم إليك عن بلادهم بالتوفيق والألطف حتى أتوك أو صرفناهم إليك عن استراق السمع من السماء برجوم الشهب ولم يكونوا بعد عيسى عليه السلام قد صرفوا عنه، فقالوا ما هذا الذي حدث في السماء إلا من أجل شئ قد حدث في الأرض فضربوا في الأرض حتى وقفوا على النبي محمد ﷺ ببطن نخلة عامداً إلى عكاظ

١ - مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي م ٥، ج ١٠، ص ٥٥٣ - ٥٥٤.

٢ - سورة الجن، ١٤.

٣ - سورة الجن، ١١.

٤ - سورة الاحقاف، ٢٩ - ٣١.

وهو يصلي الفجر، فاستمعوا القرآن ونظروا كيف يصلي عن ابن عباس وسعيد بن جبير، وعلى هذا فيكون الرمي بالشهب لطفاً للجن ﴿...فَلَمَّا حَضَرُوهُ...﴾ أي حضروا القرآن أو النبي ﷺ ﴿...قَالُوا أَنْصِتُوا...﴾ أي قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمع إلى قراءته فلا يحول بيننا وبين القرآن شيء ﴿...فَلَمَّا قُضِيَ..﴾ أي فلما فرغ النبي ﷺ من تلاوته ﴿..وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ..﴾ أي انصرفوا إلى قومهم ﴿..مُنْذِرِينَ..﴾ محذرين إياهم عذاب الله ان لم يؤمنوا.

﴿..قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى..﴾ يعنون القرآن ﴿..مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ..﴾ أي لما تقدم من الكتب ﴿...يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ...﴾ أي يرشد إلى دين الحق ويدل عليه ويدعو إليه ﴿..وَالْأَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يؤدّي بسالكة إلى الجنة^(١).

ويظهر من قوله تعالى ان إبليس كان من الجن وان له ذرية وقبيلة قال تعالى: ﴿...إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾^(٢)، أي كيف تتخذونه وذريته أولياء تتولونهم بالطاعة من دوني وهم جميعاً أعداء لكم، وذريته الشياطين، قال الحسن: الجن من ذريته^(٣). والشياطين من الذين يستترون عن الأبصار مأخوذ من الجن أي السّتر، وقيل كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن كانوا خُزّان الجنان فأضيفوا إليها كقولك كوفي وبصري، وضعّف الاولون هذين الوجهين.

١ - مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي، ج ٩، ص ١٣٩.

٢ - سورة الكهف، ٥٠.

٣ - مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي ج ٦، ص ٧٣٤.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(١).

أي يراكم الشيطان ونسله عن الحسن وابن زيد ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَفْتَحِدُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾^(٢).

أو أن جنوده وأتباعه من الجن والشياطين ﴿...مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ...﴾ أي جعلهم يجرون من بني آدم مجري الدَّم، وصدور بني آدم مساكن لهم، كما قال الذي يوسوس في صدورالنَّاس، فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم قال قتاده: «والله ان عدواً يراك حيث لا تراه لشديد المؤونة إلا من عصم الله»، وإنما قال ذلك لاننا إذا كنا لانراهم لم نعرف قصدهم لنا بالكيد والإغواء فينبغي أن نكون على حذر فيما نجده في أنفسنا من الوسواس خيفة أن يكون ذلك من الشيطان، وإنما لا يراهم البشر لأن أجسامهم شفافه لطيفة^(٣).

وقد ذكر الشيخ المفيد^(٤) إن إبليس من الجن خاصة وإنه ليس من الملائكة ولا كان منها قال الله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(٥) وجاءت الأخبار متواترة عن أئمة الهدى من آل محمد^(٦) بذلك وهو مذهب الإمامية كلها وكثير من المعتزلة وأصحاب الحديث قال (في المجمع صفحه ٨٢ الجزء الأول طبعة صيدا): وقال الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان قدس الله روحه أنه (يعني إبليس) كان من الجن ولم يكن من الملائكة قال

١ - سورة الاعراف، الآية ٢٧.

٢ - سورة الكهف، ٥٠.

٣ - مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي، م ٢، ج ٤، ص ٦٣٢.

٤ - سورة الكهف، ٥٠.

وقد جاءت الأخبار بذلك عن أئمة الهدى عليهم السلام وهو مذهب الإمامية^(١) وقد ذكر العلامة المجلسي ان الجن أجسام عاقلة خفيفة تغلب عليهم النَّارية أو الهوائية وقيل نوع من الأرواح المجردة^(٢).

وفي عيون أخبار الرضا - للشيخ الصدوق - قال الرضا عليه السلام: كان نقش خاتم سليمان بن داود: سبحان من ألجمَ الجن بكلماته^(٣).

سورة الجن:

لقد افرد القرآن الكريم سورة كاملة اسمها باسم (سورة الجن) اضافة إلى ذكره للجن في آيات عديدة من سور شتى. سورة الجن سورة مكية تعالج العقيدة الإسلامية (الوحدانية، الرسالة، البعث، الجزاء) ومحور السورة يدور حول الجن وما يتعلق بهم من امور خاصة، بدءاً من استماعهم للقرآن اي دخولهم في الايمان وقد تناولت السورة بعض الانباء العجيبة الخاصة بهم، كاستراقهم للسمع ورميهم بالشهب المحرقة، واطلاعهم على بعض الاسرار الغيبية إلى غير ذلك ابتدأت السورة بالاخبار عن استماع فريق من الجن للقرآن وتأثرهم بما فيه من روعة البيان إذن هم يجيدون اللغة العربية بل يتكلمون بها - حتّى آمنوا به فور استماعه ودعوا قومهم إلى الايمان ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا

١ - أوائل المقالات، الشيخ المفيد، القول في إبليس أهو من الجن أم من الملائكة صفحة ١٤٩.

٢ - بحار الانوار - محمد باقر المجلسي الجزء ٦٣، صفحة ٦١.

٣ - المصادر السابق / ص ٧.

قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿١﴾.

ثم انتقلت السورة إلى الحديث عن تمجيدهم وتنزيههم لله جلّ وعلا وافرادهم له بالعبادة، وتسفيهم لمن جعل الله ولدا ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ (٢).

ثم تحدثت السورة عن استراق الجن للسمع، واحاطة السماء بالحرس من الملائكة، وارسال الشهب على الجن بعد بعثة رسول الله ﷺ وتعجبهم من هذا الحديث الغريب ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاهَا مُلْتَثَمَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا﴾ (٣).

ثم تحدثت السورة عن انقسام الجن إلى فريقين: مؤمنين وكافرين ومثال كل من الفريقين ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (٤).

ثم انتقلت للحديث عن دعوة رسول الله ﷺ وعن التفاف الجن حوله حين سمعوه يتلو القرآن ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ (٥).

ثم أمرت السورة الرسول ﷺ بأن يظهر انقياده واستسلامه لله سبحانه وخضوعه له. ويفرده جلّ وعلا باخلاص العمل ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ

١ - سورة الجن، الآية ١ - ٢.

٢ - سورة الجن، الآية ٣ - ٤.

٣ - سورة الجن، الآية ٨ - ٩.

٤ - سورة الجن، الآية ١٤ - ١٥.

٥ - سورة الجن، الآية ١٩ - ٢٠.

أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا^(١).

و ختمت السورة ببيان اختصاص الله سبحانه وتعالى بمعرفة الغيب و احاطته بعلم جميع ما في الكائنات قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا^(٢)﴾^(٣).
وبين الاغراق في الوهم والاغراق في الانكار يقرر الإسلام حقيقة الجن ويصحح التصورات العامة عنهم ويحرر القلوب من خوفها وخضوعها لسلطانهم الموهوم.

فإذن الجن يتصفون بخصال شتى ونعوت تميزهم هي:
أولاً: لهم حقيقة موجودة فعلاً ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ...﴾
إذن هذا الخلق يسمع ويعقل.
ثانياً: انهم يجيدون اللغة العربية ويتكلمونها ويعقلونها وينقلونها ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ إذن يتكلمون ويسمعون ويفهمون.
ثالثاً: ان فيهم الصالح وفيهم غير ذلك ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾.
رابعاً: ان فيهم الضال المضل ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَا

١- سورة الجن، الآية ٢٠ - ٢١.

٢- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ادارة الشؤون الدينية، قطر ج ٣، صفحة ٤٥٦ - ٤٥٧.

٣- سورة الجن، الآية ٢٦ - ٢٧.

ظَنَّنَا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

خامساً: انهم قابلون للهداية من الضلال ومستعدون لادراك القرآن سماعاً وفهماً وتأثراً ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾

سادساً: انهم قابلون بخلقهم لتوقيع الجزاء عليهم وتحقيق نتائج الايمان والكفر فيهم ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا * وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾

سابعاً: انهم لا ينفعون الانس حين يلوذون بهم بل يرهقونهم ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾

ثامناً: ان الجن لا يعلم ما سيجري ولم تعدلهم صلة بالسماء ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاهَا مُلْتَثَّ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا * وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمِّنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾

تاسعاً: وانهم لاصهر ولا نسب بينهم وبين الله سبحانه ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾

عاشراً: وان الجن لاقوة لهم ولا حيلة مع قوة الله سبحانه: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُنْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجزَهُ هَرَبًا﴾

الحادي عشر: وفي آيات اخرى من سور شتى نجدهم انهم لا يعلمون الغيب ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ

فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١١﴾
 الثاني عشر: ان الجن يرانا ولا نراه ﴿إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (٢).

الثالث عشر: ان الجن خُلِقَ من مارج من نار ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ (٣).

ومعنى مارج من نار هو: من لهب النار الذي لادخان فيه وعن مجاهد من نار مختلط احمر واسود وأبيض وقيل مرج الصافي من لهب النار (٤).

الرابع عشر: ان لديهم قدرات هائلة في الانطلاق والتحرك سيما العفاريت منهم ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (٥).

والعفريت هو المارد القوي الداهية.

الخامس عشر: كما أن هناك مشتركات كثيرة بين الجن والانس وباقي المخلوقات ﴿وَحُسَيْنَ لِّسَلِيمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (٦) أي جمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير يمنع اولاهم.. يقف او ينتظر.. ليلحق بهم آخرهم.

١ - سورة سبأ، الآية ١٤.

٢ - سورة الاعراف، الآية ٢٧.

٣ - سورة الرحمن، الآية ١٥.

٤ - الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي، ج ١، ص ١٣٨.

٥ - سورة النمل، الآية ٣٩.

٦ - سورة النمل، الآية ١٧.

السادس عشر: ان الجن يعملون كالbشر بل لديهم من الطاقات والقدرات اكثر وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» (١).

وقد تكفلت هذه السورة - اي سورة الجن - بتصحيح ما كان مشركو العرب يظنونونه عن قدرة الجن و دورهم في هذا الكون (٢).

اما الذين ينكرون وجود هذا الخلق فلا دليل لهم وعلام يبنون افكارهم حيث ان النفي كالاتبات كلاهما يحتاج إلى دليل فهل انهم عرفوا كل ما في الكون من خلائق فلم يجدوا الجن من بينها.

الثامن عشر: ان هناك اشارة إلى ان الجن في الآخرة يدخلون الجنة و يتزوجون بمثل جنسهم.

قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ (٣)
فكما ان للانس حور عين كذلك للجن حور عين من جنسهم.

١ - سورة سبأ، الآية ١٢ - ١٣.

٢ - تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب ج ٦، صفحة ٣٧٢٢، دار الشروق - القاهرة.

٣ - سورة الرحمن، الآية ٥٦.

ثالثاً: الفرق بين الشيطان و الجن

لقد تقدم الحديث ان الشيطان لغة هو التباعد و كل شيء بعيد و منه بشر شطون و شطنت الدار و غربة شطون، و كل عات متبرد من الجن و الدواب، و ان الشيء اذا استقبح شبه بالشيطان، لا يُرى ولكن يُستشعر به^(١). واصطلاحاً: هو الشرير، وقد غلب استعماله في ابليس الذي يصفه القرآن الكريم و ذريته، فهو خلق من خلق الله مكلف كالانسان وهو من الجن و الجن مخلوق من النار.

قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣).

إذن الشيطان أو ابليس بالمعنى الاصطلاحي هو من سنخ الجن و لكن الشيطان كفر، اما الجن فمنهم الصالحون ومنهم دون ذلك. قال تعالى: ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونُ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾^(٤) وقالوا على انفسهم أيضاً ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾^(٥).

أي من الذين استسلموا لما أمرهم الله سبحانه به وانقادوا لذلك ﴿وَمِنَّا

١ - لسان العرب - ابن منظور ج ٧، ص ١٢١.

٢ - سورة الكف، الآية ٥٠.

٣ - سورة الذاريات، ٥٦.

٤ - سورة الجن، ١١.

٥ - سورة الجن، ١٤.

أَلْقَاسِطُونَ» أي الجائرون عن طريق الحق^(١).

ولقد ذكروا أيضاً أن ابليس كان سفيه ونسبوه إلى انفسهم قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾^(٢) أي ان ابليس كان جاهلاً و كان يقول على الله سبحانه باطلاً، فاعترفوا بأن ابليس كان يخرج عن الحد في اغواء الخلق و دعائهم إلى الضلال و قيل (شططا) أي قولاً بعيداً من الحق و هو الكذب في التوحيد و العدل^(٣).

ولا يفوتنا ان نذكر ان الشيطان كان من الكافرين بصريح القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٤).

أي انه كان كافراً في الاصل وهذا القول يوافق مذهبنا في الموافاة وقيل أرادَ كان في علم الله تعالى من الكافرين وقيل معناه صار من الكافرين، والنتيجة انه كان من الكافرين^(٥).

١ - مجمع البيان - الطبرسي ج ١٠، ص ٥٥٩.

٢ - سورة الجن، ٤.

٣ - مجمع البيان - الطبرسي ج ١٠، ص ٥٥٥.

٤ - سورة البقرة، ٣٤.

٥ - مجمع البيان - الطبرسي ج ١، ص ١٩١.

رابعاً: اسماء الشيطان

ان من اسماء الشيطان:

١) ابليس وهو أبرزها وسمي ابليس لانه ابلس من رحمة الله أي آيس قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(١).

٢) الوسواس أيضاً ومن اسمائه انه وسواس لأنه يوسوس في صدور الناس قال تعالى: ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾^(٢).

٣) الخناس أيضاً من اسمائه الخناس لانه يخنس أي يسكن و يسكت حينما يذكر اسم الله تعالى، قال تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ...﴾^(٣).

٤) الغرور سمي بالغرور لانه يغرّ الآخرين و يخدعهم. قال تعالى: ﴿.. وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ..﴾^(٤) والغرور نوع جهل يوجب إعتقاد الفاسد صحيحاً والرديء جيداً و سببه وجود شبه أوجبت ذلك.

٥) السفیه فقد سمّاه الجن بأنّه سفیه أي جاهل او الذي يقول غير الحق قال تعالى على لسان الجن ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾^(٥).

٦) عزازيل

٧) طاووس الملائكة

١ - سورة الكهف، ٥٠.

٢ - سورة الناس، ٥.

٣ - سورة الناس، ٤.

٤ - سورة فاطر، ٥.

٥ - سورة الجن، ٤.

٨) كنيته ابو مَرّة

٩) الخبيث

١٠) المهلك

١١) الهاوية

١٢) رئيس العالم - أي عالم الشر^(١):

خامساً: الشيطان أداة اختبار

هناك دوران للشيطان هما:

الدور النظري: - حيث ان الإنسان مختار حسبما أراده الله عزّ وجلّ له، ولم يكن ظالماً بحقه، فالإنسان باختياره يسلك أي طريق شاء، فهو يراد له أن يصحح مسيره كي يحصل على ثواب الآخرة فضلاً عن سعادة الحياة الدّنيا، ويستحق الأجر والمدح الذي حصل عليه بجهد واختياره وإن تعرض إلى وسوسة ودعوة الشّيطان، ولو لم تكن هناك دعوة للشيطان في الحياة الدّنيا لما حصل ذلك الإنسان على تلك الرفعة والمنزلة والدرجة العالية قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (١).

الدور العملي: - وهو إنّ الإنسان بمجرد أن يغفل عن ذكر الله عزّ وجلّ ويتعد عنه قليلاً، يداهمه الشّيطان ويأمره بالفحشاء والمنكر، بعد عملية الوسوسة والدّعوة إلى الشرّ، فينبغي للإنسان ان ينتبه فوراً بأن هناك شيئاً بدأ يدفعه عن الطّريق القويم إلى طريق آخر معوج وإلى شيء منكر لا يقبله العقل، فيعود فوراً ويستعيذ بالله عزّ وجلّ ويعود إلى طريقه المستقيم الأول قال تعالى: ﴿...إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢).

علاقة الشّيطان بالمعاصي علاقة مباشرة كعلاقة الألم بالمرض فمن نعم الله عزّ وجلّ على الإنسان أنّ المرض له منبه وهو الألم فلكي يشعر الإنسان بمرضه

١ - سورة الرحمن، ٤٦.

٢ - سورة الاعراف، ٢٠١.

يتألم، فيبادر لعلاج، وإذا لم يشعر إنه مريض ربما يموت أو قبل الموت بفترة وجيزة جداً وهو لا يعلم أنه كان مصاباً بمرض عضال أودى به إلى الهلاك، لذا نجد ان من أخطر الأمراض هي تلك الأمراض التي لأعراض لها، لا ألم لها يحس الإنسان بوجودها من قبيل بعض أمراض السرطان مثلاً، حيث يكمن خطره في كثير من الأحيان بعدم الشعور به منذ بداية الإصابة به وإلاّ يمكن علاجه في المراحل الأولى.

كذلك الشيطان حيث إننا لانستطيع ان نشخص مصداقاً للطاعة إلاّ وإلى جانبه مصداقاً للمعصية فنحن لاندرك ان هذا السلوك طاعة لله عزّ وجلّ إلاّ بإدراكنا ان هناك ما يقابله من سلوك منحرف فيه معصية الله سبحانه وتعالى، وبالأضداد تعرف الأشياء فلو لم يكن هناك نهار لم نعرف الليل ولو لم يكن هناك حر لم نعرف البرد وهكذا... تُعرف الطاعة بوجود ما يقابلها.

سادساً: معنى التلبيس والغرور

التلبيس: اظهار الباطل في صورة الحق، والغرور نوع جهلٍ يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً و الردىء جيداً، و سببه وجود شبهه أوجبت ذلك، وانما يدخل ابليس على الناس بقدر ما يمكنه، ويزيد تمكُّنه منهم ويقلّ على مقدار يقظتهم و غفلتهم و جهلهم وعلمهم. كما ان القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللور أبواب وفيه ثلَم وساكنة العقل والملائكة تتردد على ذلك الحصن، وإلى جانبه رَبَضٌ فيه الهوى والشياطين تختلف على ذلك الرَبَض من غير مانع والحرب قائمة بين أهل الحصن وأهل الرَبَض، والشياطين لاتزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثُّلَم.

فينبغي للحارس ان يعرف جميع ابواب الحصن الذي قد وكل بحفظه وجميع الثُّلَم، وان لا يفتَرَ عن الحراسة لحظة. فانَّ العدوَّ ما يَفْتَرُ. قال رجل للحسن البصرى أينام ابليس؟ قال: لونام لوجدنا راحةً. وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالايمان، وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل ما يمر به، فأول ما يفعل الشيطان في الرَبَض إكثار الدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرأة، وكما ل الفكر يردّ الدخان، وصقل الذكر يجلو المرأة. وللعُدو حملات، فتارة يحمل فيدخل الحصن، فيكُرُّ عليه الحارس فيخرج، وربما دخل فَعَاث وربما أقام لغفلة الحارس، وربما ركدت الريح الطاردةُ للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرأة فيمر الشيطان ولا يدري به، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته، وربما صار كالفقيه في الشر.

قال البعض: رأيت الشيطان فقال لي: قد كنتُ القي الناس فأعلمهم، فصرت ألقاهم فأتعلم منهم.

وربما هجم الشيطان على الذكي الفطن ومعه عروس الهوى قد جلاها فيتشاغل الفطن اليها فيستأسره، وأقوى القيد الذي يوثقُ به الاسرى الجهل، وأوسطه في القوى الهوى، واضعفه الغفلة، وما دام درع الايمان على المؤمن، فإن نبل العدو لا يقع في مقتل^(١). كما ورد عن البعض ان الشيطان ليفتحُ للبعد تسعة وتسعين باباً من الشر، فهي بحسب طبيعة المتلبس عليه إذا كان قوياً جيداً لا يقوى عليه بسهولة فهو يرضى منه ولو بالقليل. اما إذا كان ضعيفاً هزياً فإنه يدرجه معه حيث يشاء حتى ان اصحاب الاهواء و من خدعهم بطول الامل فانه يلعب بهم كيف يشاء.

والغرور: هو نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والرديء جيداً وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك^(٢).

١ - تلبس ابليس - ابن الجوزي البغدادي، ص ٤٩ - ٥٠.

٢ - لسان العرب - ابن منظور ج ١٠، ص ٤١.

الفصل الثالث

خطوات الشيطان

- ١- معنى خطوات الشيطان
- ٢- ما ورد في تفسير خطوات الشيطان
- ٣- عمل الشيطان
- ٤- سياسة الشيطان
- ٥- كيف يتعامل الشيطان مع الإنسان
- ٦- مراحل تأثير الشيطان على النفس الإنسانية
- ٧- اتباع الهوى
- ٨- براءة الشيطان من اتباعه
- ٩- مدى تسلط الشيطان على الإنسان
- ١٠- حث الشيطان لترك إقامة دولة الإسلام
- ١١- حث الشيطان لترك إقامة الحدود الإلهية
- ١٢- الغاية من عرض القرآن الكريم لاساليب الشيطان

معنى خطوات الشيطان وتعريفها

(١) تعريفها:

خطوات لغة واصطلاحاً:

خطوات في اللغة: خطا يخطوا خطأً واختطى واختاط مقلوبٌ مشى. والخطوة، بالضم: ما بين القدمين، والجمع خُطى وخطوات وخطوات. قال سيبويه وخطوات لم يقلبوا الواو لأنهم لم يجمعوا فعلاً ولا فُعلةً على فُعَل، وإنما يدخل الثقيل في فُعَلات ألا ترى أن الواحدة خُطوة؟ فهذا بمنزلة فُعْله، وليس لها مُذَكَّر. وقيل الخطوة لغتان، و الخطوة الفعل، والخطوة، بالفتح المرّة الواحدة، والجمع خَطَوَات بالتحريك، وخِطَاء مثل رَكوة وركاء، قال امرؤ القيس:

لها وثبات كوثب الطّباء فوادٍ خطاءٍ ووادٍ مطرٌ

قال ابن بري: أي تخطو مرّةً فتكفّ عن العَدْوِ وتعدو مرّةً عَدْواً يشبه المطر، وروى ابو عبيدة فوادٍ خطيطٌ قال الاصمعي: الارضُ الخطيطة التي لم تُمَطَّر بين أرضين ممطورتين، وروى غيره كصوب الخريف، يعني ان الخريف يقع بموضع ويُخطيء آخر. وفي حديث الجمعة: رأى رجلاً يتخطى رقاب الناس أي يَخْطو خَطوة خَطوة.

اصطلاحاً وفي الحديث: وكثرة الخطى إلى المسجد.
 وقوله عز وجل: ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ قيل هي طُرُقُه أي لا تسلكوا
 الطريق التي يدعوكم إليها، وعن ابن السكيت قال أبو العباس في قوله تعالى
 ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي في الشر، وقال الزجاج: خطوات الشيطان
 طُرُقُه وآثاره، وقال الفراء معناه لا تتبعوا أثره فإنَّ اتباعه معصية انه لكم عدو مبين.
 وقال الليث معناه لا تقتدوا به قال وقرأ بعضهم خُطُوَاتِ الشيطان من
 الخطيئة أي المأثم^(١).

٢) ما ورد في تفسير خطوات الشيطان

ورد في تفسير قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلًّا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١).

فقد اختلف في معناها و تفسيرها:

١ - عن ابن عباس «لا تتبعوا اعمال الشيطان» أي اعمال الشيطان هي خطواته فمن اتبعها فقد اتبع خطواته.

٢ - عن مجاهد وقتاده «لا تتبعوا خطايا الشيطان» أي ذنوب الشيطان فمن ارتكب الذنوب التي ارتكبتها الشيطان فقد اتبع خطواته.

٣ - عن السدي «لا تتبعوا طاعتكم الشيطان» أي طاعة الشيطان هي خطواته من اطاع الشيطان فقد اتبع خطواته.

٤ - عن الخليل «لا تتبعوا اثار الشيطان» أي من اتبع آثاره فقد اتبع خطواته وآثاره هي خطواته.

٥ - وروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام: «ان من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق والنذور في المعاصي وكل يمين بغير الله تعالى». فهي إذن كل يمين للطلاق الذي لا داعي له والنذر بما يغضب الله سبحانه وكل قسم بغير الله سبحانه وتعالى.

٦ - وعن القاضي «لا تتبعوا وساوس الشيطان» فخطوات الشيطان هي

مايوسوس به في صدور الناس بما يبعدهم عن ساحه رحمة الله وطاعته.

٧- وعن الماوردي «ما ينقلهم من معصية إلى معصية حتى يستوعبوا جميع المعاصي، مأخوذ من خطو القدم في نقلها من مكان إلى مكان حتى يبلغ مقصده» فهو يدبّ معهم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء^(١).
وقد وردت خطوات الشيطان في القرآن في اربع آيات فقط وان كان الحديث عنها عام وشامل في كل ما يتحدث به القرآن عن الشيطان وهذه الآيات هي:

- (١) قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٢)
- (٢) قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٣).
- (٣) قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْاَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(٤).
- (٤) قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللّٰهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٥).

١- مجمع البيان - الطبرسي ج ١، ص ٤٥٩ - ٤٦٠.

٢- سورة البقرة، الآية ١٦٨.

٣- سورة البقرة، ٢٠٨.

٤- سورة الانعام، ١٤٢.

٥- سورة النور، ٢١.

إذن خطوات الشيطان هي طُرُقُهُ و آثاره و آثامه و اساليبه و اعماله و خطاياه و وساوسه وكل ما يؤدّي إلى معاصي الله سبحانه، وستعرض بالتفصيل مع الشواهد القرآنيّة والحديثيّة إلى هذه الخطوات و متعلقاتها وظروفها الموضوعية باذن الله تعالى، وليكن هذا البحث تفسيراً موضوعياً فنحن نستنطق القرآن ونسأله والقرآن الكريم يجيبنا، ونحن نستشفي بالقرآن، والقرآن يقدم لنا دواء دائنا، وكذلك احاديث الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته الكرام عليهم السلام. كما أنّه من الطبيعي أننا نجد العناء فعلينا ان نبذل قصارى جهودنا حتى نصل إلى قطف الثمار وتحويلها إلى خطة عملية و برنامج حياتي لمن أراد السلوك إلى شاطئ الامان.

(٣) عمل الشيطان:

ما هو عمل الشيطان؟ ما هي طرقه؟ ما هو دوره؟

لقد تعرض القرآن الكريم في العشرات من الآيات المباركة إلى ذكر الشيطان وعمله واساليبه و من اهم اعماله مع الإنسان هي:

١- الوسوسة: وهي الالتقاء في النفس والعرض. قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ...﴾^(١). ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾^(٢) أي إذا وسوس إليهم الشيطان.

٢- النزغ: وهي الاغراء والافساد وحمل البعض على البعض الآخر قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

٣- التزيين والتجميل بقصد الغش والخداع و اظهار الامور على غير حقائقها. قال تعالى: ﴿...لَّا زَيْنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾^(٤).

٤- غواية الناس: أي خيبتهم و اضلالهم و ابعادهم عن الهداية. قال تعالى: ﴿وَلَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٥).

٥- اضلال الناس: قال تعالى: ﴿وَلَا ضَلَالَتَهُمْ...﴾^(٦).

١- سورة الاعراف، ٢٠.

٢- سورة الاعراف، ٢٠١.

٣- سورة الاعراف، ٢٠٠.

٤- سورة الحجر، ٣٩.

٥- سورة الحجر، ٣٩-٤٠.

٦- سورة النساء، ١١٩.

٦- القاء الاماني والاحلام الكاذبة. قال تعالى: ﴿... وَلَا مَنِّيَنَّهُمْ...﴾، ثم قال تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١).

٧- إذن عمل الشيطان الكذب والخداع

٨- يأمر بالفحشاء: قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾^(٢).

٩- التسلط على الذين يتولونه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾^(٣).

١٠- أن يكون ولياً لمن يتسلط عليهم ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ...﴾^(٤).

١١- الشيطان يصرع اوليائه ويستحوذ عليهم و يصيبهم بما يريد من الانحراف فيكون سلوكهم غير عقلائي وغير مدروس و مهلك. قال تعالى: ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(٥).

١٢- الشيطان قد يتسلط على البعض وهذا لون ابتلاء فيتسلط على أجسامهم و يؤذيهم بنحو من السببية والتأثير كما جرى مع أيوب عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ

١- سورة النساء، ١١٩ - ١٢٠.

٢- سورة البقرة، ٢٦٨.

٣- سورة النحل، ١٠٠.

٤- سورة النحل، ١٠٠.

٥- سورة البقرة، ٢٧٥.

وَعَذَابٍ ﴿١﴾ اِي اصابني الشيطان بتعب و مرض جسدي ﴿٢﴾.

١٣ - الاستفزاز والجلبة والمشاركة مع بني البشر في الأموال والأولاد قال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِزُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿٣﴾.

١ - سورة ص، ٤١.

٢ - الميزان - الطباطبائي - ج ١٧، ص ٢٠٨ - ٢١٥.

٣ - سورة الأسراء، ٦٤.

(٤) سياسة الشيطان:

إِنَّ خُطَّةَ الشَّيْطَانِ سِيَاسَةُ الْخُطْوَةِ خُطْوَةً، ^(١) فَلَا تَوْجِدُ آيَةً تَقُولُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الشَّيْطَانَ بَلْ تَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ ^(٢)

فالشيطان لا يدل الإنسان على الشر دفعة واحدة، بل على دفعات في خطوات خفية لا يشعر الإنسان بها، ولهذا عندما نقول لإنسانٍ ما عمل عملاً سيئاً بأن الشيطان قد وسوس إليه وزين له ارتكاب هذا العمل السيئ يستغرب ويتساءل أين الشيطان؟

ويؤكد لنا بأنه بنفسه الذي قرر وخطط ونفذ هذا العمل ولم يحصل ان الشيطان هو الذي وسوس إليه، فالإنسان لا يشعر بوجود الشيطان على الرغم من انه يجري من ابن آدم مجرى الدم وبإمكانه أن يشاركه في المسكن والمأكل والمشرب والملبس والمنكح وذلك إذا لم يسم الله ويتلو الاذكار الخاصة لكل امر من الامور الحياتيه كما بين ذلك رسول الله ﷺ ومن الطبيعي ان الإنسان لا يرى الشيطان ولا يشعر بوجوده وان كان الشيطان يراه فقد قال تعالى بعد تحذيره من فتنة الشيطان ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ ^(٣).

فالشيطان كي يصل إلى هدفه النهائي يظل يوسوس ويوسوس ولا ييأس

١ - التعرّي الشيطاني - عدنان الطرشه، ص ١٦.

٢ - سورة النور، ٢١.

٣ - سورة الاعراف، ٢٧.

ولا يعجز ولا يكل ولا يمل لانه قد أخلص لمهمته فيستمر عليها حتى تتحقق خطوة من هذه الخطوات، ثم يترك الإنسان عليها زماناً ليعودده على هذه الخطوة، فإذا وجده قد اعتادها واصبحت شيئاً مستساغاً مستطاباً عادياً، وتبلد شعوره تجاهها يبدأ في الوسوسة لتنفيذ الخطوة التالية^(١).

هكذا اسلوبه في التدرج لارتكاب المعاصي حتى يوصله إلى الكفر والعياذ بالله فهو يسلك المنافذ المفتوحة ونقاط ضعف الإنسان حيث ان لكل انسان نقاط قوة ونقاط ضعف إلا ما عصم ربي فهو يأتيه منها ان كان يحب المال او الجنس او الشهرة او...

كما ان الشيطان لا ينتقل إلى الخطوة التالية إلا بعد تثبيت الخطوة السابقة بمرور الزمن بحيث تصبح امراً عادياً لا يشعر الإنسان بأي حرج فيها، فإذا حصل ذلك فقد اصبح هذا الإنسان مؤهلاً لينتقل به الشيطان إلى الخطوة التالية^(٢).

إنَّ الشيطان يتخلَّى عن الإنسان بمجرد ان يحقق هدفه النهائي قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

فمن كيد الشيطان انه يورده الموارد التي يخيل إليه أن فيها منفعة ثم يصدره المصادر التي فيها عطبه ويتخلَّى عنه ويسلمه ويقف يشمت به ويضحك منه^(٤).

١ - التمرى الشيطاني - عدنان الطرشة ص ٢٠.

٢ - حقيقة الجن والشياطين - محمد علي السيد أبي ص ١٠٠.

٣ - سورة الحشر، ١٦.

٤ - أغاثة اللهفان - ابن القيم ج ١، ص ١٠٨.

٥) كيف يتعامل الشيطان مع الإنسان؟

الشيطان ذلك المخلوق العجيب الشّرير له نحو من التأثير على إرادة الإنسان ولكن بالشكل الطّولي وليس بالشكل العرضي التقاطعي وإلاّ شعر به الإنسان وتجنّبه إضافة إلى أن ذلك لا يكون بلحاظ التدخل المفروض على الإنسان وهذا مرفوض ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(١).

فإذا سلط الله سبحانه وتعالى الشيطان على الإنسان بالإكراه معنى ذلك أنّه أجبره على المعاصي وبالتالي يكون طعناً في العدالة الإلهية وهذا لا يكون أساساً، كما أن الله سبحانه وتعالى إذا جعل الشيطان مخلوقاً ظاهراً نراه ونسمعه ونحسه بحواسنا الخمسة سوف نَحْذَرُه، وإذا تدخل بشكل مباشر على إرادتنا وبصورة قسرية، معنى ذلك تقع في تعدد الإرادات فتكون النتيجة لتأثير إرادتين في عرض واحد من مخلوقين موجودين في آن واحد يشتركان في فعل واحد، فيلزم منه انتفاء إرادة ذلك الإنسان المسكين وبالتالي يكون هناك ظلم إلهي وقبائح صادرة من الله عزّ وجلّ وهذا لا يكون.

فإذا فرضنا إنّ الشيطان مثلنا ونحن لا نتحرك إلاّ بإشارة منه وبإرادته، وإرادته في عرض إرادة الإنسان، كلاهما في نفس المنزل وفي رتبة واحدة معنى ذلك أن الاختيار سوف ينتهي وينتفي ويكون تدخلاً مباشراً من الشيطان، والإنسان يتحمل الوزر وهذا لا يمكن أن يحصل ويكون.

إذن ليس للشيطان تأثير عرضي تقاطعي ولا ظاهري ولا قسري وإنما له تأثير طولي مع إرادة الإنسان ومجرد أن يعرض سلته ووسوسته - ان صح التعبير - فالإنسان يقوم بالعمل، يفعل الفعل وهو لا يشعر ان الفعل أو العمل قد أثر في اختياره وجوداً آخر اسمه الشيطان قال تعالى: ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (١).

الدقة في مسلكه وخفاء سربه لا يميزه حس الإنسان وخفاء لا يقع عليه شعوره فإن الإنسان لا يرى إلا نفسه من غير أن يشعر ان وراءه من يأمره بالشر ويدفعه إلى الشقاء، والشيطان يواكب الإنسان منذ إنعقاد نطفته بل قبل ذلك الحين، منذ أن يكون مهر الزوجة من مال حرام أو الطعام الذي نشأت منه النطفة من مال حرام، ويسير معه نطفة، فمضغة، فعلقة حتى يكون مزعجاً له وهو في بطن أمه، وما أن يخرج طفلاً سوياً إلى دار الدنيا حتى يكون مزعجاً له أيضاً وحتى يستقبله ذلك الاستقبال، ونحن مأمورون في كثير من الروايات ان نعوذ اطفالنا بالله العلي العظيم من شر الشيطان الرجيم حتى ورد عن النبي محمد ﷺ إنه كان يعوذ الحسن والحسين ﷺ. حفظاً وإبقاءً لهما من تأثيرات هذا الخبيث، وما أن يكون الإنسان مكلفاً حتى يبدأ مرافقته إلى ساعة النزع والإحتضار يحضر عنده، يجلس بجانبه يكون رفيقاً له لعله يستفيد منه في تلك اللحظة العصبية الأخيرة فيسيء عاقبته ثم يدخل معه القبر «هناك قرناء معه في القبر يؤذونه ويعذبونه بألوان العذاب» ثم يكون قائده يوم القيامة حتى يورده جهنم وما أن يصل الإنسان شفير جهنم حتى

يتبرأ الشيطان منه، ويقول له أنت مكنتني منك ومن نفسك وسلطتني عليك وما كنتُ مكرهاً لك إلا أن دعوتك فاستجبت لي فلا عتب عليّ وإنما العتبُ عليك واللوم لنفسك فحسب.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُضِرِّخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُضِرِّخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

٦) مراحل تأثير الشيطان على النفس الإنسانية

ان التأثير الشيطاني يمرّ على النفس الإنسانية بعدّة مراحل قسمها بعض العلماء إلى ست مراحل، كلما تحقق مرحلة يطعم الشيطان في التي تليها، وفائدة معرفة هذه المراحل تكمن في إطلاع القارئ الكريم على عدوه بشكل سافر ومباشر حتّى يتجنب شروره وآثامه ويعرف نفسه بأيّة رتبة أو بأيّة مرحلة من هذه الرّتب أو المراحل.

المرحلة الاولى: الوسوسة

وهي رتبة الوسوسة وعرض الضلالة، وقد تحدثت عن هذه الرّتبة آيات كثيرة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءٍ تِيهَمَا...﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾^(٣).

في البدء يعرض الشيطان بضاعته عرضاً خفيفاً ليناً لطيفاً مؤدباً سائغاً، يقول

١- سورة طه، ١٢٠.

٢- سورة الأعراف، ٢٠.

٣- سورة الناس، ٤ - ٥.

لجميع اعملوا هذا، افعلوا هكذا، اتركوا هذا الشيء لا تقتربوا من هذا المطلب وهكذا يطلب منهم فعل أشياء أو ينهاهم عن فعل أشياء أخرى، كل ذلك بان يعرض لهم بعض الصور الخيالية عرضاً سلساً، يورد الإنسان بعض الأوهام بمقدار مساحة عمله (وهي مساحة الوهم والخيال) ليس إلا، قوة تأثيره فقط في مجال العرض على قوة الوهم والخيال حيث يحتل جانباً من النفس الإنسانية يؤثر عليها، ولكن ليس من حقه التسلط على كل قوى النفس الإنسانية حيث ان القوي العقلية المجردة (العقل) خارجة عن تخصص الشيطان ولا يستطيع ان يسيطر عليها لانه مخلوق مثالي وعالمه عالم برزخي لا يقوى في الوصول إلى رتبة التجرد العقلي التي لدى الإنسان، فالوسوسة مجرد عرض.

كيف يوسوس الشيطان للإنسان:

حكى السهيلي، عن عمر بن عبد العزيز: ان رجلاً سأل ربّه أن يريه موضع الشيطان منه، فأراه جسداً يرى داخله من خارجه والشيطان في صورة ضفدع بين كتفيه وقلبه، له خرطوم كخرطوم البعوضة وقد أدخله إلى قلبه يوسوس^(١).

وعن أبي ثعلبة الخشني قال: (سألت الله ان يريني الشيطان ومكانه من ابن آدم فرأيت، يده في يديه ورجلاه في رجليه ومشاعبه في جسده، غير أن له خطماً - أنفاً - كخطم الكلب، فإذا ذكر الله خنس ونكس، وإذا سكت عن ذكر الله أخذ بقلبه^(٢)) وهذا ما اشار إليه النبي ﷺ من أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم لأجل ماذا؟

١ - لقط المرجان في احكام الجان - السيوطي، ص ٨٥.

٢ - حقيقة الجن والشياطين - محمد علي السيد أبي، ص ١٠١.

لأجل الوسوسة إلى نفس الإنسان كلما سنحت له الفرصة. وقال القاضي ابويعلى (الوسواس يحتمل أن يكون كلاماً خفياً يدركه القلب، ويمكن أن يكون هو الذي يقع عند الفكرة ويكون منه مس وشكوك ودخول في اجزاء الإنسان. وقال ابن عقيل: إن قيل كيف الوسوسة من ابليس وكيف وصوله إلى القلب؟ قيل هو كلام خفي تميل إليه النفوس والطباع وقد قيل: يدخل في جسد بني آدم، لأنه جسد لطيف ويوسوس، وهو أن يحدث النفس بالافكار الرديئة^(١).

مشكلة الوسوسة:

لذا من المشاكل التي عاشها الإنسان الأول ومازلنا نعيشها في اكثر جوانب الحياة على المستويين الفكري والعملي هي مشكلة (الوسوسة). والوسوسة تمثل حالة نفسية يعيش الإنسان معها بعض الخواطر او بعض المشاعر او بعض الانطباعات التي لاتنتقل من حسابات معقولة، بل تنفذ إلى وجدان الإنسان ومشاعره من دون ان تستند إلى دراسة دقيقة.

ونحن نعلم ان الوسوسة من الشيطان قد بدأت مع أينا آدم ﷺ وأمتنا حواء اللذين أراد الله تعالى ان يدخلهما في دورة تهيب لهما القدرة الواقعية ليعيشا مع ابليس بادراك ووعي، وكانا من الطيب بدرجة لم يكن يتصورا ان أحداً يكذب كابليس مثلاً يكذب او يغش. ثم بعد ذلك انتقل الشيطان بالوسوسة إلى ذرية آدم وذلك بان يوسوس لهم من خلال ما أعطاه الله من القدرة على النفاذ إلى مشاعر

الإنسان و خواطره و غرائزه، فبدأ يزَيِّن و يقبِّح و يستغل غفلة الإنسان، فاستطاع ان يجعل من نفس الإنسان نفساً وسوسة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ (١).

ولعلنا نستشعر هذه الوسوس عندما تثير النفس فينا، حالتها الغرائزية و الانفعالية كثيراً من الافكار اللامعقولة، والهواجس والمشاعر والاحاسيس الطارئة الغريبة، ولقد اراد الله سبحانه و تعالى ان نتنبه إلى ان حالة الوسوسة حالة شيطانية، فانزل سورة كاملة اراد للإنسان ان يفتح فيها على وعي هذا المخلوق الذي ينفذ للإنسان في موقع الفكر حتى إذا تفاعلت الوسوسة في نفسه اندفع ليشير وسوسة أخرى وهكذا حتى يتحول الإنسان إلى مجموعة من الوسوس التي تحاصر عقله وقلبه وشعوره وإحساسه ثم تنفذ إلى عمله، وهذا هو أخطر اشكال الوسوسة وجاءت هذه السورة لتفتح وعي الإنسان على الوسوس الخناس ليحذر منه، فيستعيز بالله الذي يملك القوة كلها، إذا احسَّ بالضعف عن مقاومته له.

الوسوس العقائدية والفكرية:

لقد كانت الوسوس في بداية الدعوة الإسلامية عقائدية، عندما دخل الناس في الإسلام وحسن اسلامهم حيث بدأ الشيطان ينفذ إليهم ليشير بعض الافكار التي ربما يحاول من خلالها أن يهزَّ هذا الاطمئنان العقائدي في نفوسهم وهذا مما ذكرته لنا السيرة المباركة «إن أناساً من اصحاب رسول الله ﷺ أتوا رسول الله فقالوا لرسول الله: أ رأيت شيئاً نجده في صدورنا من وسوسة الشيطان

لئن يقع أحدنا من الثريا أحبَّ إليه من ان يتكلم بها فقال رسول الله ﷺ أقد وجدتم؟ قالوا: نعم قال: ذلك صريح الايمان. إن الشيطان يريد العبد فيما دون ذلك فإذا عصم العبد منه وقع فيما هنالك»^(١).

أي ان بعض الافكار ترد إلى اذهاننا، وربما كانت تتعلق بشكل سلبي بالله سبحانه بحيث نشعر بأن ايماننا الذي في نفوسنا يكاد أن يهتزّ ونشعر بالخوف من ذلك أنه لو يسقط أحدنا من الثريا إلى الارض لكان أهون مما يحدث له فهل سقط ايماننا، أي هل ان هذه الحالة النفسية التي تصل بالانسان إلى درجة لو أنه سقط من الثريا إلى الارض كان أهون عليه، حيث يريد ان يخرب الصلاة والصوم و سائر العبادات، وينحرف به إلى المعاصي فإذا لم يستطع ان يسيطر عليه في عمله فإنه ينفذ إلى فكره ليشير فيه هذه الافكار والوساوس.

وفي واقع الناس قد تحدث خواطر لديهم وقد يسألون من خلق الإنسان؟ فيكون الجواب: الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، ثم يسألون من خلق الله؟ بناءً على هذه النظرية ولكن نجد ان السؤال الثاني خطأ لماذا؟ والسبب هو إنما يُسأل عن خلقٍ لو كان الله سبحانه مخلوقاً كبقية المخلوقات التي لم تكن فوجدت من عدم، أي ان العدم كان سابقاً على وجودها، أما الازلي الذي لا أمد له ولانهاية لوجوده فلا يقال او يسأل عن خلقه.

ولذا فقد سأل شخص أحد الائمة ﷺ فقال له متى كان الله؟ فاجابه ﷺ متى

لم يكن؟

فإنما يمكن ان تسأل عن زمن الكينونة والوجود بالنسبة للشيء الذي سبق وجوده العدم، أي كان معدوماً فوجد، اما الشيء الازلي الوجود فلا يمكن ولا يصح أن نسأل من خلقه؟ ومن وجده؟ ومتى وجد؟ لأن الوجود سرُّ ذاته، وهو حقيقة الوجود فلم يسبقه العدم البته، فكيف تكون حالة خلق وايجاد ولا عدم قبلها^(١).

علاج الوسوسة:

ورد عن علي بن مهزيار انه قال: كتب رجل إلى أبي جعفر عليه السلام يشكو إليه لعماً يخطر على باله، فأجابه في بعض كلامه: ان الله عزوجل إن شاء ثبّتك فلا يجعل لا بليس عليك طريقاً، قد شكى قوم إلى النبي صلى الله عليه وآله لعماً يعرض لهم لئن تهوى بهم الريح او يقطعوا حبّ إليهم من ان يتكلّموا به فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله اتجدون ذلك؟ قالوا نعم، فقال: والذي نفسي بيده إن ذلك لصريح الايمان فإذا وجدتموه فقولوا: آمنا بالله ورسوله ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٢).

هذا هو العلاج النفسي الذي يستخدم لهذه المشكلة، وذلك بتأكيد الايمان بالكلام حتى يزول ما في النفوس من حالة الحيرة والقلق. هذا حال الإنسان الذي يشكو الوسواس في الجانب الفكري والعقائدي حتى ان الشيطان يوسوس للبعض فيحاول ان يثير فيهم معاني الكفر وسوء الظن بالله بحيث انه يصلي واحساس الكفر يعيش داخل نفسه وهو مؤمن بل وعميق الايمان، ولذا نجدة

١ - الندوة رقم ٨، محمد حسين فضل الله ص ٨٢.

٢ - الكليني - الكافي ج ٢، ص ٤٢٥ - ح ٤.

يتألم المأ شديداً وكبيراً في هذا المجال، وعلاج ذلك هو:

ان يذكر الله سبحانه وأن يستعيز به من الشيطان الرجيم حتى يشعر بأن هذه الوسوسة لم تنطلق من قاعدة فكرية راسخة في داخله، بل انطلقت من حالة طارئة تطوف به طواف الخيال كما قال تعالى: في وصف الحالة التي يمرُّ بها المتقون أحياناً ﴿...إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(١).

ونجد ان من الاداب الإسلامية ان على المصلي قبل ان يبدأ بصلاته ان يقول ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ^(٢) ليحصن نفسه من البداية، ويوحي إلى نفسه أن الشيطان ربّما ينفذ إلى صلاته فيشير فيها الكثير من الوسوس^(٣).

وقد ورد في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام «ان ابليس له خرطوم كخرطوم الكلب واضعه على قلب ابن آدم يذكره الشهوات واللذات ويأتيه بالأمانى ويأتيه بالوسوسة على قلبه ويشككه في ربه، فإذا قال العبد: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أعوذ بالله من أن يحضرون إن الله هو السميع العليم خنس الخرطوم عن القلب» أي ابتعد عنه.

و (عن جميل بن درّاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنه يقع في قلبي أمر عظيم، فقال: قل لا إله إلا الله، قال جميل: فكُلّمَا وقع في قلبي شيء قلت: لا إله

١- سورة الاعراف، ٢٠١.

٢- سورة المؤمنون، ٩٧.

٣- الندوة رقم ٨، محمد حسين فضل الله، ص ٨٣.

إِلَّا اللَّهُ فَيَذْهَبْ عَنِّي»^(١)

وعن الصادق عليه السلام قال «أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله لقيت من وسوسة صدري شدة وأنا رجل معيل مدين محوج» أى بمعنى أنا أعيش مشكلة مادية، وتأتني هذه الوسواس لتعقد الامر فقد اعترض على قضاء الله وقدره ورزقه «فقال له: كرر هذه الكلمات: «توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا» فلم يلبث الرجل أن عاد إليه فقال: يا رسول الله أذهب الله عني وسوسة صدري وقضى ديني ووسع رزقي».

هذا الاسلوب الكامل من محمد وآل محمد ﷺ في علاج الوسوسة يرتكز على قاعدة نفسية مهمة وهي ان كثيراً من الحالات السلبية التي تحدث للإنسان تعالج بأسلوب إيماني، لأن الإنسان عندما يذكر الله سبحانه، وعند ما يستعيز به من الشيطان الرجيم، وعندما يتوكل عليه ويستحضر قوته يحصل لديه الاحساس في الثقة بالنفس من خلال الثقة بالله سبحانه، ويشعر بقوة المقاومة للشيطان في هذا المجال، وعند ذلك يفهم معنى وحقيقة الوسوسة فيستطيع ان يعالجها بطريقة فكرية تزيل عنه ذلك كله.

وهناك علاج آخر وهو أن لا يهرب الإنسان من هذه الأفكار التي تسقط عقيدته وتربك إيمانه، فليحاول الوسواس أن يحضر عقله وفكره ليفكر فيها ويسأل عنها، لأن الإنسان عندما يخاف من الفكرة يسقط، أما إذا ملك الشجاعة

فراح يواجه المشكلة الفكرية وجهاً لوجه وبدأ يفكر فيها كمقدمة للخلاص منها خاصة وانها لا تركز على اساس، فعند ذلك يكتشف أنها فكرة سطحية، واذا لم يستطع الوصول إلى نتيجة في دحض الفكره فعليه ان يرجع إلى الذين يملكون الثقافة العقيدية والفكرية على هدي ما جاء به القرآن في قوله تعالى ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

فلكي نحصن عقيدتنا ونركز خطوطنا الفكرية، علينا عندما تهجم الشبهات والاشكالات ان نواجهها بمسؤولية وشجاعة بأن نرفضها من خلال مانملك من فكر، او نعالجها من خلال الرجوع إلى من يملك ذلك الفكر.

الوسوسة العملية:

تقدم الحديث عن الوسوسة العقائدية والفكرية والآن نتحدث عن الوسوسة العملية، فهناك أناس يعيشون الوسوسة في الطهارة، بحيث أن أحدهم لا يطمئن عندما يريد ان يطهر أية نجاسة في بدنه او في ثيابه او في بيته لا يطمئن لتطهيرها حتى لو أفاض عليها الماء الكثير، فهو يبقى في شك دائم أن الذي طهره لم يطهر ابداً، وتمتد الوسوسة إلى الوضوء فنجد ان بعض الناس ممن يبدأ بالوضوء من الفجر حتى طلوع الشمس و هو لم يطمئن بعد إلى صحّة وضوئه، فإما ان تشرق الشمس عليه فتفوته الصلاة او يصلّي يتيمّم.

ومن المفارقات ان البعض لديه وسوسة في الوضوء ولاوسوسة لديه في

التيمم. وهناك من يوسوس في الصلاة بحيث يعيدها أكثر من مرة، لأنه لا يطمئن إلى صحة صلاته. فقد يعتبر بعض الناس أن ذلك من علامات التقوى، ويرى فيمن يفعل ذلك مؤمناً يحافظ على تكليفه بالطريقة التي يحرز فيها اليقين، ولكن الواقع أن هذا ليس ديناً بل هو مرض لأن الدين وضع لذلك حلاً، كما لو أن أحداً شك في نجاسة يده وزال الدم مثلاً فيكفي في هذه الحالة غسلة واحدة طبيعية في إسالة الماء لتطهر، حتى ولو بالماء القليل.

خاصة وأن بشرة الجلد مستوية ولا حفر فيها لا يصلها الماء فبمجرد أن تضع عليها الماء يسيل فيطهر الموضع المتنجس من دون أية شكوك أو تردد أو تعقيد. وكذلك في الوضوء قال تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾^(١).

فلو قيل لأحد عندما يستيقظ من النوم أن يغسل وجهه كيف يغسله؟ هل يجد إشكالاً في غسله أم أنه أمر طبيعي؟ كذلك الوضوء سواء في غسل الوجه أو اليدين، أو الرجلين حتى يمكن أن يتوضأ بشيء يسير من الماء.

وكذلك الصلاة نجد البعض أنه يشك في صلاته ابتداء من القراءة حينما نطلب منه خارج الصلاة قراءة الفاتحة مثلاً نجده لا يجد إشكالاً في قراءتها بل يقرأها بطلاقة وفصاحة ولكنه نفس ذلك الشخص إذا صلى تردد وتحيّر وشك.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أن رجلاً حدثه عن شخص مبتلى بالوسوسة في الوضوء والصلاة فقال له الإمام عليه السلام: إن هذا الرجل يعبد الشيطان، فتعجب السائل، وقال له: كيف يعبد الشيطان، فقال الصادق عليه السلام: أسأله من أين يأتيه

ذلك؟ فانه سيقول لك من الشيطان.

وعن عبدالله بن سنان قال: ذكرت لأبي عبدالله عليه السلام رجلاً مبتلى بالوضوء والصلاة وقلت: هو رجل عاقل، فقال ابو عبدالله، وأي عقل له وهو يطيع الشيطان؟ فقلت له، وكيف يطيع الشيطان؟

قال: سله هذا الذي يأتيه من أي شيء هو؟ فإنه يقول لك من عمل الشيطان (١).

إذن الحل الأول: هو ذكر الله وما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته الكرام عليهم السلام. اما الحل الثاني: هو ان المبتلى بالوسوسة او بكثرة الشك عليه ان لا يعتني بها أي يردّ على الشيطان إذا قال له: ان وضوءك غير صحيح فيجيبه كلاً انه صحيح، وإذا قال له ان صلاتك باطلة يردّ عليه بأنها غير باطلة... وهكذا.

ف«عن زرارة وأبي بصير قالاه أي للإمام الصادق عليه السلام: الرجل يشك كثيراً في صلاته حتى لا يدري كم صلّى ولا ما بقي عليه؟ قال: يعيد، قلنا له، فإنه يكثر عليه ذلك كلّما عاد الشك، قال يمضي في شكّه، ثم قال: لا تعودوا الخبيث من انفسكم بنقض الصلاة فتطمّعوه. فإن الشيطان خبيث عتاد لما عود فليمض أحدكم في الوهم، ولا يكثرنّ نقض الصلاة، فانه إذا فعل ذلك مرّات لم يعد إليه الشك، قال زرارة: ثم قال: إنما يريد الشيطان أن يطاع فإذا عصي لم يعد إلى أحدكم» (٢)

هنا يكشف لنا هذا الحديث انه لا تعاد الصلاة لكثرة الشك وعلى الذي يشك إنّه لا يعتني بشكّه، فإذا اعتنى به فإنّ الشيطان سوف يسيطر عليه ويستحوذ

١- الكافي - الكليني - ج ١٠، ص ١١ - باب عدم جواز الوسوسة في النية والعبادة.

٢- فروع الكافي: الكليني - ج ٣، ص ٣٥٨.

على إحاسيسه ويبلبله ويعقّد عليه العبادة و يجعله انسان غير متوازن بل مضطرب.

كما ان هناك من يعيش الوسوسة الصحيّة، فالبعض منهم لا يصفاح الناس مخافة العدوى، بل لا يعانقه ولا يتكلّم معه لثلاثا تنتقل الجراثيم من خلال انفاسه - طبعه هكذا مع كل الناس وليس مع المرضى وإلاّ مع المرضى امر مشروع ومطلوب - فهو يعيش عزلة عن الناس، لا يكلم أحداً ولا يزور أحداً ولا يسمح لاحد ان يكلمه او يزوره.

وهناك نوع آخر من الوسوسة الاجتماعية وهي الشك بالناس وسوء الظن، فصاحب هذه الوسوسة غير مستعد ان يلتقي أيضاً بأحد فهو يحاول ان يحمل الكلام والفعل على عكسه او على الوجه او الجانب السلبي منه. وقد عالج الإمام علي عليه السلام ذلك بقوله: «ضع أمر أخيك على أحسنه ولا تظنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً او محتملاً».

فإذا دار الامر بين ان تحمله على الاسوأ او على الاحسن وكان هناك احتمال ١ - بالحمل على الاحسن فاحمله على ذلك، أي لا تحمل أخاك على الاسوأ حتى يثبت لك ذلك، وهذا لا يمنع من الحذر فإن حملك إياه على الأحسن ينبغي إلاّ يتحول إلى سذاجه، فينبغي دراسة الايجابيات كما هي عليه دراسة السلبيات، فبعض الناس لا يرى إلاّ الجوانب المظلمة من الاشخاص، بينما نجد ان لكل انسان جوانب مشرق مضيئة واخرى مظلمة، فكما ان علينا ان ننظر إلى الجانب المظلم علينا ان ننظر إلى الجانب المشرق هذا ما علّمنا السيد المسيح عليه السلام «كان سائراً مع بعض الحواريين فمروا بكلب ميت أنتنت جيفته، فقال الحواريون:

ما أشد نتن رائحته فقال عيسى عليه السلام ما أشد بياض أسنانه».

اراد عيسى عليه السلام ان يعلمهم درساً في النقد الموضوعي بأن لا ينظروا إلى الجانب السلبي فقط بل إلى الجانب الإيجابي أيضاً، ففي الناس الخير وفيهم الشرير. (١)

حذار من الموسوسين:

علينا ان نكون يقضين واعين لما حولنا ولمن حولنا، فإن هناك شياطين من الانس كما ان هناك ابليس و شياطين من الجن فهناك من يعمل على وسوسة الناس في امورهم الحياتيه و على مختلف الاصعدة العلميه والثقافيه والدينيه والسياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه والامنيه والاخلاقيه وهكذا..

هؤلاء هم الذين يحاولون ارباك المجتمع ويهزوا ثقته بعضه البعض الآخر، وان يخلقوا الفتن من خلال افقاد الناس ثقتهم بعضهم البعض الآخر. علينا ألا نعيش الغفلة والاهمال عن واقع وسلوك هؤلاء وان نكرر قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (٢).

إذا انبسط الإنسان واستجاب لهذا العرض ولأن وما تباعد عن الاستجابة إذا ارتخي واقتنع ولو بدرجة من درجات القناعة، إذا تحقق هذا التملل أو هذا الإنبساط يكون بذلك قد استجاب وتحققت الرتبة الاولى عنده وانتقل في

١ - الندوة رقم ٨، محمد حسين فضل الله، ص ٨٨.

٢ - سورة الناس.

استجابته إلى رتبة أخرى اشد وأكثر خطراً وهي الرتبة أو المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية: (النزغ)

والنَزْغ لغة الإغراء، نزغ: أي أغرى وأفسد وحمل بعضهم على بعض، والنَزْغ: الكلام الذي يُغري بين الناس، ونَزَغَ الشيطان بينهم يَنْزَعُ، وَيَنْزَعُ نَزْغاً أي أفسد ويفسد فساداً.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

والنَزْغُ شبه الوخز والطعن، طعنه بيد أو برمح^(٢) وقد ذكر القرآن الكريم في العديد من الآيات المباركة هذه المرحلة، منها قوله تعالى: ﴿... مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي...﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٥).

والنَزْغ حالة استفزاز الشيطان للإنسان، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَظَّتْ

١ - سورة الأعراف، ٢٠٠.

٢ - لسان العرب - ابن منظور - ج ١٤ ص ١٠٨.

٣ - سورة يوسف، ١٠٠.

٤ - سورة الأسراء، ٥٣.

٥ - سورة فصلت، ٣٦.

مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ...»^(١)

والنزع أوله وسوسة وآخره مس أي الإصابة والإضرار بالبدن قال تعالى:
﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾^(٢).

والقرآن الكريم لم يتحدث كثيراً عن خلق الشيطان ولم يذكر سوى مطلبين
أو أمرين هما أنه كان من الجن وأنه خرج عن طاعة الله سبحانه ولكنه تحدث
كثيراً عن أفعاله وتأثيراته وطرقه وهذا هو المهم والمطلوب والذي فيه الفائدة.
نجدّه أحياناً يوسوس وأحياناً يستفز وأخرى ينزع ثم نراه يهجم بخيله ورجله أي
رجاله وعساكره قال تعالى: ﴿... وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ...﴾^(٣)

ثم شاركهم في أموالهم وأولادهم ﴿... وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ...﴾^(٤)

أما كيفية مشاركته في أموال الناس وأولادهم فهي أن يدعهم يأكلونها
بالباطل يأخذونها من غير حلٍ ظلماً وغصباً وعدواناً، وكذلك يشاركهم في
أولادهم ! ينشأون من تلك الأموال الباطلة يتغذون على السحت وهو المال
الحرام بل يتعدى الأمر قبل هذا، ابتداءً من مهور أمهاتهم من صداق الأزواج
أمهاتهم اللاتي آتين بهم إلى الحياة الدنيا ومروراً بانقضاء النطفة من المال الحرام.
الشيطان يستفز من يستطيع استفزازه، يمر بقوم جالسين فيصرخ بهم

١ - سورة الأعراف، ٦٤.

٢ - سورة ص، ٤١.

٣ - سورة الأعراف، ٦٤.

٤ - سورة الأعراف، ٦٤.

يستنهضهم إلى ارتكاب المعاصي، يطلب منهم الخفة والسّعة، ويطلب منهم طاعته بهذه الطريقة.

ينزع البدن المثالي للإنسان، وليس البدن المادي يتحرك ويحركه في عالم المثال ويؤثر عليه شيئاً فشيئاً.

في هذه المرحلة خرج من الأسلوب المؤدّب ومن الطلب اللطيف، حيث في المرحلة السابقة، كان أسلوبه سلساً ليناً أما الآن أصبح يزجره وينغزه ويصرخ به وأسلوبه هذا أشبه بأسلوب بعض المربين مع الصغار، في الوهلة الأولى يطلب المربي من الصغير شيئاً بطريقة هادئة، وإذا لم يستجب له كررها ثم بعد ذلك إذا أحسّ أنه لا جدوى من أسلوبه هذا فماذا يفعل؟ يصرخ به، ينهره أو أحياناً قد يضربه، كلّ ذلك يدعو للتعجيل في تنفيذ الطلب.

الاستعاذة

لذا ينبغي لنا إذا أصابنا النزغ أن نستعيز بالله العظيم من الشيطان الرجيم قال تعالى: ﴿وَإِذَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

فما معنى الاستعاذة؟

الاستعاذة جاءت من العوذ والعياذ (بكسر العين) والمعاذ والاستعاذة طلب العوذ والتوكل على الله تعالى والتوكل صدق العبودية لله تعالى والاستعاذة بمعنى

الإلتجاء أي فالتجىء بالله من نزغ الشَّيْطَان أَنَّهُ السَّمِيع لمسألتك العليم بحالك^(١) ويشترط في الإستعاذة أمران هما:

الأمر الأول: القورية، أي عدم التباطؤ والتراخي، لأنّه بمجرد ان يتراخى الإنسان من الإستعاذة سوف يُنسيه الشَّيْطَان ما ارتكب من الذنوب وهكذا تتراكم عليه الخطايا والذنوب وبالتالي يصعب عليه التخلص منها.

الأمر الثاني: ان تكون الإستعاذة عملية وليست لفظية فقط، ينبغي أن تكون الإستعاذة قولاً و عملاً، فإذا كانت لفظاً مجرداً عن العمل، اللسان يتعوذ والقلب مصرّ على الذنب ومستمر في ارتكابه، معنى ذلك ان تلك الإستعاذة لم تأخذ أثرها ولا فائدة عملية فيها ويكون المذنب باقياً على ذنبه مصرّاً ومزاولاً له.

لذا ينبغي اللجوء فوراً إلى الله (إلى الحصن الحصين) والشّعور بعصمته من شر الشَّيْطَان وان تكون الإستعاذة عملية حقيقية، ومن هنا يتجسد الذكر الحقيقي لله تعالى ومن هنا جاءت الفاء في كلمة (فاستعذ) إشارة إلى القورية في الموقف في قوله تعالى: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ...﴾^(٢).

فبعد الإنتهاء من حديثنا عن الإستعاذة، باختصار وسنفرد لها لأهميتها عنواناً خاصاً بها بعد الفراغ من مراحل تأثير الشيطان على النفس الانسانية مباشرة. أمّا الآن نبدأ من حيث إنتهينا ونقول فأما إذا انبسط الإنسان لذلك النزغ ولذلك الإستفزاز واستجاب للشيطان، فمعنى ذلك أنّه قد تهيأ أو انتقل إلى مرحلة جديدة ألا وهي مرحلة الأمر واستلام وتلقي الأوامر من الشَّيْطَان وهي كما يدور

١ - الميزان في تفسير القرآن (الطباطبائي) ج ١٧، ص ٣٩٢.

٢ - سورة فصلت، ٣٦.

البحث فيها في المرحلة التالية.

المرحلة الثالثة: مرحلة تتبع خطوات الشيطان أو تلقي الأوامر الشيطانية:

وهذه المرحلة تتجسد أو تظهر في العديد من الآيات القرآنية الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ...﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا ضَلَالَتُهُمْ وَلَا مَنِيَّتُهُمْ وَلَا أَمْرَنَّهُمْ فَلْيَتَّبِعُوا اللَّهَ إِذَا نَادَى الْأَنْعَامَ وَلَا أَمْرَنَّهُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾^(٣).

يصبح الإنسان في هذه المرحلة أمام الهاوية والهلاك حيث يمثل لأوامر الشيطان ومعنى ذلك أنه يحتجب عن طاعة الله عز وجل بل يعمل على معصية الله جل شأنه فيصبح مأموراً للشيطان، والشيطان هو الأمر بالفحشاء والمنكر، ولكن لا يعني ذلك ان الإنسان الذي بلغ به الشيطان هذه الرتبة يمتلكه القنوط واليأس وليس كل من حل في هذه المرحلة أصبح فريسة الشيطان دائماً، وقد انقطع به الطريق حيث لا عودة للحق والصواب والخير والمغفرة والفضل الواسع، قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤).

١ - سورة النور، ٢١.

٢ - سورة البقرة، ٢٦٨.

٣ - سورة النساء، ١١٩.

٤ - سورة البقرة، ٢٦٨.

إذن طريق العودة إلى الله عز وجل مفتوح، وإِنَّه تعالى شأنه وعد عباده الخاطئين مغفرة منه وفضلاً وهو الرّؤوف الرّحيم بعبادِهِ الَّذِينَ أَضَلَّهُم الشَّيْطَانُ وأمرهم بالفحشاء والمنكر. أحياناً يكون الإنسان مأموراً للشيطان وتارة أخرى نفس ذلك الإنسان المأمور للشيطان يتمرد على أوامره ويرفضها ويعود إلى الطّريق القويم المستقيم حيث يكون قريباً للصّلاح والإصلاح أما إذا استجاب للشيطان في تنفيذ أوامره وانقاد إليه ولم يرفض له أمراً ولم يرد له طلباً، في حينها سوف يتحول ذلك الإنسان - رجلاً كان أو امرأة - إلى صاحب مَلَكَةٍ فتصبح نفسه نفساً أمارّة بالسوء، وهذه أشد ابتلاءً من المرحلة التي سبقتها.

المرحلة الرَّابِعة: مرحلة إِطاعة الشَّيْطَان وتنفِيز أوامره:

وهذه المرحلة أشد خطراً من التي سبقتها حيث تكون مهمة الشَّيْطَان ناجحة، حيث نجد في هذه المرحلة ان نفس الإنسان أمارّة بالسوء، أي تكثر من إِطاعة الشَّيْطَان وتنفيذ أوامره الصّادرة إلى ذلك البائس التائه المسكين قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١)

حيث أورد صاحب تفسير مجمع البيان (٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ أي كثرة الأمر بالسوء والشَّهوة قد تدعو الإنسان إلى المعصية والألف واللام للجنس فيكون المعنى «ان كلّ النفوس كذلك» ويجوز أن يكون للعهد

١ - سورة يوسف، ٥٣.

٢ - مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، ج ٥ ص ٣٦٨.

فيكون المعنى: ان نفسي بهذه الصفة ﴿إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي﴾ أي إلا من رحمته الله تعالى فَعَصَمَهُ بـان لطف له فيكون (ما) بمعنى مَنْ، أي ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبِّي﴾ كقوله ﴿مَا طَابَ لَكُمْ﴾. و يجوز أن يكون معناه إلا مدة ما عصم ربِّي، ومن قال أنه من كلام يوسف قال أنه أراد الدَّعاء والمنازعة والشهوة ولم يرد العزم على المعصية، أي لا أُبرِّي نفسي مما لا تعرى منه طباع البشر وانما امتنعت عن الفاحشة بحول الله ولطفه وهدايته لا بنفسي، قال الحسن: انما قال وما أُبرِّي نفسي لأنه كره أن يكون قد زكَّى نفسه.

أما صاحب الميزان في تفسير القرآن^(١) فيقول: ان يوسف الصديق قد بادر إلى نفي الحول والقوة عن نفسه ونسبه ما ظهر منه من عمل صالح أو صفة جميلة إلى رحمة ربه و تسوية نفسه بسائر النفوس التي هي بحسب الطبع مائلة إلى الأهواء أمارة بالسوء فقال: ﴿وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي﴾ كقول شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٢).

ومن هنا يظهر ان قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي﴾ يفيد فائدتين: -
أحدهما: تقييد إطلاق قوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ يفيد أن اقتراف الحسنات الذي هو برحمة من الله سبحانه وليس يقع عن إلجاء واجبار من جانبه تعالى.

وثانيهما: الإشارة إلى تجنبه الخيانة كان برحمة من ربه.

١ - الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ج ١١ ص ١٩٨-١٩٧.

٢ - سورة هود، ٨٨.

وقد أورد جمع من المفسرين ان قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ
لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ من تمام كلام امرأة العزيز.

وخلاصة ما توصلت إليه المباحث الدقيقة ان النفس الأمارة بالسوء (آية
نفس أمارة بالسوء كانت) تمتلك جانبين أو طرفين: الأول إدراكي والثاني
تنفيذي، قوة مدركة مخططة والثانية الأخرى منفذة و يحيط بهم من الأعلى الوهم
والخيال ومن الأسفل الشهوة والغضب حيث يكون الوهم والخيال في خدمة القوة
الأمارة بالسوء ولكن فقط في حدود التخطيط ولفائدة القوة الأمارة بالسوء
ولصالحها، والإنسان يدرك الأشياء في الخارج بقوة الخيال على قولين هما:

١- الصورة تأتي من الخارج وتدخل في ذهن الإنسان، فحين تغيب تلك
الصورة عن الخارج (حين تغمض عينيك مثلاً) تبقى في ذهنك تتصورها كما
كانت عليه في الخارج.

٢- إن الخيال بنفسه يخلق صورة، هذه الصورة تحاكي الصورة الموجودة
في الخارج (وهذا هو الصحيح) فالقوة الخيالية عملها أخذ صور الأشياء
الموجودة في الخارج، والعقل دوره إدراك الأشياء الكلية أما الوهم فهو رابط بين
المدرك العقلي وبين ما لدى الإنسان من صور خيالية.

مثال توضيحي: الإنسان على النحو العام يدرك الرحمة ما هي، والذات
التي هي حقيقة مجردة كمفهوم يجب ان تقع على هذا المصداق الخارجي وهو
الرحمة، المكلف يجب عليه إحترام أبيه، الطاعة لها معناً كلياً والأب مصداق
موجود في الخارج، عمل الخيال أنه جعل صورة في ذهن، أما الوهم فدوره أن
يربط هذه الصورة العقلية بهذه الصورة المتخيلة في ذهن فيقول للمكلف (الذي

يجب ان تحترمه هو هذا الشخص المتمثل كونه الأب).

إذن الوهم: هو نفس القوة العقلية المدركة للكماليات كالمفاهيم في الذهن بشكل مجرد أي عقل منزّة، وبتعبير الدّاماد (الوهم يساوي عقل ساقط) أي مفهوم كلى مجرد يدركه العقل، وهذا الوهم يقول لصاحبه أسقطني أو قلني على هذا المصداق الذي هو في الخارج عبر الحواس.

النفس الأتّارة بالسوء، نفس لا ينفعها العقل لأنّها تريد أن تجعل من العقل أسيراً لها، تريد ان تجعله مدبراً لها وفي خدمتها فتحاول أن تستفيد من قوة الوهم فقط، مثال على ذلك:

العقل يقول للنفس الأتّارة أنتِ يجب عليكِ محبة الوالدين تجيبه النفس الأتّارة بالقول: لا ينبغي أن تكون المحبة للوالدين بل لشيء أو لشخص آخر، وتجعل الوهم دائماً في صالحها، والوهم ليس دائماً قوة شريرة محضة، وإنما له جانبان، أحياناً يدرك أشياء حقّة وأحياناً يدرك أشياء باطلة، ولهذا يستفيد منه الشّارع المقدس، فلولم تكن لدى الإنسان قوة واهمة (قوة الوهم) لما تمّ الأمر ولما تمّ النهي لأنّ الأوامر والنواهي كلّية فلا يمكن تشخيص مصاديقها في الخارج إلّا بها، ولكن أحياناً تشبه هذه القوة لدى الإنسان مثالها: إنه لا يخاف إلّا من العدو الفلاني أو الحيوان الفلاني.

إذن كل ما يمتلكه الحيوان هو القوة الوهمية تارة تدرك الحقّ وتارة أخرى تشبهه، تارة تنسب الكماليات إلى مصاديقها الواقعية في الخارج وتارة تنسبها إلى غير مصاديقها الواقعية في الخارج، دور الشيطان هو أنّه يحرف القوة الواهمة ويجعلها تشبهه في المصاديق فيحوّل حب الإنسان من أبيه إلى حبه لشيء آخر،

لإنسان آخر أو لحيوان لقطة أو لكلب أو لطير (كما هو سائد الآن ومنتشر في الغرب اذ يحبّون الحيوانات حباً جماً ويورثونها الملايين من عملاتهم النقدية).

فمساحة عمل الشيطان المسموح له بها هو الوهم والخيال فقط.

دور الشيطان هو أنّه يصور في خيال الإنسان صورة معيّنة من حيث لا يشعر ذلك الإنسان (لأنّ الشيطان خلق ويعمل في طول خلق الإنسان وليس في عرضة ولا يقاطعه) لذا لا يشعر بوجوده، لا يشعر بان مخلوقاً آخر يعيش معه وراء قوة الخيال، مختبئ، وهو الذي اوجد له هذه الصورة وحث ودمعهم قوّة خيال الإنسان على ايجادها، تلك الصّورة الجميلة و التي ليس لها أساس في الواقع الخارجى، الإنسان يدرك شيئاً اسمه الحب، الشيطان يقول له الذي تحبه هو هذه، الصّورة، فيجد قلبه قد أحبّ تلك الصّورة التي رسمها الشيطان له في مخيلته مع قوة الشّهوة لذا يجد شهوة تكون لهذه الصّورة، وشيئاً فشيئاً يفسد على الإنسان أمره، ويدخله في معاصي ومخالفات شرعية كثيرة، ومصدر كلّ هذه المخالفات دخول الشيطان عن طريق قوتي الوهم والخيال وكلاهما إدراكيتان.

الوهم: مدرك للجزئيات.

والخيال: مدرك للصور المتخيلة فقط.

والشيطان: ميدانه وساحة عمله هاتان النافذتان يدخل من خلالهما للإنسان.

وعندئذ نجد ان النفس الأمانة بالسوء لا يعدو الجانب التفكيرى فيها الوهم والخيال اللذان يخططان لها ويعملان على التخطئة والتمويه على الإنسان بالتضليل من الشيطان وبتدخل سافرمنه، إذ ينسب الكليات التي يدركها الإنسان

في مقام تجرده إلى مصاديق هي ليست من مصاديقها لا شرعاً ولا عقلاً ولا عرفاً. الشيطان يقوم بارباك المفاهيم الكلية كالحب والرّجاء والخوف والأمل والتقوى والعاطفة وغيرها كثير في ذهن الإنسان يقوم بخلط مصاديقها في الخارج، حيث يستفيد من القوة الواهمة التي قد تشتبه، ويستفيد من قوة الخيال برسم صورة معينة يطلبها، فيطلب موافقة الوهم للصورة التي رسمها الخيال والإنسان، الإنسان بقي يتصور قصراً جميلاً، ألقى الشيطان حب ذلك القصر في قلب الإنسان وبقي ذلك القلب متعلقاً بذلك القصر، والمسألة ليس لها أصل ولا واقع، باقية في وعاء النفس كلها أوهام وخيال لا أساس لها من الصحة والواقع أحياناً يقول له انت أشجع الناس وأجملهم وأشرفهم فينبغي على الجميع ان يحترموك ان يقوموا لك إجلالاً وتقديراً، وحينما يخرج إلى المجتمع لا يجد شيئاً من ذلك بل يعاملونه بشكل عادي وطبيعي، فيصطدم حيث لا يجد لما جال في فكره أساس من الواقع، فأما يحقد على المجتمع ويبدأ يتحامل عليهم ويستخدم أساليب ملتوية وغير مشروعة، أو يبدأ بالتشكيك بكل صغيرة وكبيرة ولا يطمئن إلى النتائج وان كانت من المسلّمات والبدهيّات، والأمثلة كثيرة في هذا الباب منها أولئك الذين يقدمون على الخطبة في الزّواج فلا يجدون إستجابة وكانوا يعتقدون بأنفسهم غير الجاري في الأمر الواقعي أو الذين يتصدون لمهام ومسؤوليات اجتماعية أو وظيفية أو سياسية، وهكذا استطاع الشيطان أن يحرف العقل عن مساره بهذه الطّريقة التي تميل إليها النفوس، ولكنه استفاد من ميلها إلى التلذذ فيها وإن كان في باب الوهم والخيال، حتّى يدفع به إلى إجراء ذلك الوهم والخيال على الواقع وإخراجه إلى حيز التنفيذ في الحياة اليومية والعلمية، لذا تجد

مدعيات كبيرة جداً وضخمة تصدر من أفواه بعضهم مؤمنين معتقدين بها كأنها من السلّمات دون الالتفات إلى الأسس المنطقية والعقلانية التي تعتمدها أو ينبغي توفرها كلّ ذلك تحريفاً للعقل عن مساره الطبيعي.

في هذه المرحلة يصبح الإنسان مأموراً للشيطان فيطعم به أكثر من المراحل التي سبقتها لأنّه ما أن نَقْذَ امرأ له حتّى طلب الثاني وما أن نَقْذَ الثاني حتّى طلب الثالث وهكذا الأوامر تترى الواحد تلو الآخر ولا نقاد لها فينبغي التمرد عليه وعدم طاعته منذ الأمر الأول، لذلك ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لا تعوّدوا الخبيث من أنفسكم» أي لا تمكنوا الشيطان من أنفسكم ولا تطيعوه ولا تستجيبوا له في تنفيذ أوامره.

أما إذا أصبح تنفيذ الأوامر ملكة وسجيّة لدى النفس الإنسانية أصبحت تلك النفس أمّارة بالسوء، أي كثيراً ما تمتثل لأوامر الشيطان فعندها ينتقل الإنسان إلى المرحلة التالية وهي المرحلة الخامسة أو الرتبة الأشد خطراً وضرراً.

المرحلة الخامسة: مرحلة التسلط والسلطان

وهذه الرتبة اشد فتكاً بالإنسان من التي سبقتها وأقرب إلى الهلاك والإنصياع التام للشيطان قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ^(١).

والاستعاذة كما جرى الحديث عنها طلب المعاذ، والمعنى إذا قرأت القرآن فاطلب منه جلّ شأنه أن يعيذك من الشيطان الرجيم أن يغويك، أي توكل على الله تعالى فإن المتوكل على الله ليس للشيطان سلطان عليه، حيث الإيمان والتوكل صدق العبودية لله تعالى، كقوله تعالى شأنه لابلّيس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(١).

نفى سلطانه عن عباده وقد بدّل العباد في هذه الآية في الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، فإن التوكل هو إلقاء زمام التصرف في أمور نفسه إلى غيره والتسليم لما يؤثره له منها أخص آثار العبودية وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ وردت ثلاثة ضمائر أفراد للشيطان في الكلمات (سلطانه، يتولونه، به) أي ينحصر سلطان الشيطان في الذين يتخذونه ولياً لهم يدبر أمورهم كما يريد، وهم يطيعونه، وفي الذين يشركون به إذ يتخذونه ولياً من دون الله ورباً مطاعاً غيره، فإن الطاعة عبادة كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهِذْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٢).

وبالتالي سلطان الشيطان على طائفتين هما:

المشركون والذين يتولونه من الموحدين.

يصل الشيطان وفي هذه المرحلة في هذه الرتبة إلى مقام وإلى قدرة يكون له فيها سلطان على نفوس هؤلاء المساكين البائسين حيث انه يكون أمراً لهم

١ - سورة الحجر، ٤٢.

٢ - سورة يس، ٦٠ - ٦١.

متسلطاً عليهم، وفي المثالين التاليين إيضاح ذلك:

المثال الأول: نضربه للرتبة أو المرحلة السابقة في الأمر الشيطاني (أي الرتبة الرابعة) الإبن البالغ عشرون عاماً المطيعُ لله تعالى ومن طاعته لله تعالى طاعة الوالدين، لو فرضنا أن الأب قال لذلك

الإبن تزوج من فلانة، وامثل الإبن لأبيه في هذا الأمر أو الطلب وتزوج من هذه الفتاة، هل نستطيع أن نقول أن ذلك الإبن تزوج باختياره وبإرادته وبرغبته ولا ينافي أنه لاحظ في زواجه من فلانة أمر أبيه أم لا نستطيع؟.

وبعبارة أخرى هل أن الفعل بتمامه للإبن وأمر أبيه خارج عن دائرة الفعل أم لا؟ الجواب يكون نعم لأنَّ الفعل فعله وإن لاحظ امتثال أمر أبيه وذلك لأنَّ الزَّوجة لو فرضنا أنها كانت غير صالحة فإنَّ العقلاء سوف يلومون الإبن (يعودون بالتأنيب لذلك الشاب) ويقولون له لم تزوجتها؟ لم اخترتها؟ ولا يملك الإبن رداً لهم بأنِّي تزوجتها امتثالاً لأمر أبي، حيث يجيبونه بأن أباه أصدر أمراً أو طلباً فحسب ولم يكن مكرهاً أو قاهراً لذلك الإبن في تزويجه من فلانة.

المثال الثاني: نضربه لهذه المرحلة (المرحلة الخامسة)، مرحلة السلطان ومثلها مثل الأب مع الولد الصَّغير جداً، مع الإبن الصَّغير جداً الأب يقوم بالباس الولد الصَّغير ملابسه، لأنَّه لا يقوي على أن يرتديها بنفسه، ولو سألنا ذلك الإبن الصَّغير: هل أن أباك ألبسك ملابسك؟ فيجبنا نعم، ونسأله مرة أخرى: هل أنت ارتديت ملابسك بنفسك؟ فيجبنا: نعم.

وجواب كلا السؤالين صحيح، لماذا؟

لأنَّ الجهة الغالبة للفعل على إلباس الإبن الصَّغير الملابس يعود للأب،

وبنحو من الفعل وبنوع من النسبة يعود إلى الإبن الصّغير في ارتداء ملابسه.
 فالأب أو الأم يتدخلون في كل صغيرة وكبيرة تتعلق في شؤون الإبن
 الصّغير (سيما إذا كان رضيعاً) في مأكله وملبسه ومشربه ومنامه وكلّ شؤونه
 الأخرى لا يقوى على القيام بها بنفسه وأدائها بالشكل المطلوب، كذلك الشيطان
 في هذه المرحلة فانه يدخل في كلّ مناحي حياته، وان كان ينسب الفعل إلى
 الإنسان بنحو من النسبة، ولكن المؤثر الحقيقي هو الشيطان ودوره الرّيادي هو
 الأساس. ويصبح الإنسان خاضعاً منفذاً.

المرحلة السادسة: بلوغ مرحلة ولاية الشيطان

وتعتبر هذه المرحلة آخر المراحل ونهاية مطاف عمل الشيطان مع
 الإنسان، إذ يستسلم الإنسان فيها إلى الشيطان ويدخل ولايته ويكون من أوليائه
 ومن جنده وحزبه وأزلامه، ولكن بالرغم منها ومن خطورتها يبقى طريق العودة
 إلى الله عزّ وجلّ سالكاً لمن أراد الرّجوع إليه وتكفير ذنوبه مع الأخذ بنظر الاعتبار
 إنّ الرّجوع أو العودة إلى الله ليست بالأمر الهين أو السهل في هذه المرحلة بل يراد
 لها عزيمة وشكيمة وإرادة صلبة لإجتياز الحواجز وتحطيم السدود وعبور الحدود
 التي صنعها له الشيطان.

وقد أورد القرآن الكريم ذكر هذه المرحلة في العديد من الآيات المباركة،
 قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ...﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿... فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَرِثُوهُمْ...﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾^(٣).

وهناك العديد من الآيات الأخرى تتحدث عن أولياء الشيطان قال تعالى: ﴿...إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾^(٤).

هذه هي رتبة الفناء الكامل في الشيطان، فيكون نطقهم نطق شيطان، وفعلهم فعل شيطان، وسمعهم سمع شيطان ونظرهم نظر شيطان وهكذا... كل سلوكهم يكون شيطانياً حيث وصل الشيطان في هذه المرحلة إلى رتبة الولاية الكاملة على ذلك الإنسان، فيكون منقاداً إليه تماماً ولا يتردد عن تنفيذ أي فعل أو قول أو تفكير يطرحه بل يأمره الشيطان، وخير من أوضع وبين هذه الرتبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث يقول: «اتخذوا الشيطان ملاكاً، واتخذهم له اشراكاً فباض وفرخ في صدورهم، ودبَّ ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزين لهم الخطل، فعل من قد شرکه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه»^(٥).

وسيأتي إيضاح ذلك في الفصل الآتي (الشيطان كما ورد ذكره في نهج

١ - سورة النساء، ٧٦.

٢ - سورة النحل، ٦٣.

٣ - سورة النحل، ١٠٠.

٤ - آل عمران، ١٧٥.

٥ - نهج البلاغة - الدكتور صبحي الصالح، ص ٥٣ - دار الهجرة.

البلاغة) أو كما رد أمير المؤمنين عليه السلام على ابن الكوى قائلاً له «لاتعد لمثلها إنما نفت على لسانك الشيطان» والنفت هو أن يتكلم الشيطان على لسان الإنسان المنقاد له كلياً، حيث لا حول له ولا طول، حيث نجد ان الشيطان يخوف أولياءه من وقوعهم في الفقر والفاقة وضيق الأمور، ويزين لهم أعمالهم فيرونها صالحة نافعة، ويدعهم مطيعين مهطعين إليه في كل ما يريد يضلهم ويصور لهم بأنهم مهتدون إلى أقوم طريق وأهدى سبيل وأفضل عاقبة وأحمد حياة سيحصلون عليها قال تعالى: ﴿...إِنَّهُمْ أَتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(١).

حيث تندك إرادتهم بإرادة الشيطان، ولم تعد لهم أية إرادة منفصلة مستقلة عن إرادة الشيطان، وحيث مكنوه من أنفسهم أقصى درجات التمكين، كرتبة أولياء الله سبحانه وتعالى الذين يصلون إلى رتبة الفناء الكامل في الله عز وجل، فهو ينطق على ألسنتهم وينظر بأعينهم ويسمع بأذانهم.

أيضاً أولياء الشيطان يصلون إلى رتبة الفناء الكامل به حتى ينطق على ألسنتهم ويبصر بأعينهم ويسمع بأذانهم ويكون تفكيرهم وإرادتهم وإدراكهم تفكيره وإرادته وإدراكه قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

نحن نعلم ان الشيطان لا يشرب الخمر ولا يتعاطى الميسر (القمار) ولا يقوم بهذه الأعمال لانها ليست من سنخه وليست من جنسه ولكنها نسبت إليه واعتبرت من عمله. لانه يغري بها ويزينها للإنسان.

وقال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (١)، نفس العمل يُسميه من عمل الشيطان وليس من عمل الإنسان وكذلك نحن أيضاً نسميه من عمل الشيطان.

وقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ (٢).

حيث يكون قلب الإنسان محل لتكاثر الشيطان وقلعة لتحركه ونشاطه، وان أفعال الإنسان الخبيثة تكثر وتزداد وفي تكثيرها تكثير لذرية الشيطان، في هذه المرحلة كما يذهب بعض العلماء انه لا يرتجى لذلك الولي (الإنسان) علاج حيث الفناء الكامل والاندكاك بالشيطان و يصبح ذلك الولي مظهراً من مظاهر الشيطان منطقته وسمعه وبصره وتفكيره وإرادته وعمله كله يكون شيطانياً، فيكون نظره نظر ريبة وتلذذ وشك وحسد وحقد، ويكون كلامه خداع وتضليل ونفاق وكذب وغدر ومكر وافتراء وغيبة وبهتان، ويكون تفكيره خطط وتآمر لإيقاع الآخرين في فخاخه ولسراية الفتنة فيما بين الناس، وتكون يده مُسَخَّرَةً للإعتداء والبطش والسَّرقة والغيلة.

قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ مَنْ أَسْطَغَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِذُّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٣).

أي استغفر من استطعت ان تستنهضه من ذرية آدم، وهم الذين يتولونه منهم

١ - سورة القصص، الآية ١٥ .

٢ - سورة الكهف، ٥٠ .

٣ - سورة الأسراء، ٦٤ .

ويتبعونه بالوسوسة وقوله ﴿... وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَبْلِكَ وَرَجِلِكَ...﴾ أي وصح عليهم ونادهم لسوقهم إلى معصية الله بأعوانك وجندك وفرسانهم ورجالتهم، وكأنه إشارة إلى أن قبيله وأعوانه منهم من يعمل ما يعمل بسرعة كما هوشأن الفرسان في ساحة الحرب، ومنهم من يُستعمل في غير موارد الحملات السريعة كالرجالة، فالخيل والرجل كناية عن المسرعين في العمل والمبشرين فيه، وفيه تمثيل نحو عملهم، وقوله: ﴿... وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ...﴾ الشريك سهيماً لشريكه في الانتفاع الذي هو الغرض من اتخاذ المال والولد، فإن المال عين خارجي منفصل من الإنسان وكذلك الولد، ولولا غرض الانتفاع لم يعتبر الإنسان ماله لمال ولا إختصاصاً بولد.

فمشاركة الشيطان للإنسان في ماله أو ولده مساهمته له في الإختصاص والانتفاع، كأن يحصل المال الذي جعله الله رافعاً لحاجة الإنسان الطبيعية من غير حله فينتفع به الشيطان لغرضه، والإنسان لغرضه الطبيعي. أو يحصل عليه من طريق مشروع حلال لكنه يستعمله في غير طاعة الله فينتفعان (الشيطان والإنسان) به معاً.

وتجد الإنسان صفر اليدين من رحمة الله إذ أنه يولد من غير الطريق الطبيعي الشرعي الحلال - وإن كان من الناحية المادية وحسب الظاهر إنه طبيعي - ثم بعد ذلك يربيه تربية منحرفة غير صالحة و يؤدبه بغير آداب الله عز وجل، فيجعل للشيطان سهماً ولنفسه سهماً وعن هذا كشف قوله تعالى: ﴿... وَعَذُّهُمْ وَمَا

يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا^(١) أي ما يعدهم الشيطان إلا وعداً غاراً بإظهار الخطأ بصورة الصواب والباطل على هيئة الحق.

وفي أمالي الصدوق^(٢) بإسناده عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له ثوير فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقالوا: يا سيدنا لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا.

قال: لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها. فقال الوسواس الخناس: أنا لها قال بماذا؟ قال: أعدهم وأمتيهم حتى يواقعوا الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الإستغفار فقال: أنت لها فوكله بها إلى يوم القيامة^(٤).

كما يرى البعض ان مراحل الشيطان تبدأ بشكل معكوس أي انه يبدأ: أولاً: يطلب منه الكفر بالله سبحانه وتعالى يأتي للإنسان ويقول له أكفر بالله فالله وهم وغير موجود وانما هي الطبيعة او الدهر، فيردّ على الشيطان ويقول له: كيف أكفر بالله وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

١ - سورة الأسراء، ٦٤.

٢ - الامالي - الصدوق

٣ - آل عمران، الآية ١٣٥.

٤ - الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي ج ٢٠ ص ٣٩٨.

ثانياً: يتنازل ويقول له إشرك بالله إن لم تكفر به، فيردّ عليه ويقول له، لا يمكن لي ان اشرك بالله سبحانه وتعالى فهو الواحد الاحد الفرد الصمد ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةَ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾^(١) و﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٢).

ثالثاً: يتنازل أيضاً ويقول له اذاً اعمل الكبائر إذا كنت لا تكفر او تشرك، فيرده أيضاً ويقول له كيف اعمل الكبائر فاكون من اصحاب النار.

رابعاً: انه يطمع به ولا يغادره ويقول له اذاً اعمل الصغائر إذا صعب وشق عليك عمل الكبائر، فأيضاً يرد عليه ويقول له (لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى من عصيت) فلا صغيرة مع الاصرار، اذا انها تتحول إلى كبيرة.

خامساً: يقول له إذن ضيّع وقتك واقتل وقتك بقضاء الساعات الطوال على الأمور الثانوية او التي لا اهمية لها فيرده ويسأله: ما هو العمر؟

وهل العمر إلى اوقات بمعنى ذلك ضيع عمرك وهل هناك أثن من عمر الإنسان فهو رأس ماله فإذا هدره هدر كل شيء.

سادساً: يأتيه مرة أخرى ولا يغادره فيقول له اذاً اهتم بالامور الصغيرة واترك الامور الخطيرة الكبيرة لاهلها، فيرده المؤمن ويقول له: ما بال العاقل ان اهتم بالامور التي لا تعود عليه بالنفع إلا اليسير فهذا ليس من ديدنه وان يترك الامور المصيرية التي اول ما يسأل عنها يوم القيامة.

سابعاً واخيراً: إذا آيس الشيطان من ذلك المؤمن فانه سوف يحرك عليه

الاخرين في جوّه ومحيطه ليحاربوه ويضيقوا عليه، ويكلموه بقساوه وبدون تفكر او تروى (فينفّذ وينطق على لسانهم الشيطان) كي يحقق الشيطان ما اراد فيحرّك ويسخر هؤلاء سيما من له سلطان عليهم او هم من اوليائه.

وكما ورد في نهج البلاغة حينما وصف امير المؤمنين (عليه السلام) المتقين فصق (همّام) صعقة كانت نفسه فيها، فقال امير المؤمنين (عليه السلام) (اما والله لقد كنت اخافها عليه) ثم قال (هكذا تصنع المواعظ البالغة باهلها) فقال له قائل «فما بالك يا امير المؤمنين» فقال (عليه السلام): «ويحك إن لكل اجل وقتاً لا يعدوه و سبباً لا يتجاوزه فمهلأ لاتعد لمثلها فانما نفت الشيطان على لسانك».

وهنا حينما اظهر الإمام علي (عليه السلام) خشيته على همّام من هذه المواعظ نفت الشيطان: أي نطق الشيطان على لسان أحدهم فقال: فما بالك لاتموت من انطواء سرك على هذه المواعظ البالغة؟

وهذا السؤال الوقح البارد^(١) انما جاء من الشيطان الذي نطق ذلك الشخص فردّه (عليه السلام) بان لكل نفس اجل وهذا الاجل لا يخطوه ولا يتعداه.

(٧) اتباع الهوى

من سبل الشيطان اتباع الهوى، فما معنى الهوى؟ وكيف يُتبع؟
 الهوى: لغة: (حب الشيء) و (اشتهاؤه) من دون فرق في أن يكون المعلق
 امرأً حسناً ممدوحاً أو قبيحاً مذموماً، أو لأن النفس بمقتضى الطبيعة تميل إلى
 الشهوات الباطلة والاهواء النفسية لولا العقل والشرع اللذان يكبحانها^(١).
 واصطلاحاً: هو الرأى الشخصي المنفصل عن الشارع المقدس والهوى
 المنفصل عن التشريع يكون مطية للشيطان ويورد صاحبه الهلكة، وقد تحدثت
 عشرات الآيات عن ذلك منها:

قوله تعالى: ﴿... أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ
 فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا
 يَقْتُلُونَ﴾^(٣).

إذن يؤدّي الهوى بصاحبه إلى تكذيب الانبياء ونفيهم أو حتى قتلهم
 وتشريدهم، أو الخروج عن طريق الهدى بسبب الجهل وبسبب عدم توظيف
 المحبة والميل إلى الشارع المقدس بدلاً من هوى الضلالة والعماية قال تعالى: ﴿إِنْ

١ - لسان العرب، ابن منظور، ج ١٥، ص ١٦٨.

٢ - البقرة، ٧٨.

٣ - سورة المائدة، ٧٠.

يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴿١﴾

وقال تعالى: ﴿قُلْ أُنذِعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتَهِ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْآلَمِينَ﴾ (٢).

ودائماً يؤدي الهوى بصاحبه إلى الانحراف والاعراض عن الله عزوجل باتخاذ طريقاً سلكه الشيطان دون الصراط المستقيم قال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٣)
وقال تعالى: ﴿... وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٤).

ولقد وصف القرآن الكريم رسوله الكريم بأنه لا يتكلم عن هوى نفسه، وعن ميله الشخصي وانما حديثه وسلوكه وحياً من عند الله وامثالاً لما اراده الله منه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٥).

ثم أن للإنسان مقاماً رفيعاً إذا تخلص عن هوى النفس وجعل هواه في طاعة الله سبحانه قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ

١ - سورة النجم، ٢٣ .

٢ - الانعام، ٧١ .

٣ - النساء، ١٣٥ .

٤ - سورة ص، ٢٦ .

٥ - سورة النجم، ٣ - ٤ .

الْجَنَّةُ هِيَ الْأَمَّاوِيُّ ﴿١﴾.

وان التخلي عن التشريع وعن اتباع الانبياء عليهم الصلاة والسلام يؤدي بالتالي إلى التعلق بالدنيا الزائفة واتباع الهوى وتكون النتيجة سيئة للغاية قال تعالى: ﴿وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ...﴾ (٢).

كما أنه لا يصلح الذي يتبع هواه أن يكون قائداً في المجتمع لانه سوف يُردي من يقودهم في الهاوية كما أردى نفسه قال تعالى: ﴿... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ (٣).

﴿... وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ (٤).

وهؤلاء المنحرفون يتخذون هواهم الهاً معبوداً مطاعاً من دون الله عز وجل فتكون عاقبتهم ومن تبعهم الويل والثبور قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً...﴾ (٦).

١ - النازعات، ٤٠ - ٤١.

٢ - الأعراف، ١٧٥ - ١٧٦.

٣ - الكهف، ٢٨.

٤ - سورة القصص، ٥٠.

٥ - الفرقان، ٤٣.

٦ - سورة الجاثية، ٢٣.

والحق والعدل دائماً منفصلان عن هؤلاء الجهلة الذين لم يدركوا خطر الطريق الذي سلكوه بوحى من الشيطان وقد أضلوا الآخرين معهم وكانوا سبباً في انحرافهم قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ أَحَقُّ أَهْوَاءِ هُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ...﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿بَلِ أَتَّبَعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾^(٣).

إذن البون شاسع ولا يقاس المهتدي مع من اتبع هوى نفسه أو غواية الشيطان وبالتالي يطبع على قلوبهم فلا يهتدون سبيلاً قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٥).

ولم تخل السنة الشريفة عن الحديث عن الهوى، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قال (قال رسول الله ﷺ): يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبدٌ هواه على هواي إلا شئت عليه أمره ولبست عليه دنياه وشغلت قلبه بها ولم أوته منها إلا ما قدرت له، وعزتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبدٌ هواي على

١ - سورة المؤمنون، ٧١.

٢ - سورة الرِّوم، ٢٩.

٣ - سورة الأنعام، ١١٩.

٤ - سورة محمد، ١٤.

٥ - سورة محمد، ١٦.

هواه إلا استحفظته ملائكتي وكفلت السماوات والارضين رزقه وكنت له من وراء
تجارة كل تاجر وأنته الدنيا وهي راغمة^(١) وقال امير المؤمنين عليه السلام (انما اخاف
عليكم اثنتين: اتباع الهوى وطول الامل، اما اتباع الهوى فانه يصدُّ عن الحق واما
طول الامل فانه ينسي الآخرة)^(٢).

إذن ينبغي للإنسان العاقل ان يؤثر هوى الله - أي طاعة الله عز وجل - ووجهه
على هواه و يحكم ارادة الخالق في الاشياء وفي نفسه وما اراد وترك وإلا فانه
سيخسر نفسه وآخرته فضلاً عن دنياه، كما ان هوى النفس يبعد الإنسان عن الحق
ويدفعه إلى الباطل، كما ان الهوى عدو لصاحبه فيجب ان يحذره كما يحذر
الشیطان، وهذا العدو مخفي، امره امر صاحبه (الشیطان) لذا يلزم الاهتمام بدفعه
اكثر من العدو الخارجى قال الإمام الصادق عليه السلام (احذروا اهواءكم كما تحذرون
أعداءكم، فليس شيء اعدى للرجال من اتباع اهوائهم وحصائد السننهم)^(٣).

وبالتالي فالشیطان يأتي للإنسان من زاويته الرخوة، عن طريق الآمال
والاحلام ان كان يتأثر بها أو الاموال أو الاولاد أو الجاه أو المقام الاجتماعى أو
السیاسى أو الثقافى وحتى العلمى أو عن طريق الفحشاء والمنكر وحب الشهوات
والهوى وطول الامل وكل هذا يكون خفيفاً لينا على الشیطان إلا انه يكون ثقیلاً

١ - الأربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ١٦٦، عن أصول الكافي المجلد الثاني - كتاب
الإيمان والكفر - باب اتباع الهوى، ج ٢.

٢ - الأربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ١٦٢، عن أصول الكافي المجلد الثاني - كتاب
الإيمان والكفر - باب اتباع الهوى، ج ٣.

٣ - الأربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ١٦٦، عن أصول الكافي المجلد الثاني - كتاب
الإيمان والكفر - باب اتباع الهوى ج ١.

وثقيلاً جداً عليه ذلك المؤمن الذي لا يتأثر ببهرجة الحياة وما تحتويه فيأتيه عن طريق العبادة والطاعة والتهجد والركوع وطول السجود يكون شغله الشاغل ويُسخر كل جنوده من أجل إبعاده عن الحق أو استغراقه بالباطل، وبمقدار ما يكون ذلك المؤمن بمنزلة مؤثرة في المجتمع يكون تكريس الشيطان عليه أشد من قبيل العلماء والفقهاء والمتصدين في الميادين الاجتماعية والسياسية والعلمية وغيرها كثير.

(٨) براءة الشَّيْطَانِ مِنْ اتِّبَاعِهِ

ليس للشَّيْطَانِ أية سلطة على النَّاس ولا يتمكن من إكراههم على المعاصي قال تعالى: حاكياً عن تبري الشَّيْطَانِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي...﴾ (١).

أي ما كان لي عليكم في الحياة الدُّنيا من تسلط من جهة أشخاصكم وأعيانكم فأجبركم على معصية الله بسلب اختياركم وتحميل إرادتي عليكم، ولا من جهة عقولكم فأقيم لكم الحجة على الشُّرك كيفما شئت فتضطر عقولكم لقبوله وتطيعها نفوسكم فيما تأمرها به فبمجرد أن دعوتكم وبدون أي سلطان استجبتم لي.

ودعوة الشَّيْطَانِ النَّاس إلى الشُّرك والضلال والمعصية على درجات متفاوتة حسب استجابتهم وان كانت بإذن الله عزَّ وجلَّ لكنها لم تكن تسلطاً - ينبغي أن نفهم هذه النقطة جيداً - فإن الدَّعوة إلى فعل شيء ليست تسلطاً من الدَّاعي (وهو الشَّيْطَان) على فعل المدعو (وهو الإنسان) والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفِزُّ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (٢).

فإذا انبعث من المدعو - الإنسان - ميل نفساني إلى الدَّاعي - الشَّيْطَان -

١ - سورة إبراهيم، ٢٢.

٢ - سورة الأسراء، ٦٤ - ٦٥.

فانقاد للدعوة ذلك الإنسان الضعيف وسلط الدّاعي بدعوته على نفسه لكنه تجلى تسليط من المدعول تسلط من الدّاعي.

وبعبارة أخرى هي سلطة يملكها المدعو من نفسه فيملكها الدّاعي وليس الدّاعي يملكها عليه من نفسه حيث إنّ الإنسان يسلم بيده زمام انقياده للشيطان، وإبليس إنما ينفي التسلط الذي يملكه من نفسه لا ما يسلطونه على أنفسهم بالانقياد بقرينه قوله تعالى: ﴿فَلَا تُلْهُمُونِي وَلَوْ مَوَا أَنْفُسَكُمْ﴾^(١).

إذن الإنسان مسؤول عن اعماله كاملاً وليس الشيطان، وهذا التسلط الذي يشتهه الله سبحانه و تعالى في قوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ إِنَّمَا سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ^(٢). وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(٣).

حيث كشفت الآيات ان سلطانه متفرع من الإتياع والتولي لا العكس، ولا تنفاء سلطانه عليهم بالمرّة استنتج قوله بعد ﴿...فَلَا تُلْهُمُونِي وَلَوْ مَوَا أَنْفُسَكُمْ...﴾^(٤).

والفاء (... فلا...) للتفريع - أي إذا لم يكن لي عليكم سلطان - بوجه من الوجوه - كما يدل عليه وقوع النكرة في السياق - أي في سياق النفي والتأكيد بـ(من) في قوله: ﴿... وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَنٍ...﴾^(٥).

١ - سورة إبراهيم، ٢٢.

٢ - سورة النحل، ٩٩ - ١٠٠.

٣ - سورة الحجر، ٤٢.

٤ - سورة إبراهيم، ٢٢.

٥ - سورة إبراهيم، ٢٢.

فلا يعود إليَّ شيء من اللوم العائد إليكم من جهة الشرك والمعصية فلا يحق لكم أن تلوموني بل الواجب عليكم أن تلوموا أنفسكم لأن لكم السلطان على أعمالكم، وقوله تعالى: ﴿...مَا أَنَا بِمُضِرِّخُكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُضِرِّخِي...﴾^(١).

أي ما أنا بمغيثكم ومنجيكم وما أنتم بمغيثي ومنجيي فلا أنا شافع لكم ولا أنتم شافعون لي اليوم وقوله تعالى: ﴿...إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ...﴾^(٢) أي إني تبرأت من شرككم إياي في الحياة الدُّنيا والمراد بالإشراك، الإشراك في الطاعة دون الإشراك في العبادة كما يظهر من قوله تعالى لأهل الجمع يوم القيامة: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَسْبَىٰ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۖ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٣).

وهذا الكلام منه تبري من شركهم كما حكي سبحانه وتعالى تبري كل متبوع باطل من تابعه يوم القيامة وهو إظهار إن إشراكهم إياها بالله في الدُّنيا لم يكن إلّا وهماً سراًياً قال تعالى: ﴿...وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكَكُمْ وَلَا يُسَبِّحُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ...﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾^(٥).

١ - سورة إبراهيم، ٢٢.

٢ - سورة إبراهيم، ٢٢.

٣ - سورة يس، ٦٠ - ٦١.

٤ - سورة فاطر، ١٤.

٥ - سورة البقرة، ١٦٧.

وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ * وَقِيلَ أَذْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَذَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿... إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

لأنهم ظالمون ظلماً لا يرجع إلا إلى أنفسهم.

وظاهر السياق في قوله تعالى: ﴿... مَا أَنَا بِمُضْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُضْرِخِيَّ...﴾^(٣).

كناية على انتفاء الرابطة بين الشيطان وبين اتباعه كما يشير القرآن الكريم في مواضع أخرى كقوله تعالى: ﴿... لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿... فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾^(٥).

إذن الرابطة مقطوعة بيني وبينكم لا ينفعكم أنني كنت متبوعكم ولا ينفعني أنكم كنتم أتباعي، إني تبرأت لأنكم ظالمين لأنفسكم، والظالمون لهم عذاب أليم. فلا مسوغ يومئذٍ للحماية والدفاع عنهم أو التقرب منهم. ومما يظهر أن تابعي إبليس يلومونه يوم القيامة على ما أصابهم من المصيبة على إتباعه متوقعين

١ - سورة القصص، ٦٣ - ٦٤.

٢ - سورة إبراهيم، ٢٢.

٣ - إبراهيم، الآية ٢٢.

٤ - الأنعام، الآية ٩٤.

٥ - يونس، الآية ٢٨.

منه ان يشاركهم في مصائبهم بنحو من المشاركة، وهو يرد عليهم ذلك بأنه لا رابطة بينه وبينهم، فلا يحق ولا يلحق لومهم إلا بأنفسهم وهم ظالمون، فهو قريب المعنى من قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

٩) مدى تسلط الشيطان على الإنسان

المسألة متعلقة بنفس الإنسان إذا شاء سلطه على نفسه إلى درجة الشرك و الكفر و يكون من اوليائه و اذا شاء طرده و تحصّن بالله سبحانه و تعالى منذ الوهلة الاولى و ليس له أي لون من الوان التأثير إلا الوسوسة فقط وهذه الوسوسة او العرض لا ينجو منه أحد ابدأ حتى الانبياء عليهم السلام لأن هذا الامر من مستلزمات الحياة الدنيا و لا يمكن لدنيا ان تقوم على أقدامها أو تستقيم إلا بالشيطان قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْأَخْلَاصِينَ ۖ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۖ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ آتَيْتَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۖ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۖ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (٢).

إذن الامر بيد الإنسان وقد حذر سبحانه و تعالى وأندر من هذا العدو وقال ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (٣).

ثم عاتبه حتى قال له: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰيَبْنَىٓ ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۖ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٤).

وسنلتقي في الفصل الرابع موضوع (الإنسان مسؤول عن اعماله) ليكون اكثر وضوحاً وبياناً.

١ - سورة الحجر، ٣٩ - ٤٣.

٢ - سورة النحل، ٩٨ - ١٠٠.

٣ - سورة فاطر: ٦.

٤ - سورة يس، ٦٠ - ٦١.

١٠ حث الشيطان لترك اقامة دولة الإسلام والرضا بحكم

الكافرين

نحن نعلم ان الدين لم يكن إلا رحمة للعالمين ولتنظيم شؤون الناس كافة قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢).

الإسلام دين الدولة:

ان الإسلام لم يتنزل إلا شاملاً لكل ماتحتاجه البشرية، في عباداتها ومعاملاتها، بيعاً وشراءً وإجارة ومزارعة ووكالة ورهنأً وزواجاً وطلاقاً واقامة للحدود والتعزير... حتى أرش الخدش ولم يبق صغيرة ولا كبيرة إلا وذكر فيها حكم قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٤).

لذا اشتهر عن الإسلام انه دين ودولة، وانه نظام متكامل لا يفتقر إلى غيره... وليس هذا وارد عند ما يُسمَّى (بالاديان) الاخرى، فلا يمكن بداهة ان يطالب هؤلاء باقامة دولة، كما يطالب بذلك المسلمون لعدم وجود مقومات ذلك عندهم

١ - سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

٢ - سورة سبأ، الآية ٢٨.

٣ - سورة الانعام، ٣٨.

٤ - سورة القمر، الآية ٤٩.

بالاصل. ومن هنا يظهر سخف وضعف من يقول إن الآخرين سيطالبون بدولة لهم إذا طالبتم انتم بدولة اسلامية فمن اين لهم هذا؟!

قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَخُكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَخُكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَخُكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣).

ويكفى لنا ان ننظر نظرة سريعة إلى امهات المصادر الفقهية والرسائل العملية لفقهاءنا رضوان الله عليهم، لنرى عظيم التركة المباركة التي خلفوها في الاحكام والقوانين.

والشيطان يوسوس لبعض الناس، ليفتتهم عن هذه الفريضة الالهية فيتساءلون او يعترضون مشككين في صلاحية الاحكام الإسلامية لاقامة دولة كأنهم لا يعلمون ان الاسس واضحة والمبادئ جلية، والاجتهاد قائم، والدين محفوظ والفرسان في الميدان^(٤).

فيجب العمل طوال العمر لاقامة حكم الله وتطبيع الشرع الحنيف وسيادة دولة الإسلام حيث لا أمن ولا استقرار على هذه المعمورة من دونها والواقع شاهد على ذلك.

فهو شرف وعز أن يكون العمل على طريق الانبياء والائمة الاطهار سيما

١ - سورة المائدة، الآية ٤٤.

٢ - سورة المائدة، الآية ٤٥.

٣ - سورة المائدة، الآية ٤٧.

٤ - وسوسة الشيطان الرجيم - السيد سامي خضرة ص ١٠٣.

بقية الله في الارضين و محققاً حلم الانبياء في ردّ وردع البدع وأهل الهوى والرأي
المخترع وإعادة المعطلة من احكام الله سبحانه كما جاء في الدعاء المبارك (أين
المدخرُ لتجديد الفرائض والسنن اين المتخيرُ لاعادة الملة والشرعة، اين المؤمل
لاحياء الكتاب وحدوده، اين محيي معالم الدين واصوله)^(١).

فيا للعجب كل العجب كيف يحق للآخرين المطالبة بالانظمة الوضعية على
ضعفها وقصورها، ولا يحق لنا المطالبة بالانظمة الالهية فاين الحرية واين
الاستقلال في الرأي واين الديمقراطية كما يزعمون؟
﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٢).

١ - إقبال الاعمال - السيد بن طاووس ص ٢٩٧

٢ - سورة العنكبوت، الآية ٤.

(١١) حث الشيطان لترك اقامة الحدود الالهية

بعد ان تعطلت الاحكام الالهية في معظم البلدان الإسلامية، أصبحت هذه الأحكام كأنها اجنبية عن المسلمين وواقعهم، حتى أصبحت عملية تعطيل الأحكام تعدل نبذ للعنف والإرهاب.

وتذرع بعض المنهزمين بقوانين (الحضارة) و(نبذ الصف) وهم بذلك ينالون من الإسلام وشريعته، فلا يمكن للإسلام أن يحقق اهدافه ويجني ثماره دون اقامه حدوده.

وعلى اثر ذلك انتشر الفساد، وعمت الفوضى، وطغت الجريمة، وشاعت الفحشاء.. و أصبح النهي عن المنكر مستغرباً ومستهجناً بل يعتبر تدخلاً في حريات الآخرين وفضول لامبرر له حيث نجد و دون استهجان أحد بيع الخمر علناً، والحفلات الماجنه الحمراء يفتخر بها وهي أماراة للثقافة والحضارة والمعرفة، والمطربين يزعمون، والزناة لا يخجلون، والمرتين بأقوالهم وافعالهم يعلنون ذلك دون خجل اكثر من هذا وذاك انهم يتحركون بحماية ورعاية القوانين السائدة. فكلها مرخصة ومجازة ومباحة وتحت حماية الدولة.

كما ان عدم تطبيق الإسلام أصبح حرصاً على سمعة الإسلام، انظر كيف انقلبت المفاهيم، والشيطان يوسوس في ترك اقامة الحدود، في حين اننا نجد ان احكام الإسلام انما جاءت لحفظ مستقبل الانسانية و استتباب الامن وصيانته المجتمع من المجرمين والقتله وقطاع الطرق فـ(اقامه حدٍ من حدود الله، خير من

مطر أربعين ليلة في بلاد الله^(١).

لذا ينبغي تطبيق حدود الله والا صَبَّ العذاب علينا صَبًّا (قال رسول الله ﷺ)
إذا كثرت الزنا بعدى كثر موت الفجأة، وإذا طفف المكيال أخذهم الله بالسنين
والنقص، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركاتها من الزرع والثمار والمعادن، وإذا
جاروا في الحكم تعاونوا على الظلم والعدوان، وإذا نقضوا العهود سلط الله عليهم
عدوهم، وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار، وإذا لم يأمرُوا
بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتبعوا الأختيار من أهل بيتي سلط الله عليهم
أشرارهم فيدعوا عند ذلك خيارهم فلا يستجاب لهم^(٢).

كل ما ذكره الرسول ﷺ قد تحقق ولكن بما يقابل هذا نجد بحمد الله أن
الحضور الإسلامي ازداد بشكل ملحوظ وازدادت معه المظاهر الإسلامية
والالتزام بالدين، حيث رجوع المسلمين إلى قرآنهم وأصالتهم^(٣) بل بدأت تتطلع
الشعوب الإسلامية إلى إقامة دول إسلامية على غرار ما حصل في الجمهورية
الإسلامية الإيرانية وارتبط العالم الإسلامي بمراجع الدين وعلماء الشريعة الغراء
مما يزلزل عروش الطواغيت.

١ - ميزان الحكمة - الحديث ٣٤١٠، وعوالى الآلى ج ٣ ص ٥٤٩ ح ١٦

٢ - تحف العقول - الحراني ص ٤٢

٣ - وسوسة الشيطان الرجيم - السيد سامى خضرة ص ١١٠

١٢) الغاية من عرض القرآن لأساليب الشيطان

لقد عرض القرآن الكريم أساليب ومراحل عمل الشيطان مع الإنسان في كيفية وسوسته له و غوايته وتزيين أعماله المنحرفة ونسيانه لذنوبه ونزغه واستفزازه وغوايته وزلله وإتباعه خطواته ومسه وغروره في الحياة الدنيا وزينتها وأن يجعله من أتباعه وعبادته له من خلال طاعته في الأعمال والسلوك السيء المنحرف وكيف أنه يسؤل له ويملي عليه ويستحوذ عليه ويكون قريباً له ويستهو به ويوحى إليه ويؤزه أزاً ويهمز له ويقوده إلى جهنم ويرديه، كل ذلك ذكرته الآيات المباركة من الذكر الحكيم في العديد منها تحثنا على أن نتحقق في مطالبها ونأخذ حذرنا من ذلك العدو المبين قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٢)

والإغواء: هو الإلقاء في الغي، والغواية: هي الإضلال بوجه والهلاك والخيبة، والباء (فيما) للسببية أو المقابلة والمعنى فبسبب إغوائك إياي أو في مقابلة إغوائك لي لأقعدن لهم أي لأجلسن لأجلهم على صراطك المستقيم وسبيلك السوي الذي يوصلهم إليك وينتهي بهم إلى سعادتهم، لما ان الجميع

١ - سورة فاطر: ٦.

٢ - سورة الأعراف، ١٦ - ١٧.

سائرون إليك سالكون لا محالة مستقيم صراطك، فالقعود على الصراط المستقيم كناية عن التزامه و ترصده لعابريه ليخرجهم منه، وقوله: (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم) بيان لما يصنعه بهم قاعد على الصراط المستقيم وهو ان يأتيهم من كل جانب من جوانبهم الأربعة، وهي كناية على أنه يأتيهم من كل سبيل ويستخدم كل ذريعة وحيلة من أجل صدهم وإبعادهم عن سواء السبيل، وإلا فالشيطان لا يقعد على تلك السبل المنحرفة الاخرى ولا يصدهم عنها.

١ - المراد في قوله (من بين ايديهم) أي مستقبلهم من الحوادث أيام حياتهم مما يتعلق به من الآمال والاماني و من الامور التي تهواها النفوس وتستلذها الطباع، ومما يكرهه الإنسان ويخاف نزوله كالفقر والفاقة والحرمان.

قال تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَاءَهُ...﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ (٣).

يعدهم الشيطان بامور واشياء لا اساس لها من الصّحة ولا واقع لها والإنسان يغتر به و يصدقه ويؤمن بان هذا صحيح ولكنه لا يجد له أثر فيرى نفسه مخدوعاً حيث يعيش احلام اليقظة ويبني قصوراً في الخيال مليئة بالخدم والحجاب والجواري والفوارات والحدائق الغناء وكل وسائل العيش الرّغيد ثم

١ - سورة النساء، ١٢٠.

٢ - سورة آل عمران، ١٧٥.

٣ - سورة البقرة، ٢٦٨.

يبدأ يتصرف على غرار كونها حقائق، يتعامل معها وكأنها واقع و حقيقة، أو يصور له انه فريد زمانه ووحيد عصره ويحمل من المزايا والسّمات التي قلّ نظيرها أو مثلها في العالم لذا يجب على الجميع مهابته وتقديسه واحترامه، وحينما يبرز إلى النَّاس يجد خلاف ذلك ان النَّاس لا يعيرون له أهمية ولا يحترمونه بتلك الدّرجة أو المنزلة التي تصورها سلفاً فيصطدم، وهكذا يتصور أنّه جميل جداً أو شجاع جداً حتّى يقدم على سلوك شاذ يضع نفسه موضع السّخرية من قبل الآخرين.

٢- اما إذا وجد الشّيطان نفسه عاجزاً عن الدّخول على هذا الإنسان من الباب الأوّل (باب الآمال والاحلام) إذ أنّه لا يخدع بآمال واحلام وهمية وسراب لاساس له من الصّحة طرق عليه الباب الثاني وهو(.... ومن خلفهم....) والمراد من خلفهم الاولاد والاحفاد والاعقاب والاموال فالانسان فيمن يخلفه من الاولاد آمال واماني ومخاوف ومكاره فانه يخيل إليه انه يبقى ببقائهم فيسره ما يسرههم ويسوؤه ما يسوؤهم فيجمع المال من حلاله وحرامه لاجلهم ويعد لهم ما استطاع من قوّة فيهلك نفسه في سبيل حياتهم فيجعله مستغرقاً في امواله واولاده إلى ان يغادر الدنيا ولهم المهنأ وعليه الوزر كما يقول العلماء و لم يحقق الهدف الذي من اجله خلّق، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَلْتُمْ فَأُولَٰئِكَمُ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿وَمَا آمَلْتُمْ فَأُولَٰئِكَمُ بِالْبَئِىِ تَقْرَبُكُمُ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الصَّغْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي

الْعُرْفَتِ ءَامِنُونَ ﴿١﴾

وقال تعالى: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ
اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٣)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ
فَاخْذُرُوهُمْ...﴾ (٤) أي ان بعضهم بهذه الصفة، لأن من الازواج من يتمنى موت
الزوج ومن الاولاد من يتمنى موت الوالد ليرث ماله وما من عدو اعدى ممن
يتمنى موت غيره لياخذ ماله، وكذلك يكون من يحملك على معصية الله لمنفعة
نفسه ولا عدو اشد ضرراً وعداوة ممن يختار ضررك لمنفعته، أي ان قوماً ارادوا
طاعة الله فمنعوههم (٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٦)

آية محنة وابتلاء وشدة وتكليف وأثقال عليكم وشغل عن امر الآخرة من
هذا؟! فإن الإنسان بسبب المال والولد يقع في الجرائم فقد وَرَدَ عن ابن مسعود أنه
قال: لا يقولن أحدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة فانه ليس أحد منكم يرجع إلى

١ - سبأ، ٣٧.

٢ - الممتحنة، ٣.

٣ - المنافقون، ٩.

٤ - التغابن، ١٤.

٥ - مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي ج ١٠ ص ٤٥٢.

٦ - التغابن، ١٥.

مال وأهل وولد إلّا وهو مشتمل على فتنة، ولكن ليقول الله اني اعوذ بك من مضلات الفتن، وروى عبد الله بن بريده عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ اليهما فاخذهما فوضعهما في حجره على المنبر وقال: صدق الله عز وجل ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ في خطبته (١).

وقال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (٢)

الإنسان يتفاخر بالمال و بالبنين ويتزين بهما في الدنيا ولا ينتفع بهما في الآخرة، وانما سماهما زينة الحياة الدنيا وكلاهما لا يبقى للإنسان فينتفع به في الآخرة، والاعمال الصالحة هي الباقية الثابتة التي لا تزول، والباقيات الصالحات (سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله واكبر) وقيل قيام الليل و صلاة الليل وعن جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال للحصين بن عبد الرحمن، يا حصين لا تستصغر مودتنا فإنها من الباقيات الصالحات، وسميت بالباقيات الصالحات لأنها اصلح الاعمال من حيث امر بها ووعد الثواب عليها وتوعد بالعقاب على تركها.

ثم بعد ذلك يفسد أخلاقه ويجعله حريصاً شحيحاً بخيلاً يخشى الفقر ويسئ الظن بالله عز وجل، وكأنما سيخلد بخلود امواله ويبقى ببقائها ويزول

١- مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي ج ١٠ ص ٤٥٢.

٢- الكهف، ٤٦.

بزوالها قال تعالى: ﴿وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ مِيرِثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١)

وقد غاب عن ذهن هؤلاء ان الله عزوجل هو الذي رزقهم الوجود كله كما خلقهم يتخيلون و يتصورون ان الاموال التي احرزوها وجمعوها جاءت نتيجة جهدهم وذكائهم منفصلة عن ارادة الله وقدرته عزوجل، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٣)

الذين يمعنون ما اوجب الله عليهم من ادائه، أو يبخلون باظهار ما علموه ويأمررون غيرهم بذلك شحاً من عند انفسهم، ينتظرهم عذاب مهين وان الله هو الغني الحميد.

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ (٤)

١ - آل عمران، ١٨٠.

٢ - النساء، ٣٧.

٣ - الحديد، ٢٤.

٤ - محمد، ٣٨.

وقال تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَاَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾^(١).

بتلك الاموال التي كنزوها والتي منعوا حق الله فيها باعيانها سوف تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وانما خصّ هذه الاعضاء لانها معظم البدن وكان ابوذر الغفاري رضي الله عنه يقول: (بشر الكانزين بكَيّ في الجباه وكَيّ في الجنوب وكَيّ في الظهور حتّى يلتقي الحر في اجوافهم)، لأن داخلها جوف. وقيل خصّت هذه المواضع لأن الجبهة محل الوسم لظهورها والجنب محل الالم والظهر محل الحدود، وقيل لأن الجبهة محل السجود فلم تقم فيه بحقه، والجنب يقابل القلب الذي لم يخلص في معتقده والظهر محمل الاوزار، عن المارودي قال يحملون اوزارهم على ظهورهم، وقيل لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى عينيه وطوى عنه كشحه وولاه ظهره عن أبي بكر الوراق^(٢). فيشقى الإنسان من اجل جمعه وبالتالي لا يهنأ فيه ولا يسعد في الحياة الدنيا ويكون عليه الوزر ولغيره المهنأ.

٣- واذا عجز الشيطان من الولوج عن طريق الاموال والاولاد الاعقاب طرق الباب الثالث (...وعن ايمانهم...) حيث يرى نفسه لا يؤثر على ذلك الإنسان المؤمن من خلال الأحلام الوردية وبناء القصور في الخيال والآمال والخطط البعيدة الامد والكبيره للآفاق المستقبلية عبر عشرات السنين، ولا يؤثر عليه من

١- التوبة، ٣٤-٣٥.

٢- مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي - م ٣ ج ٥ ص ٤١.

خلال الشهوات والنزوات، ولا يؤثر عليه من خلال الاموال والاولاد لانه مؤمن ملتزم واعى مسؤوليته الشرعية، لا يسرق ولا يزني ولا يرتكب الموبقات ولا يغتصب الآخرين حقوقهم كيف يتعامل مع هكذا انسان؟ يأتيه عن طريق العبادات والطاعات والقربات، ويجعله يغالي ويبالغ فيها كثيراً فيبدأ بالصلاة مثلاً يقول له صلّ ليل نهار اكثر من صلاة النوافل، حتّى يبلغ به الارهاق الشديد بحجة انك ستصل إلى مقام عالي لا يصل إليه غيرك، ثم يقول له صم، أكثر من الصيام حتّى يجهد كثيراً، بعد ذلك يقول له ينبغي لك ان تحتاط في مسألة النجاسات و كلما احتطت في هذا الباب قُبِلَ عملك وكثُرَ اجرُك ويسير معه حتّى يصور له كل شيء في الوجود نجس حتّى تثبت طهارته بعكس القاعدة الفقهية (كل شيء لك طاهر حتّى تثبت نجاسته) حتّى يحوِّله إلى انسان وسواسى مصاب بمرض اسمه الوسوسة وبشكل شيطاني بحث ثم يقول له لا تقارب زوجتك فإن المقاربة تضعف ايمانك وتجلب لك الخمل في طاعة الله وبالتالي يبدأ يبتعد قليلاً قليلاً عن واقع اهله ومجتمعه، يقول له لا تتحدّث مع النَّاس فلربما يحصل الكذب أو تحصل الغيبة والنميمة، لا تضحك ولا تبتسم لأن الضحك والابتسام يميت القلب وبموت القلب تدخل النار وهكذا... يثقل عليه يوماً بعد آخر منتظراً منه ان ينقطع به الطريق ولا يواصل سيره بل سيحصل لديه رد فعل وهو ما ينتظره الشيطان بفارغ الصبر والتحمل وما يريده منه حيث يعلم ان النفس الانسانية وخصوصاً هذا المستوى من النَّاس، إذا شَوَّقَه إلى العبادة بهذا القدر الكبير والشديد سوف تحصل لديه حالة شديدة من النفور يوماً ما، وفعلاً سوف يجد ذلك الضحية البائس نفسه وقد تحطم تماماً.

وقد أمرنا الشارع المقدس بان لا تتبع خطوات الشيطان وقال تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلْالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ
لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢)
وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ
خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾ (٣).

فما المراد من اتباع خطوات الشيطان؟

المراد من اتباع خطوات الشيطان التعبد لله بما لم يأذن به الله في التعبد، ان
الله لم ينه الإنسان عن السير في الطريق الطبيعي المستقيم ولكن نهاه عن السير
الذي يضع فيه الإنسان قدمه موضع قدم الشيطان فتطبق مشيته معه فيكون متبعاً
له، حيث يبتدع له ديناً آخر مشابهاً للدين الحقيقي ويخدعه به فيجعله تاركاً
للطريق المستقيم وسالكاً الطريق الزائف الخادع المعوج.

فقد ورد في التهذيب عن عبد الرحمن قال: سألت ابا عبد الله الصادق عليه السلام عن
رجل حلف أن ينحر ولده قال: ذلك من خطوات الشيطان. وعن منصور بن حازم
أيضاً قال: قال لي ابو عبد الله عليه السلام: اما سمعت بطارق إن طارقاً كان نخاساً بالمدينة

١- سورة البقرة، الآية ٢٠٨.

٢- سورة الانعام، ١٤٢.

٣- سورة النور، ٢١.

فأتى اباجعفر الباقر عليه السلام فقال يا اباجعفر إني حلفت بالطلاق والعناق والنذر؟ فقال له: يطارق هذا من خطوات الشيطان. وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: إذا حلف الرجل على شيء - والذي حلف عليه إتيانه خير من تركه فليأت الذي هو خير ولا كفارة له انما ذلك من خطوات الشيطان ^(١) وعن عبدالله بن سنان قال: ذكرت لابي عبدالله الصادق عليه السلام رجلاً مُبتلي بالوضوء والصلاة وقلت: هو رجل عاقل فقال ابو عبدالله عليه السلام: وأي عقل له وهو يطيع الشيطان؟ فقلت له وكيف يطيع الشيطان؟ فقال سله هذا الذي يأتيه من أي شيء هو؟ فانه يقول لك: من عمل الشيطان ^(٢).

الشيطان يأتي للإنسان المؤمن عن طريق وضوئه فيقول له ان وضوءك فيه نقص أو خطأ هل توضأت أم لا؟ هل تركت جزءاً أم لا؟ هل اختلط الماء عليك أم لا؟ اعد الوضوء افضل ومن الاحسن ان تعيده مرة اخرى وهكذا وربما الماء مغصوب أو ان هذا الماء ليس بطاهر وهكذا يبلبل افكاره ويقول له إذن صلاتك باطلة وثيابك نجسة ووووو.... وكذلك الحال في الاغسال كفسل الجنابة وغيرها من الاغسال، هناك جزء لم يصله الماء وجزء آخر عليه حاجب وهكذا....

ويأتيه في الصلاة فيقول له صلاتك باطلة لأن المكان يشك في ملكيته واباحته أو نجس أو ان القبلة ليست هكذا أو ملابسك مشكوك في حليتها وطهارتها واباحتها، أو انك لم تنو في صلاتك أو لم تكبر أو كبرت ولكن تلفظك

١ - الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي ج ١ ص ٤٢١.

٢ - الاربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ٣٦٤ عن اصول الكافي المجلد الأول - كتاب العقل والجهل ج ١٠.

كان خطأً أو يشككه في عدد الرّكعات والسّجّادات والقراءة وصحتها حتّى يبالغ في المد والادغام واخراج الحروف من مخارجها وهكذا التشهد والتسليم.

عن زرارة وأبي بصير قالا (قلنا له - أي لجعفر الصادق عليه السلام - الرجل يشك كثيراً في صلاته حتّى لا يدري كم صلى ولا ما بقي عليه؟ قال يعيد قلنا له: فانه يكثر عليه ذلك، كلما اعاد شك قال يمضي في شكه ثم قال: لا تعودوا الخبيث من انفسكم بنقض الصّلاة فتطمعوه فإن الشّيطان خبيث يعتاد لما عوّد، فليمض أحدكم في الوهم ولا يكثرن نقض الصّلاة فانه إذا فعل ذلك مرات لم يعد إليه الشّك، قال زرارة ثم قال عليه السلام: انما يريد الخبيث ان يطاع فإذا عصى لم يعد إلى أحدكم^(١).

وعن الباقر عليه السلام قال: إذا كثر عليك السّهو فامض في صلاتك فانه يوشك ان يدعك إنّما هو من الشّيطان^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: أتني رجلٌ للنبي عليه السلام فقال: يا رسول الله اشكو إليك ما ألقى من الوسوسة في صلاتي حتّى لا ادري ما صليت من زيادة أو نقصان فقال: إذا دخلت في صلاتك فاطعن فخذك الايسر باصبعك المسبحة ثم قل (بسم الله وبالله توكلت على الله، اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) فانك تنحره وتطرده^(٣). وقد اوردت الرسائل العملية في هذا المعنى الشّيء الكثير منها:

مسألة ٨٤٩- كثير الشّك لا يعتني بشكّه، سواء كان الشّك في عدد الرّكعات

١- الاربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ٣٧١ عن فروع الكافي المجلد الثالث، ص ٣٥٨ و ٣٥٥

٢- الاربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ٣٧١ عن فروع الكافي المجلد الثالث ص ٣٥٨ و ٣٥٩

٣- الاربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ٣٧٢، عن فروع الكافي المجلد الثالث، ص ٣٥٩

أم في الافعال أم في الشرائط فيبني على عدمه كما لو شك بين الاربع والخمس أو شك في انه اتى بركوع أو ركوعين مثلاً فإن البناء على وجود الاكثر مفسد فيبني على عدمه.

مسألة ٨٥٣- لا يجب عليه ضبط الصلاة بالحصن أو بالسبحة أو بالخاتم أو بغير ذلك.

مسألة ٨٥٤- (لا يجوز لكثير الشك الاعتناء بشكه فإذا جاء بالمشكوك فيه بطلت) (١).

ليس هذا فحسب بل يشككه أيضاً في امامة الجماعة في شرائطها ويقول له لا تصلّ خلف هذا لانه يشك في امره أو ربما ارتكب خطأ أو معصية يوماً ما أو انك لا تصلح لامامة الجماعة ولا تتصدي، البعض يبلغ درجة علمية عالية وعلى شأن كبير من الايمان والتقوى ولكنه لا يتجرأ يوماً أن يكون اماماً للجماعة بزعم انها مسؤولية جسمية خطيرة ينبغي الافلات منها ويعتبر ذلك زهداً وورعاً... أو لا تصلّ في الصف الأول في صلاة الجماعة، او لا تتصدق لأن تصدقك معناه الرياء والسّمة وعملك باطل، أو لا تأمر بمعروف أو تنه عن منكر لأن ذلك معناه حب الظهور والتسلّط، وهكذا لا تذهب إلى الحج لأن هناك من يقول لك حاج فلان، لا تقم لصلاة الليل لانه يتعبك في النهار أو إذا سُئِلت أجبت بانك تصلي صلاة الليل وبهذا تنتظر السّمة والرياء، تصلي صلاة الليل حتّى تقول اني اصلي صلاة الليل لا تصم لانك إذا صمت وسُئِلت قلت اني صائم وبذلك يكون رياء وسّمة، لا تطيل

السَّجُود امام الآخرين في صلاة الجماعة لاتصلّ النوافل امام انظار المصلّين في المسجد لا... لا... وكل ذلك بزعم الاخلاص والتقوى والقرب إلى الله عز وجل.

الرّياء

من اخطر ما يلج فيه الشّيطان (النّيّة) في الاعمال حيث يعمد الإنسان المؤمن إلى أي عمل صالح يريد تأديته فيلججه الشّيطان ويفسد عليه عمله، ويكون له شريكاً فيه وخير دليل على ذلك مرض الرّياء. عن جعفر الصادق عليه السلام قال: كل رياء شرك، انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه على الله (١).

والرياء: هو عبارة عن إظهار شيء من الاعمال الصّالحة أو الصّفات الحميدة أو العقائد الحقّة الصّحيحة للناس لاجل الحصول على منزلة في قلوبهم والاشتهار بينهم بالصّلاح والاستقامة والامانة والتدين، بدون نية الهية صحيحة، او من أجل تحقيق مآرب دنيوية لاقيمة لها.

١ - الاربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ٤٤ عن اصول الكافي المجلد الثاني - كتاب الايمان والكفر - باب الرّياء ج ٣

وهذا الامر يتحقق في عدة مقامات:

المقام الأول:

- ١- ان يظهر العقائد الحقّة والمعارف الالهية من اجل ان يشتهر بين الناس بالديانة ومن اجل الحصول على منزلة في القلوب.
- ٢- ان يبعد عن نفسه العقائد الباطلة، وينزه نفسه عنها لأجل الحصول على الجاه والمنزلة في القلوب سواء أكان ذلك بصراحة القول أو بالاشارة والكناية.

المقام الثاني:

- ١- ان يظهر الخصال الحميدة والملكات الفاضلة و...
- ٢- ان يتبرأ مما يقابلها وان يزكي نفسه للغاية نفسها التي اصبحت معلومة.

المقام الثالث:

وهو الرّياء المعروف عند الفقهاء الماضين رضوان الله عليهم. وله أيضاً نفس تلكما الدّرجتين.

- ١- ان يأتي بالأعمال وبالعبادات الشرّعية، وأن يأتي بالامور الرّاجحة عقلاً بهدف مراعاة الناس وجلب القلوب.

- ٢- ان يترك عملاً محرماً أو مكروهاً بنفس الهدف المذكور. عن علي بن سالم قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: قال الله عز وجل في الحديث القدسي: (انا

خير شريك من اشرك معي غيري في عمل عمله لم اقبله إلا ما كان لي خالصاً^(١).
وعن جراح المدائني عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عز وجل ﴿فَمَنْ كَانَ
يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٢) قال عليه السلام:
الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله، انما يطلب تزكية الناس يشتهي
ان يسمع به الناس فهذا الذي اشرك به عبادة ربه.

ثم قال: ما من عبد أسرّ خيراً فذهبت الايام ابدأ حتى يظهر الله له خيراً، وما
من عبد اسرّ شراً فذهبت الايام ابدأ حتى يظهر الله له شراً^(٣).

وعن الصادق عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به
فإذا صعد بحسناته يقول الله عز وجل اجعلوها في سجين إنه ليس اياي اراد
بها^(٤).

فينبغي للمؤمن الواعي أن يحذر ذلك العدو المبين في افساده لصالح اعماله
وقرباته التي يراد بها كامل الاخلاص لله عز وجل فقد ورد في الحديث القدسي
قوله تعالى: «لا تسعني أرضي ولا سمائي، بل يسعني قلب عبدي المؤمن»^(٥).
وبقدر ما يكون الإنسان ذا تأثير اجتماعي أو عقائدي يشد اهتمام ابليس

١ - الاربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ٤٧ عن اصول الكافي المجلد الثاني - كتاب الايمان والكفر - باب الرياء ج ٩.

٢ - الاربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ٥٠ - سورة الكهف آية ١١١.

٣ - الاربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ٥٠ نقلاً عن اصول الكامل المجلد الثاني - باب الرياء ج ٤.

٤ - الاربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ٥١ نقلاً عن اصول الكافي المجلد الثاني - كتاب الايمان والكفر

٥ - الاربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ٥٤ نقلاً عن احياء العلوم - المجلد الثالث.

وجنوده به حيث يلزمه بشدة ولا يغادره وحينما يريد ان يخطو نحو مشروع اصلاحى كبير، أو نحو عمل ذى اثر اجتماعي مهم في توجيه الناس وهدايتهم، ويأتيه من الجهة التي تؤثر عليه أو يحبها اكثر من غيرها فيغريه ويغويه بها، ويجعل جل اهتمامه وتركيزه عليها فلا يغادره ولا يبرح عنه حتى يزل قدمه لذا نجد الكثير من العلماء أو الفضلاء أو المتصدين يرتكبون اخطاء قاتلة لا ينبغي لعاقل ان يقوم بهابعد ذلك التاريخ وتلك التجارب الثرة التي خاضوها ازّلهم الشيطان من بعد عناء وجهد جبار بذله حتى يقال عنهم انهم انحرفوا أو انهم مترفون أو كاذبون، وهكذا تجد العكس بالعكس مع المهملين أو المنحرفين اساساً انه لا يهتم بهم كثيراً بل أساساً فهم طوعه وسالكي سبيله إذن ينبغي الاخلاص في النية والعمل وأخذ الحيطة والحذر وقد ورد في الحديث القدسي (قلب المؤمن بين اصبعي الرحمن يقلبه كيف يشاء)^(١). وان الله عز وجل خلق الاشياء كلها من اجل الإنسان وخلقها من اجله كما ورد في الحديث القدسي: (يا ابن آدم خلقت الاشياء لاجلك وخلقتك لاجلي)^(٢). وعن الرضا عليه السلام عن آباءه عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال: (ماخلص عبدٌ لله عز وجل اربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)^(٣).

فينبغي للمؤمن ان يلتفت إلى اخلاصه في النية وفي القول وفي العمل وإلاّ

-
- ١- الاربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ٥٥ نقلاً عن صحيح مسلم المجلد ١٨ - ص ٥١.
 - ٢- الاربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ٥٥ نقلاً عن المنهج القوى المجلد الخامس، ص ٥١٦.
 - ٣- الاربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ٦٠ عن بحار الانوار المجلد ٧٠ ص ٢٤٢.

ينطبق عليه ماورد عن النبي ﷺ قال: المرائي يُدعى يوم القيامة بأربعة أسماء يا فاجر يا كافر يا غادر يا خاسر، حبط عملك، وبطل اجرک، ولا خلاص لك اليوم، التمس اجرک ممن كنت تعمل له).

وعن امير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (من تزین للناس بما يحب الله وبارز الله في السر بما يكره الله لقي الله وهو عليه غضبان وله ماقت)^(١).

وعن امير المؤمنين عليه السلام قال: (ثلاث علامات للمرائي ينشط إذا رأى الناس، ويكسل إذا كان وحده، ويحب ان يحمد في جميع اموره)^(٢). وقال عليه السلام اعملوا في غير رياء ولا سمعة فانه من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له). اما ان تميل نفوس عامة الناس بحسب الغريزة والفطرة إلى ان تظهر خيراتها أمام الناس، وإن لم يقصدوا ان يظهروها للسمعة والرياء ولكن نفوسهم مفطورة على هذا الميل، وهذا ليس موجبا لبطلان العمل أو الشرك أو النفاق أو الكفر، وإن كان ذلك نقص بالنسبة للاولياء ومذموم لدى البصير أو العارف بالله، في حديث محمد بن يعقوب باسناده عن أبي جعفر عليه السلام، قال (سألت عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه انسان فيسره ذلك، قال لا بأس، ما من أحد إلا وهو يحب ان يظهر له في الناس الخير إذا لم يكن صنع ذلك لذلك)^(٣).

١ - الاربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ٦٢ عن وسائل الشيعة المجلد الأول - الباب الحادي عشر من ابواب مقدمة العبادات ح ١٤ ص ٥٠.

٢ - الاربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ٦٣ عن اصول الكافي - المجلد الثاني - كتاب الايمان والكفر - باب الرياء ح. ٨

٣ - الاربعون حديثاً - الإمام الخميني ص ٦٥ عن اصول الكافي المجلد الثاني - كتاب الايمان والكفر باب في اصول الكفر واركانه - ح.

إذن نخلص بخمس حالات للتدخل الشيطاني في نيّة الإنسان وفي عمله من أجل التخريب والابطال وهي:

الحالة الاولى:-

أن يكون عمل الإنسان ونيّته منذ البداية الرّياء والنفاق وهذا العمل باطل قطعاً.

الحالة الثانية:-

أن يكون العمل خالصاً والنية منذ البداية سليمة ولكن الشيطان يدخل عليه في الاثناء فيفسد نيته ويحرفها والعمل لم يكتمل بعد - أي في وسط الطريق - وهذا أيضاً مفسد للعمل ومبطل له.

الحالة الثالثة:-

ان النية والعمل صادقين مخلصين لله تعالى منذ البداية وحتى الانتهاء والفراغ، ثم يأتي بعد ذلك الشيطان ويقول له ان عملك كذا وكذا يريد به الابطال هنا لا يبطل العمل ولكنه من الأولى عدم الانقياد للشيطان، ولا بأس بأن يسر بأن يرى الناس منه الخير. فما من أحد إلا وهو يحب ان يظهر له في الناس الخير والذكر الحميد، إذا لم تكن الغاية منذ البداية لهذا الامر.

الحالة الرابعة:-

نفس الحالة الثالثة ولكنه يستجيب للشيطان فيقول اني صليت صلاة الليل

أو بالامس انا كنت صائماً وهكذا لا يقصد الرياء والسمعة... وهذا قبيح وان كان لا يبطل ما مضى من العمل الصالح، اما إذا كان هذا الذكر يقصد تشجيع الآخرين فلا مانع منه بل هو اولى وافضل.

الحالة الخامسة: -

وهي ان لا يتأثر باقوال الآخرين ولا يدخل قلبه شيء من السرور حتى لو مدح وهي اعلى الدرجات.

وأحياناً تحصل حالة الوسوسة، حيث يأتي الشيطان للمؤمن ويقول له ان عملك هذا باطل لأنك مرّاني تصلي كثيراً امام الناس أو تتصدق أو تدعو إلى الخير أو تقول أريد الحج والعمرة والزّيارة والعبادة وقراءة القرآن واصلاح ذات البين وغير ذلك من العبادات والطّاعات، فينبغي الاقدام على العمل وعدم الالتفات إلى هذه الوسوسة بل يصرّ عليها كثيراً، فإذا قال مثلاً لا تطل السجود لانه رياء فينبغي اطالة السجود واذا قال لا تصلي النوافل لانه رياء فينبغي الصلّة وهكذا... يردّ على الشيطان ويقول له ارغم انك باطالة سجودي وعبادتي وكثرة طاعتي لله عزّوجل.

٤- واذا عجز عن الدّخول من الابواب الثلاثة (... من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم...) يأتي من الباب الرّابع (... وعن شمائلهم...) ان يزين لهم الفحشاء والمنكر ويدعوهم إلى ارتكاب المعاصي واقتراف الذنوب واتباع الاهواء ومن مظاهر ذلك الشّهوات والهوى والاستغراق في حب الدّنيا ومتاعها و هنا يراد بالشمال خلاف اليمين، خلاف الالتزام و الانقياد للشارع المقدس، قال

تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ (١)

فما هذا التزيين؟

ومن الذي زين للناس حب الشهوات؟ (٢)

هذا التزيين هو ظهور الدنيا للإنسان بزيينة الاستقلال وجمال الغاية والمقصد لا يستند إلى الله سبحانه وتعالى فإن الربّ العليم الحكيم امنع ساحة من ان يدبر خلقه بتدبير لا يبلغ به غايته الصالحة وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ (٤).

لذا نخلص بنتيجة هي ان الشيطان هو الذي زين للناس حب الشهوات وخدعهم بها قال تعالى: ﴿زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٦)

الشيطان جعلهم ينكبون على حب الدنيا وعلى حب هذه المشتهيات وانقطعوا إليها عن ما يهمهم من امر الآخرة وقد اشتبه عليهم الامر فإن ذلك متاع

١ - آل عمران، ١٤.

٢ - الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي ج ٣ ص ٩٦.

٣ - الطلاق، ٣.

٤ - يوسف، ٢١.

٥ - الانعام، ٤٣.

٦ - الانفال، ٤٨.

الحياة الدُّنيا ليس لها إلا أنها مقدمة لنيل ما عند الله من حسن العآب مع انهم غير مبدعين في هذا الحب والاشتهاء ولا مبتكرين بل مسخرون بالتسخير الالهي بتعزيز اصل هذا الحب فيهم لتتم لهم الحياة الدُّنيوية الحياة الزآئلة، فلو لا ذلك لا يستقيم امر البشرية بحسب تقدير الجليل تعالى شأنه قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (١).

إلا ان هؤلاء اخلدوا إليها ولم يتخذوها وسيلة إلى الدآر الآخرة ويأخذوا من متاع هذه الدُّنيا بغض النظر أو عدم الالتفات إلى زخرفها وزينتها بعين الاستقلال وينسوا بها ما وراءها، ويأخذوا الطّريق مكان الهدف أو المقصد في حين انهم سائرون إلى ربهم قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ (٢).

معناه وانا مخربون الارض بعد عمارتها وجاعلون ما عليها مستويآ من الأرض يابسآ لآنبات فيه وقيل بلاقع عن مجاهد (٣).

ان هؤلاء المغفلين أخذوا هذه الوسائل الظآهرة الّتي هي مقدمات وذرائع إلى رضوان الله تعالى اموراً مستقلة في نفسها، محبوبة لذاتها وزعموا انها تغني عنهم من الله شيئآ فصارت نقمة عليهم بعد ان كانت نعمة، ووبالآ بعد أن كانت مثوبة ومقربة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ

١- البقرة، ٣٦.

٢- الكهف، ٧-٨.

٣- مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي ج ٦، ص ٦٩٥.

وَوَظَنَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَمَّ أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾
إِنِّي أَنَا قَالَ تَعَالَى: ﴿... وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقَّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١).

تشير هذه الآيات إلى امر الحياة الدُّنيا وزينتها بيده تعالى لا ولى لها دونه، لكن الإنسان باغتراره بظواهرها يظن أن امرها إليه وبيده، وأنه قادر على تدبيرها وتنظيمها فيتخذ لنفسه فيها شركاء - كالشهوات وكالاصنام والاهواء، وما بمعناها من المال والولد وغيرهما، وإن الله سيوقفه على زلته فيذهب هذه الزينة ويزيل الروابط التي بينه وبين شركائه، وعند ذلك يضل عن الإنسان ما افتراه على الله من شريك في التأثير ويظهر له معنى ما عمله في الدنيا ورد إلى الله - الذي ولّاه - الحق. إذن التزيين تزئينان: تزيين للتوسل بالدنيا إلى الآخرة واتساع واستغناء مرضاته في مواقف الحياة المتنوعة بالاعمال المختلفة بالمال والجاه والولد والنفس، وهو سلوك الهي حسن نسبه الله تعالى إلى نفسه كما مر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا...﴾ وكقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (٢)

وتزيين لجلب القلوب وإيقافها على الزينة والهائها عن ذكر الله وهو تصرف شيطاني مذموم، نسبه الله سبحانه إلى الشيطان، وحذر عباده عنه كقوله

تعالى: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) وقوله تعالى فيما يحكيه من قول الشيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢)

وقوله تعالى: ﴿زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَلِهِمْ﴾^(٣)

إذن الاستغراق في حب الشهوات يؤدي إلى الخروج عن الطريق القويم وإلى التهلكة مما يساعد الشيطان في اضلال بني آدم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾^(٤)
وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾^(٥)

عن النبي ﷺ: تلا هذه الآية ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ﴾ فقال: يكون الخلف من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا، ثم يكون خلف يقرأون القرآن لا يحدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر^(٦). إذن الشهوات إذا انفردت بصاحبها تؤدي به إلى التهلكة والضياع.

١ - الانعام، ٤٣.

٢ - سورة الحجر، ٣٩.

٣ - التوبة، ٣٧.

٤ - النساء، ٢٧.

٥ - مريم، ٥٩.

٦ - الميزان الطباطبائي ج ١٤ ص ٨٠.

الفصل الرابع

الإنسان الكامل والشیطان

- ١- آدم والشیطان
- ٢- الانبياء والشیطان
- ٣- ملازمة الشیطان للإنسان
- ٤- الإنسان مسؤول عن أعمال
- ٥- الشیطان في الميدان الاجتماعي
- ٦- بين الارتباط الواقعي والارتباط التجريدي

١ - آدم و الشيطان

منذ الساعة الاولى التي خُلِقَ فيها آدم ﷺ وواجه الحياة جاءه النداء من ربّ العزة محذراً ومنذراً ذلك المخلوق الذي حَفَّ به - الشيطان الرجيم - والذي أراد له كلّ كيد ومكر من دون أن يرتكب معه جرماً أو خطأ والتحذير ليس فقط لآدم بل لحواء أيضاً أي للجنس الإنساني، إن هذا المخلوق يريد أن يحرفكم عن الطريق القويم يريد ان يخرجكم من الصراط المستقيم فينبغي الحذر قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾^(١)

وكان المسيرة البشرية لاتتم إلا على الأرض و إلا به - بالشيطان - وبالأضداد تعرف الأشياء، يعرف الشر بالخير والنهار بالليل والكرم بالبخل والجبن بالشجاعة وهكذا ثم ان الله عزّوجلّ خلق الجنس البشري للأرض للاختبار والابتلاء والامتحان ولم يخلقه ليبقى بالجنة وبشكل مباشر كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢)

من هذه الآية المباركة نعرف إنّ البشرية مستقرها ومستودعها الأرض
قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (١)

ليعلم آدم ﷺ وبني آدم إنّ الله جعل خليفته في الأرض وليس في الجنة
بصريح الآية ﴿...إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (٢)

وان بني آدم خلفوا آبائهم في إقامة الحقّ وعمارة الأرض (٣).

قد تثار شبهة وهي إنّ آدم ﷺ بقي في الجنة التي كان فيها لولم يكن هناك
شيطان ولما أخرج منها ولبقيت البشرية فيها خالدة ولما دخلوا النار، ولما كانت
نار.

وللإجابة على هذه الشبهة نذكر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿وَقُلْنَا يَسَّادُمُ اسْكُنْ
أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ﴾ ﴿فَازْلَمَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (٤).

من هذه الآيات المباركة وغيرها من الآيات نستطيع أن نصل إلى حقيقة
واقعة وهي إنّ الجنة التي كان فيها آدم ﷺ لم تكن جنة الخلد التي وعد الله بها
عباده الصالحين وذلك للأسباب التالية:

١- طه، ٥٥.

٢- البقرة، ٣٠.

٣- مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي ج ١ ص ١٧٦ و ١٧٧.

٤- سورة البقرة، ٣٤-٣٦.

١- إن جنة الخلد ليس فيها تكليف وجنة آدم ﷺ كان فيها تكليف بدليل قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾

٢- إن جنة الخلد ليس فيها طعام ممنوع من الأكل وجنة آدم ﷺ فيها طعام ممنوع من الأكل بدليل قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾.

٣- إن جنة الخلد لا تقع فيها معصية ولا يمكن لإنسان إن يعصي الله عز وجل فيها في حين جنة آدم ﷺ تقع فيها معصية كما حصل بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾

٤- إن جنة الخلد لا يمكن أن يكون فيها الإنسان ظالماً لنفسه أو لغيره أما جنة آدم ﷺ يمكن فيها أن يكون الإنسان ظالماً بدليل قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

٥- إن جنة الخلد لا فناء فيها ولا موت بل الإنسان يكون خالداً فيها ومن اسمها جنة الخلد قال تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي

مِنْ تَخْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»^(١)

وهناك العشرات من الآيات المباركة تشير إلى هذا المعنى في حين ان جنة آدم ﷺ لم تكن جنة خلد وليس فيها خلود بدليل قوله تعالى: ﴿مَنْهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾^(٢).

هكذا خدع الشيطان آدم وحواء بان قال لهما ان تكونا من الخالدين.

٦- ان جنة الخلد ليس فيها وسوسة أو انحراف أو شيطان أما جنة آدم ﷺ كان فيها وسوسة وكان فيها شيطان بدليل قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ...﴾^(٣)

٧- ان جنة الخلد ليس فيها قسم بالله عز وجل كاذب بل هي وعد الصدق الذي كانوا يوعدون قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^(٤).

أي في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم ووصفه بالصدق لكونه رفيعاً مرضياً^(٥).

في حين ان جنة آدم ﷺ كان فيها قسم بالله كاذب بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَئِنِ النَّاصِحِينَ﴾^(٦)

١- النساء، ١٣.

٢- الاعراف، ٢٠.

٣- الاعراف، ٢٠.

٤- القمر، ٥٤ - ٥٥.

٥- مجمع البيان - الطبرسي م ٥ ج ٩ ص ٢٩٥

٦- الاعراف، ٢١.

٨- ان جنة الخلد ليس فيها غرور ومعنى الغرور هو الخداع والغش قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّٰدِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١)

في حين ان جنة آدم ﷺ كان فيها غرور قال تعالى: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ (٢)
٩- ان جنة الخلد ليس فيها نصب ولا عناء ولا آلام قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آدْخُلُوها بِسَلَامٍ ءَامِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ﴾ (٣).

في حين ان جنة آدم ﷺ حصل فيها عناء ونصب قال تعالى: ﴿...بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ...﴾ (٤)

أي ظهرت لهما سوءاتهما وشرعا في ترقيع أوراق الشجر حتى صار كهياة الثوب لكل منهما في حين ان لباس أهل الجنة السندس والإستبرق والحرير قال تعالى: ﴿وَجَزَّوْهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (٥)

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ (٦)

١٠- ان جنة الخلد ليس فيها أعداء لساكنيها بل إخواناً وأحباء أقال تعالى:

١- الأحقاف، ١٦.

٢- الأعراف، ٢٢.

٣- الحجر، ٤٥ - ٤٨.

٤- الأعراف، ٢٢.

٥- الإنسان، ١٢.

٦- الإنسان، ٢١.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾^(١)

في حين ان جنة آدم ﷺ كان فيها عدو وهو الشيطان حيث قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(٢)

١١- ان جنة الخلد لا يقع فيها ظلم إطلاقاً في حين ان جنة آدم ﷺ وقع فيها الظلم فعلاً بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا...﴾^(٣).

١٢- ان جنة الخلد ليس فيها إخراج أو هبوط أو إنتقال منها إلى ما هو دونها من حيث الرفعة أو المتعة قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٤)

في حين ان جنة آدم ﷺ فيها إخراج أو هبوط قال تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾^(٦)

كما ورد في تفسير القمي عن أبيه رفعه قال: سئل الصادق ﷺ عن جنة آدم أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة؟ فقال ﷺ: كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً، وقال ﷺ فلما

١- الحجر، ٤٧.

٢- الأعراف، ٢٢.

٣- الأعراف، ٢٣.

٤- المائدة، ١١٩.

٥- سورة الأعراف، ٢٤.

٦- البقرة، ٣٦.

اسكنه الله الجنة وأباحها له إلا الشجرة، لأنه خلق خلقه لا يبقى إلا بالأمر والنهي والغذاء واللباس والإكتنان والنكاح، ولا يدرك ما ينفعه مما يضره إلا بالتوفيق فجاءه ابليس فقال له: إنكما ان اكلتما من هذه الشجرة التي نهاكما الله عنها صرتما ملكين، وبقيتما في الجنة أبداً وان لم تأكلا منها أخرجكما الله من الجنة، وحلف لهما أنه لهما ناصح^(١).

أما مسألة الهبوط في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾^(٢) يمكن الجزم ان تكون جنة آدم كانت في السماء وان لم تكن جنة الآخرة التي هي جنة الخلد والتي لا يخرج منها من دخل فيها وأنه تعالى أبدل الظلم في قوله: ﴿...وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

أبدله في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى^(٤).

فالحياة الأرضية تغاير حياة الجنة حيث ان حقيقتها ممتزجة بحقيقة الأرض ذات عناء وشقاء يلزمها ان يتكون الإنسان في الأرض ثم يعاد بالموت إليها ثم يخرج بالبعث منها. فأوضح إذن ان المراد بالشقاء هو التعب الدنيوي، الذي تستتبعه هذه الحياة الأرضية من جوع وعطش وعراء وغير ذلك.

إذن وان كانت تلك الجنة لها مزايا خاصة لكنها تبقى انها ليست جنة الخلد

١- الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي، ج ١ ص ١٣٨.

٢- البقرة، ٣٦.

٣- البقرة، ٣٥.

٤- طه، ١١٧ - ١١٨.

أو من جنان الآخرة.

كما يذهب بعض العلماء^(١) إلى أن جنة آدم ﷺ هي جنة ملكوتية سماوية للدلالة التالية:

(١) لم يكن فيها تكبر ولا مكان للمتكبرين قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ^(٢).
فهي دار العزة والكرامة والخارج منها من الازلاء.

(٢) إِنَّ جَنَّةَ آدَمَ لَيْسَ فِيهَا عِدَاوُهُ فَكُلْ سَاكِينَهَا يُحِبُّ بَعْضُهُمْ بَعْضٌ وَلَا يَبْغِضُ بَعْضُهُمُ الْبَعْضَ الْآخِرُ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾^(٣)

(٣) إِنَّ هَذِهِ الْجَنَّةَ فِيهَا السَّعَادَةُ وَالْخُرُوجُ مِنْهَا يَكُونُ فِيهِ الْإِنْتِقَالُ إِلَى الشَّقَاءِ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْنَا يَنَادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾^(٤).

(٤) إِنَّ هَذِهِ الْجَنَّةَ لَيْسَ فِيهَا جُوعٌ وَلَا عَطَشٌ وَلَا عَرِيٌّ وَلَا حَرٌّ وَلَا تَقْلِبَاتٌ لِلْجُوعِ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لَكَ إِلَّا تَجُوعٌ فِيهَا وَلَا تَعْرِى﴾ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى^(٥)، ولكن مع كل هذا لم تكن هي جنة الخلد ولم يخلق آدم ﷺ للبقاء فيها.

١ - محاضرات الشيخ الدكتور محمد تقي پور.

٢ - سورة الاعراف، ١٢ - ١٣.

٣ - سورة الاعراف، ٢٤.

٤ - سورة طه، ١١٧.

٥ - سورة طه، ١١٨ - ١١٩.

٢- الأنبياء والشيطان

هل يؤثر الشيطان على الرسل والأنبياء والمعصومين؟

أطلعنا سابقاً كيف يؤثر الشيطان على الإنسان بنحوم التأثير، على الإنسان العادي فحسب، أما بخصوص الإنسان الكامل الذي لاتصدر منه المعاصي والذي هو في رتبته الوجودية أعلى من رتبة الشيطان، هل يتسلط عليه الشيطان بالاضلال؟

الجواب: الشيطان وان امكن ان يمس الأنبياء في أجسامهم أو بتخريب أو إفساد ما يرجونه من نتائج أعمالهم في رواج الدين واستقبال الناس، أو تضعيف أعداء الدين كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۖ﴾ ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾^(١) مما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ ان يصبر كما صبر ايوب عليه السلام.

حيث نادى ربه، وكلمة (ربه) تشعر بأنه يناديه لحاجته ولم يصرح بما يريد ويسأله تواضعاً وتذلاً بأن مسه الشيطان - أي أصابه الضر كما ورد في سورة الأنبياء من ندائة ان مسني الضر وانت أرحم الراحمين بناءً على شمول الضر في نفسه وأهله ولم يشر في هذه السورة ولا في سورة الأنبياء إلى ذهاب ماله وان وقع ذكر المال في الروايات^(٢).

وقوله (بنصب وعذاب) أي بتعب ومكروه ومشقة وقيل بوسوسة فيقول له -

١- سورة ص، ٤١-٤٢.

٢- الميزان - الطباطبائي ج ١٧ ص ٢٠٨

طال مرضك و لا يرحمك ربك، أو بأن يُذكّرهُ ما كان فيه من نعم الله تعالى من الأهل والولد والمال وكيف زال ذلك كله و حصل فيما هو فيه من البلية، طمعاً أن يزيله بذلك و يجد طريقاً إلى تضجره و تبرُّمه فوجده صابراً مسلماً لا مر الله^(١).

وقد ورد في الكشف قوله (لا يجوز أن يسلط الشيطان على أنبيائه ﷺ ليقضي من تعذيبهم و اتعابهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحاً إلّا وقد نكبه وأهلكه، وقد تكرر في القرآن أنّه لا سلطان له إلّا الوسوسة فحسب).

وفيه ان الذي يخص الأنبياء وأهل العصمة أنهم لمكان عصمتهم في أمن من تأثير الشيطان في نفوسهم بالوسوسة وأما تأثيره في أبدانهم وسائر ما ينسب إليهم بايذاء أو اتعاب أو نحو ذلك من غير إضلال فلا دليل يدل على امتناعه، وقد حكى الله سبحانه عن فتى موسى وهو يوشع النبي ﷺ^(٢) ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أُنْسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾^(٣)

وقوله تعالى: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ أي ادفع برجلك الأرض ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ وفي الكلام حذف أي فركض برجله فنبتت بركضته عين ماء وقيل نبتت عينان فاغتسل من أحدهما فبرئ وشرب من الاخرى فروى عن قتادة والمغتسل الموضع الذي يغتسل منه وقيل هو^(٤) إسم للماء الذي يغتسل به عن ابن قتيبة.

أما الجانب القصصي فقد وردت قصة ايوب ﷺ في الروايات، ففي تفسير

١ - مجمع البيان - الطبرسي ج ٨ ص ٧٤٥

٢ - الميزان - الطباطبائي ج ١٧ ص ٢٠٩.

٣ - الكهف، ٦٣.

٤ - مجمع البيان للطبرسي، ج ٨ ص ٧٤٥.

القمي قال حدثني أبي عن أبي فضال عن عبدالله ابن بحر عن ابن مسكان عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال سألته عن بلية أيوب التي أتت بها في الدنيا لأي علة كانت؟ قال: لنعمة أنعم الله عز وجل عليه بها في الدنيا وأدى شكرها، وكان في ذلك الزمان لا يحجب إبليس دون العرش فلما صعد ورآي شكر نعمة أيوب حسده إبليس فقال يارب إن أيوب لم يؤد إليك شكر هذه النعمة إلا بما أعطيته من الدنيا، ولو حرمته دنياه حتى تعلم أنه لم يؤد إليك شكر نعمة أبداً فقيل له: قد سلطتك على ماله وولده قال: فأنحدر إبليس فلم يبق له مالا ولا ولداً إلا أعطبه، فازداد أيوب شكراً وحمداً، فقال يارب سلطني على بدنه، فسلطه على بدنه ما خلا عقله وعينه، فنفخ فيه إبليس فصار قرحة واحدة من قرنه إلى قدمه فبقي في ذلك دهرأ طويلاً يحمد الله ويشكره حتى وقع في بدنه الدود... وحتى أخرجه من قريتهم، فأنزل الله عليه ملكاً فركض برجله فخرج الماء فغسله بذلك الماء فعاد أحسن ما كان واطراً وأنبت الله عليه روضة خضراء ورد عليه أهله وماله وولده وزرعه وقعد معه الملك يحدثه ويؤنسه ^(١).

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ^(٢)

وقوله تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنَسْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ ^(٣)

١- الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي - ١٦ ص ٢١٢

٢- الحج، ٥٢.

٣- الكهف، ٦٣.

هذا وغيره من مس الشيطان وتعرضه لا ينتج إلا إيذاء النبي وأئمة مسه في نفسه، فالأنبياء معصومون من ذلك.

كما ورد في صحيح مسلم عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال ما من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن، قالوا وإياك يا رسول الله، قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير.

وإن موسى ﷺ رأى الشيطان وعليه برنس فسأله عن بُرْئِيسِهِ فقال: به أصطاد قلوب بني آدم.

وفي مجالس ابن الشيخ عن الرضا عن آبائه ﷺ: إن إبليس كان يأتي الأنبياء من لدن آدم ﷺ إلى أن بعث الله المسيح ﷺ يتحدث عندهم ويسألهم ولم يكن بأحد منهم أشد أنساً منه يحيى بن زكريا فقال له يحيى: يا أبا مريم إن لي إليك حاجة فقال أنت أعظم قدراً من أن أردك بمسألة فاسألني ما شئت فإني غير مخالفك في أمر تريده، فقال يحيى: يا أبا مريم أحب أن تعرض عليّ مصائدك وفخوك التي تصطاد بها بني آدم، فقال له إبليس: حباً وكرامة وواعده لغيري.

فلما أصبح يحيى قعد في بيته ينتظر الموعد، فدخل عليه فإذا وجهه صورة وجه القرد، وجسده على صورة الخنزير، وإذا عيناه مشقوقتان طولاً وإذا أسنانه وفمه مشقوقتان طولاً عظماً واحداً بلا ذقن ولا لحية، وله أربعة أيديدان في صدره ويدان في منكبه وإذا عراقبيه وقوادمه وأصابعه خلفه وعليه قباء وقد شد وسطه بمنطقة فيها خيوط معلقة بين أحمر وأصفر وأخضر وجميع الألوان، وإذا بيده جرس عظيم وعلى رأسه بيضة، وإذا في البيضة حديدة معلقة شبيهة بالكلاب.

فلما تأمله يحيى قال: ما هذه المنطقة التي في وسطك، فقال هذه المجوسية

أنا الذي سنتتها وزينتها لهم...

فقال له: فما هذا الجرس الذي بيدك؟

قال: هذا مجمع كل لذة من طنبور وبربط ومعزفة وطبل وناي وصرناي (جميع الآلات الموسيقية) وإنّ القوم ليجلسون على شراهم فلا يستلذونه فأحرك الجرس فيما بينهم فإذا سمعوه استخف بهم الطرب فمن بين من يرقص، ومن بين من يفرق أصابعه ومن بين من يشق ثيابه...

فقال له يحيى: ما هذه البيضة على رأسك؟

قال بها اتوقى دعوة المؤمنين. قال: فما هذه الحديدة التي أرى فيها؟ قال: بهذه أقلب قلوب الصالحين.

قال يحيى: فهل ظفرت بي ساعة قط؟

قال: لا، ولكن فيك خصلة تعجبنى. قال يحيى: فما هي؟ قال: أنت رجل أكل، فإذا افطرت أكلت وبشمت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل. قال يحيى: فإني اعطي الله عهداً أن لا أشبع من الطعام حتى ألقاه.

قال له إبليس: وأنا أعطي الله عهداً أن لا أنصح مسلماً حتى ألقاه، ثم خرج فما عاد إليه بعد ذلك^(١). اخرج سعيد بن منصور وابن أبي داود عن عروة بن رويم أن عيسى ابن مريم عليه السلام دعا ربه أن يريه موضع الشيطان من بني آدم فجلى له، فإذا رأسه مثل الحية واضعاً رأسه على ثمرة القلب، فإذا ذكر العبد الله سبحانه خنس (أي غاب وتوارى) يوسوس برأسه، وإذا ترك الذكر مناه وحدثه، وإن

سكت عاد إليه، فهو الوسواس الخناس^(١).

إذن للشيطان مع الانبياء والمرسلين والمعصومين حقّ العرض والدعوة والوسوسة ليس إلّا أما مع سائر الناس فإنه يضلهم ويمنيهم ويستزلهم بذنوبهم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا...﴾^(٢).

استزال الشيطان لهم ببعض ما كسبوا - أي بسبب بعض ما اكتسبت نفوسهم وما عملوا، فإن السيئات يهدي بعضها إلى البعض الآخر ويتم بعضها البعض الآخر فهي مجبولة ومبنية على متابعة هوى النفس، وهوى النفس للشيء هو ما يشاكله، فبسبب ما قدموا من الذنوب والآثام تمكن الشيطان من اغوائهم واستزالهم حتى لا ذوا بالتولي والفرار من المعركة^(٣) في حين ان هذا لا يحصل للرسل والأنبياء ﷺ لعصمتهم ولعدم ارتكابهم الذنوب والآثام كي يتمكن الشيطان منهم فيغويهم.

إذن ان الانبياء جاءوا بالبيان الكافي، وقابلوا الامراض بالدواء الشافي وتوافقوا على منهاج لم يختلف، فأقبل الشيطان يخلط البيان شبها، وبالدواء سماً، وبالسبيل الواضح جُرْداً مضلاً.

١ - لفظ المرجان في احكام الجان - جلال الدين السيوطي ص / ٨٤ التعري الشيطاني - عدنان الطرشه ص ١٩

٢ - آل عمران، ١٥٥.

٣ - الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي ج ٤، ص ٥٠ - ٥١.

وما زال يلعب بالعقول إلى أن فرّق الناس مذاهب شتى ومعتقدات غريبة عن الفطرة والحضارة حتى بعث الله سبحانه محمداً ﷺ فرفع المقابح، وشرّع المصالح. فسار معه أهل البيت ﷺ واصحابه المنتجبين في ضوء نوره سالمين من العدو وغروره وكيده ومكره، فلما تقادم الزمن واختلفت الوجوه وتكالب القوم على الدنيا فاصبحوا حقاً عبيداً لها كما قال الإمام الحسين ﷺ «إنّ الناس عبيد الدنيا والدين لعق على سنتهم حوطونه مادرت معاشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون» (١).

اقبلت اغباش الظلمات، فعادت الاهواء تنشئ بدعاً وتضيق سبيلاً ما زال متسعاً ففرق الناس دينهم وكانوا شيعا، ونهض ابليس وجاء دوره يلبس ويزخرف ويفرّق ويؤلف، وانما يصح له التلصص في ليل الجهل، فلو طلع عليه صبح العلم افتضح.

ففي الصحيحين من حديث حذيفه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.

وقد ورد عن ابن عباس (رض) انه قال: (والله ما أظن على أهل الارض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكاً مني ففيل وكيف؟ فقال: والله انه يحدث البدعة في مشرق او مغرب فيحملها الرجل اليّ فإذا انتهت اليّ اقمعتها بالسنة فتردّ عليه كما اخرجها) (٢)

١- تاريخ الامم والملوك - ابو جعفر الطبري / تحف العقول - ابن شعبه الحراني / سيرة رسول الله وأهل بيته - مؤسسه البلاغ ج ٢ ص ٦١
 ٢- تلبيس ابليس - ابن الجوزي البغدادي ص ١٧.

٣- ملازمة الشيطان للإنسان

نحن نعلم ان لكل انسان قرين من الجن، كما ان له قرين من الملائكة يسدده فقد قال رسول الله ﷺ (ما منكم أحد إلا وكُلُّ به قرينه من الجن) قالوا وياك يا رسول الله؟ قال (واياي إلا أن الله أعانني عليه فاسلم فلا يأمرني إلا بخير)^(١). وان ما يدل على ملازمة الشيطان كائناً من كان: ذات مرّة ان صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ وأُمّ المؤمنين، زارت النبي ﷺ، وقد كان معتكفاً في المسجد، فخرج معها ليلاً ليردها إلى منزلها فلقيه رجلان من الانصار، فلما رأيا النبي ﷺ اسرعا، فقال رسول الله ﷺ على رسلكما، انها صفية بنت حيي، فقالا سبحان الله يا رسول الله، قال (ان الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإنني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءاً او قال: شيئاً)^(٢).

فكما ان للإنسان قرين سوء من الجن يضله ويغويه كذلك له قرين خير يسدده ويهديه فقد قال رسول الله ﷺ « ما من أحد إلا وقد وكُلُّ به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة »^(٣).

وقال أيضاً ﷺ « اذا اراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه: يأمره

١ - اخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار / التعري الشيطاني - عدنان الطرشه، ص ١٧.

٢ - متفق عليه واللفظ للتجاري في كتاب بدء الخلق باب صفه ابليس وجنوده عن كتاب التعري الشيطاني - عدنان الطرشه ص ١٨

٣ - اخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار / التعري الشيطاني - عدنان الطرشه، ص ٢٢٩.

وينهاه»^(١) وفي رواية (من قلبه) أي ناصحاً ومذكراً بالعواقب، فيأمره بالخيرات وينهاه عن المنكرات ويذكره بالعواقب فيقطع العلائق والاسباب الداعية إلى موافقة النفس والشيطان ويصرف هواه إلى ما ينفعه ويستعمله في تنفيذ مراد ربه ويفرغ باله لامر الآخرة فيقبل الله عليه برحمته وبفيض عليه من نعمته^(٢).

١- رواه الديلمي - في مسند الفردوس عن أم سلمة. التعري الشيطان - عدنان الطرشة ص ٢٢٩
 ٢- فيض القدير - المناوي ج ١، ص ٢٥٦.

٤ - الإنسان مسؤول عن أعماله

صحيح ان الشيطان متسلط على الإنسان بمستوي معين حيث يراه ورجاله من الشياطين والمردة، ويدخل في كل زاوية من زوايا خياله، وانه مطلع تماماً على ما يفكر به ويمر بمخيلته من مشاعر وعواطف وافكار وأحاسيس لا تخفى عليه، ولكن دور الشيطان وقييله مع الإنسان هو دور الفتنة والغرور فقط، فإذا وقع في شركهم تصرفوا به كيف ما شاؤوا وكما ارادوا كما قال تعالى: مخاطباً إبليس ﴿وَأَسْتَفْرِزْ مَنْ أَسْطَغَتْ مِنْهُمْ بَصُوتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِذَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا^(١).

فقوله تعالى: (ان عبادى...) أي الذين يطيعونني اضافهم إلى نفسه تشريعاً لهم وإلاّ كلهم عباده (ليس لك عليهم سلطان) أي قوة ونفاذ لانهم يعلمون ان مواعيدك باطلة فلا يغترون بها، وقيل معناه لا سلطان لك على جميع عبادى إلاّ في الوسوسة والدعاء إلى المعصية، فأما في ان تمنعهم عن الطاعة و تحملهم على المعصية جبراً وكرهاً فلا. كما ورد عن الجبائي (وكفى بربك وكيلا) أي حافظاً لعباده من الشرك^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ آتَبَعَكَ مِنْ

١ - سورة الأشراء، ٦٤ - ٦٥.

٢ - مجمع البيان - الطبرسي م ج ٦ ص ٦٥٨

الْغَاوِينَ»^(١) هذا هو القضاء الذي اشار إليه سبحانه في الآية السابقة ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ❖ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ»^(٢).

فقد أشار سبحانه في امر الاغواء وذكر انه له وحده ليس لغيره فيه صنع ولا نصيب، ومحصله ان آدم وبنيه كلهم عباده لا كما قاله إبليس حيث قصر عباده على المخلصين منهم إذ قال: «إلا عبادك منهم المخلصين» ولم يجعل سبحانه له عليهم - أي على العباد - سلطاناً حتى يستقل بأمرهم فيغويهم، وإنما جعل له السلطان على طائفة منهم وهم الذين اتبعوه من الغاوين وولّوه أمرهم وألقوا إليه زمام تدبيرهم فهو لاء هم الذين له عليهم سلطان.

فإذا أمنت في الآية وجدتها تردّ على إبليس قوله: «لاغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين» من ثلاث جهات أصلية:

إحداها: أنه حصر عباده في المخلصين منهم ونفى عنهم سلطان نفسه وعمّم سلطانه على الباقيين والله سبحانه عمّم عباده على الجميع وقصر سلطان إبليس على طائفة منهم وهم الذين اتبعوه من الغاوين ونفى سلطانه على الباقيين.

والثانية: أنه لعنه الله ادّعى لنفسه الاستقلال في إغوائهم كما يظهر من قوله: «لاغوينهم» في سياق المخاصمة والتقريع بالانتقام والله سبحانه يردّ عليه بأنه منه مزعمة باطلة وإنما هو عن قضاء من الله و سلطان بتسليطه وإنما ملكه إغواء من اتبعه وكان غاوياً في نفسه وبسوء اختياره.

١- سورة الحجر، ٤٢.

٢- سورة الحجر، ٣٩ - ٤٠.

فلم يأت إبليس بشيء من نفسه ولم يفسد أمراً على ربه لافي إغوائه أهل الغواية فإنه بقضاء من الله سبحانه أن يستقر لأهل الغواية غيهم بسببه - وقد اعترف لعنه الله بذلك بعض الاعتراف بقوله: «رب بما أغويتني» - ولا في استثنائه المخلصين فإنه أيضاً بقضاء من الله نافذ حكم إلا الله.

وهذا الذي تفيده الآية الكريمة أعني تسليط إبليس على إغواء الغاوين الذين هم في أنفسهم غاؤون وتخليص المخلصين وهم مخلصون في أنفسهم من كيد كل ذلك بقضاء من الله، مبني على أصل عظيم يفيد التوحيد القرآني المفاد بأمثال قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَلْحَكَمُ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ أَلْحَكَمُ﴾^(٢) وقوله: ﴿أَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَيُحَقِّقُ اللَّهُ أَلْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ﴾^(٤)، وغير ذلك من الآيات الدالة على أن كل حكم إيجابي أو سلبي فهو مملوك لله نافذ بقضائه.

ومن هنا يظهر ما في تفسيرهم قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَّبَعَ مِنْ الْغَاوِينَ﴾ من المسامحة فإنهم قالوا: إنه إذا قبل من إبليس واتبعه صار له سلطان عليه بعدوله عن الهدى إلى ما يدعوه إليه من الغي، وظاهره أنه سلطان قهري يحصل لإبليس عن سوء اختيارهم ليس من عند نفسه ولا يجعل من الله سبحانه.

وجه الفساد: أن فيه أخذ الاستقلال والحوال الذاتي من إبليس وإعطائه

١ - يوسف، ٦٧.

٢ - القصص، ٧٠.

٣ - آل عمران، ٦٠.

٤ - يونس، ٨٢.

ذوات الأشياء ولو كان إبليس لا يملك شيئاً من عند نفسه وبغير إذن ربه فالأشياء والامور أيضاً لا تملك لنفسها شيئاً ولا حكماً حتى الضروريات ولوازم الذوات إلا بإذن من الله وتمليك.

والثالثة: أن سلطانه على إغواء من يغويه وإن كان بجعل وتسليط من الله سبحانه إلا أنه ليس بتسليط على الإغواء والإضلال الابتدائي غيرالجائز إسناده إلى ساحته سبحانه بل تسليط على الإغواء بنحو المجازاة المسبوق بغوايتهم من عندهم وفي أنفسهم.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ فإبليس إنما يغوي من اتبعه بغوايته أي إن الإنسان يتبعه بغوايته أولاً فيغويه هو ثانياً فهناك غواية بعدها إغواء والغواية إجرام من الإنسان والإغواء بسبب إبليس مجازاة من الله سبحانه.

ولو كان هذا الإغواء إغواءً ابتدائياً من إبليس لمن لا يستحق ذلك لكان هو الأليق باللوم دون الإنسان كما يذكره يوم القيامة على ما يحكيه سبحانه بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (١) فاللوم على الإنسان المجرم وهو مسؤول عن معصيته دون إبليس. وإبليس صادق في قوله ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ...﴾ لأن الله سبحانه قال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (٢)

نعم إبليس ملوم على ما يتلبس به من الفعل بسوء اختياره وهو الإغواء

١ - سورة إبراهيم، ٢٢.

٢ - سورة الأسراء، ٦٥.

الذي سلّطه الله عليه مجازاة لما امتنع من السجود لآدم لما أمر به فالإغواء هو الذي استقرت ولايته عليه كما يشير سبحانه إليه في موضع آخر من كلامه إذ يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١) وقال تعالى: وهو أوضح ما يؤيد جميع ما قدّمناه: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلْسَعِيرٍ﴾^(٢).

وقد تحصّل مما تقدم: أن المراد بقوله: «عبادي» عامة الإنسان، وأن الاستثناء في قوله: «من اتبعك» متصل لا منقطع، وأن «من» في قوله: «من الغاوين» بيانية، وأن الكلام مبني على ردّ قول إبليس، وأن الآية مشتمل على قضاءين من الله سبحانه في عقدي المستثنى والمستثنى منه وغير ذلك^(٣) وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٤).

أي ليس له تسلط وقدره على الذين آمنوا بالله وعلى ربهم يتوكلون، فهو لا يقدر على أن يكرههم على الكفر والمعاصي أو ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي عن قتاده، ﴿إِنَّمَا سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾^(٥)، إنّما تسلطه على الذين يطيعونه بمحض إختيارهم فيقبلون دعاءه

١- سورة الاعراف، الآية ٢٧.

٢- سورة الحج، ٤.

٣- الميزان - الطباطبائي ج ١٢، ص ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨.

٤- سورة النحل، ٩٩.

٥- سورة النحل، ١٠٠.

ويتبعون اغواءه، وبسبب طاعتهم له يشركون بالله^(١).

ثم ان الشيطان يقول لهم بعد ذلك ﴿...وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ﴾^(٢).

أي ما كان لي عليكم سلطان بالاكراه والاجبار على الكفر والمعاصي وانما كان لي عليكم سبيل الوسوسة والدعوة فقط (فاستجبتم لي) بسوء اختياركم، وقيل معناه ما أظهرت لكم حجة أحتج بها عليكم إلا ان دعوتكم إلى الضلال وأغويتكم فصدقتموني وأجبتُموني وقبلتم مقالتي بسوء اختياركم لانفسكم (فلا تلوموني) على ما حلّ بكم من العقاب بسوء اختياركم (ولوموا انفسكم). إذن ليس للشيطان إلا الدعوة للشر ولا تتم هذه الدعوة إلى الشر إلا بوجود ارضية لها واستعداد من قبل ذلك الإنسان المذنب المبتعد عن طاعة ربه، فإذا غفل وابتعد عن الله سبحانه هجم عليه ذلك الوحش الكاسر، فإذا حمل عليه ليدفعه عن الصراط ينبغي له الرجوع فوراً والعودة إلى الله مباشرة بلا تعطيل قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰئِفٌ مِّنَ الشَّيْطٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٣).

فهؤلاء الذين اتقوا الله باجتنباب معاصيه إذا وسوس إليهم الشيطان واغراهم بمعاصيه تذكروا ما عليهم من العقاب فيجتنبونه ويبصرون الرشد لارتباطهم بالله سبحانه وبشرط تقواهم يبصرون، وإلا فليس هناك فائدة لهذه الدعوة، لا لأن الله عز وجل اراد غواية أحد من عباده بل لمن ارادها وأصرَّ على الانحراف والابتعاد

١- المجمع - الطبرسي م ٣، ج ٦، ص ٥٩٣.

٢- سورة ابراهيم، ٢٢.

٣- سورة الأعراف، ٢٠١.

فيكون بمثابة عقاب له قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣)

فالإنسان مسؤول عن تصرفاته، عن طاعته وعن معصيته على صعيد واحد، وعلى حد سواء، فكما ان هناك دعوة إلى الشر ترافقه كذلك هناك دعوة إلى الخير تلازمه فهو طليق باختياره أي درب سلك، وأي واد هبط، وأي عاقبة غنم كي يستحق الثواب بجهد، أو ينال العقاب بظلمه قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ (٤) ظلموا أنفسهم أو الآخرين وبظلم الآخرين ظلم لأنفسهم أيضاً.

قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٥) السبيل: هو الطريق الجادة إلى ما فيه النفع بواسطة الرسل إلى العقائد الصحيحة والأعمال الصالحة التي هي سبب فوزه بالنعيم الابدی، بحال من يدل السائر على الطريق المؤدية إلى مقصده من سيره. وفي قوله ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ هذا نداء على ان الله أرشد الإنسان إلى الحق وان بعض الناس أدخلوا على أنفسهم ضلال الاعتقاد

١ - آل عمران، ١٨٢.

٢ - هود، ١٠١.

٣ - النمل، ١١٨.

٤ - الزخرف، ٧٦.

٥ - سورة الانسان، ٣.

ومفاسد الاعمال، فمن برأ نفسه من ذلك فهو شاكِر وغيره الكفور...^(١).

ولقد أورد ابن كثير في سياق الآيتين الأخيرتين حديثاً عن جابر بن عبدالله قال: «قال رسول الله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة حتى يُغرب عنه لسأته إما شاكراً وإما كفوراً وحديثاً رواه الإمام مسلم عن أبي مالك الاشعري قال «قال رسول الله ﷺ: كلُّ الناس يغدوا فبائعُ نفسه فموبقُها او معتقُها» حيث ينطوي في الحديثين توضيح نبوي دعم للتوكيد الذي ينطوي في الآيات وغيرها من قابلية الإنسان للتمييز والاختيار ومسؤوليته عن ذلك^(٢).

فهنا رسول الله ﷺ قد وضع لنا ان الامر والاختيار بيد المكلف فهو اما ان يكرم نفسه او يريدها.

وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٣) - الهداية هنا هي الدلالة على الطريق المبلَّغة إلى المكان المقصود إليه، وقد أُستعيرت الهداية هنا للالهام الذي جعله الله في الإنسان يدرك به الضار والنافع وهو اصل التمدُّن الانساني واصل العلوم والهداية بدین الإسلام إلى ما فيه الفوز^(٤).

والنجد: هو الارض المرتفعة و(النجدین) هنا طريق الخير وطريق الشر وورد في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «ايها الناس هما نجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير^(٥)، فمن بعد أن أتمَّ الحُجَّة على

١ - التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور) محمد الطاهر ج ٢٩ ص ٣٤٩-٣٤٨

٢ - التفسير الحديث - محمد عزة دروزة ج ٢ ص ١٠٦

٣ - سورة البلد، ١٠.

٤ - تفسير التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور) محمد الطاهر ج ٣٠ ص ٢١٣

٥ - تفسير الامثل - ناصر مكارم الشيرازي ج ٢٠ ص ١٦٧

الإنسان بأنه زوّده بالحواس وبعث له الرسل والأنبياء والرسالات والمعجزات واكمل عقله ويسّر له وسائل الهدايه قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا * وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ترك له اختيار أحد السبيلين لكي يدخل الجنة بعمل صالح او النار بعمل طالح.

سيما ان الله سبحانه قد تبه في سياق الآية ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ وبين للناس طريقي الخير والشر، والتقوى والفجور، وأوجد فيهم قابلية التمييز بينهما، وجعلهم مسؤولين عن اختيارهم وسلوكهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

فالآية تحتل اشارة إلى ما أودعه الله عز وجل في الإنسان من عقل يستطيع ان يميز بين الخير والشر ويختار، كذلك اشارة لما في القرآن والدعوة النبوية من تبيان معالم الخير والشر، والحديث الشريف المتقدم (..هما نجدان نجد الخير ونجد الشر...) ينطوى على سؤال تعجبي او تنديدي للذي يحب نجد الشر اكثر من نجد الخير حيث يدعم هذا معنى قابلية الاختيار في الإنسان ومسؤوليته عن اختياره^(١).

وكما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾^(٢)

قيل إن المراد بالنفس هنا روح الإنسان وقيل انه جسمه وروحه معاً فقد وردت (النفس) في القرآن الكريم بمعنى الروح قال تعالى في سورة الزمر آية ٤٢ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ...﴾ وبمعنى الجسم كما ورد في سورة القصص

١ - التفسير الحديث - محمد عزة دروزة ط ٢ ج ٢ ص ٢٥٦

٢ - الشمس، ٧ - ١٠ .

آية ٣٣، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ والانسب هنا أن يكون معنى النفس هنا شاملاً للمعنيين لأن قدرة الله سبحانه تتجلي في الاثنين معاً، وهنا نُكِّرت النفس إشارة لعظمتها وإيهامها، وتسويتها هو انه نظمها وعدل قواها^(١).

فالتسوية حاصلة من وقت تمام خلقه الجنين من أول اطوار الصبا اذ التسوية تعديل وإيجاد القوي الجسدية والعقلية ثم تزداد كيفية القوي فيحصل الالهام.

حيث ان من آثار تسوية النفس إدراك العلوم الاولية وادراك الضروري.. إلى ان يبلغ ذلك إلى اول مراتب الاكتساب بالنظر العقلي، وكل ذلك الهام، وتعديّة الالهام إلى (الفجور والتقوى) في هذه الآية مع ان الله أعلم الناس بما هو فجور وما هو تقوى بواسطة الرسل^(٢)

ولا تعني ان الله سبحانه قد أودع عوامل الفجور والتقوى في نفس الإنسان، بل تعني ان الله تعالى علّم الإنسان هاتين الحقيقتين وألهمه إيّاهما، ويبيّن له طريق السلامة وطريق الشر^(٣).

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ والتزكية تعني النمو والبركة، وورد عن علي عليه السلام قوله: (المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق)^(٤)

١ - تفسير الامثل - مكارم شيرازي ج ٢٠ ص ١٨١

٢ - تفسير التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور) - محمد الطاهر ج ٣٠ ص ٣٢٦

٣ - تفسير الامثل - مكارم شيرازي ج ٢٠ ص ١٨٢

٤ - نهج البلاغة - الكلمات القصار - الكلمة ١٤٧

ثم استعملت الكلمة بمعنى التطهير، وقد يعود ذلك إلى أَنَّ التطهير من الآثام يؤدي إلى النمو والبركة، فالفلاح لمن ربى نفسه ونماها، وطهرها من التلوث بالخصائل الشيطانية وبالذنوب والكفر والعصيان.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ والخيبة هي فوات الطلب، والدس في الاصل هو إدخال الشيء قسراً، أهل التقوى يظهرون أنفسهم والمذنبون يخفونها، وقال الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام في تفسير هذه الآية الكريمة (قد أفلح من أطاع وخاب من عصى) ^(١).

وعن رسول الله ﷺ قال حين تلا الآية «اللهم آت نفسي تقواها، انت وليها ومولاها، و زكها أنت خير من زكاها» ^(٢)

وورد عنه ﷺ في تفسير الآيتين قوله: «أفلحت نفس زكاها الله وخابت نفس خيبها الله من كل خير» ^(٣).

وقد ورد في التفسير الحديث ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ أي جعلها سوية تامة الصفات والمظاهر خلقاً و عقلاً ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أي بمعنى أودع فيها قابلية الفجور والتقوى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أي قد أفلح من طهرها بصالح الاعمال وخاب من أفسدها بسيئ الاعمال وخيبتها ^(٤).

وكذلك قوله تعالى ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ

١ - تفسير الامثل - مكارم شیرازی ج ٢٠ ص ١٨٣ - ١٨٤

٢ - الدر المنثور - السيوطي ج ٦ ص ٣٥٧

٣ - الدر المنثور - السيوطي ج ٦ ص ٣٥٧

٤ - التفسير الحديث - محمد عزة دروزة ج ٢ ص ١٣٨ - ١٣٩

ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^(١).

رُوي عن عبدالله بن مسعود أنه قال: إِنَّ أَحْكَمَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ وكان رسول الله ﷺ يسميها (الجامعة)^(٢).

لو تدبّر الإنسان في محتواها تكفيه دافعاً إلى طريق الخير وناهياً عن طريق الفساد والانحراف، فقد ورد عن أبي سعيد الخدري قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لِرَأْءِ عَمَلِي؟ قَالَ نَعَمْ. قُلْتُ وَاتَّكَلَيْتُ أُمِّي، قَالَ: أَبْشِرْ يَا أَبَا سَعِيدٍ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرَ أَمْثَالِهَا يَعْنِي إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَاللَّهُ يَضَاعَفُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَالسَّيِّئَةَ بِمِثْلِهَا أَوْ يَغْفُو اللَّهُ، وَلَنْ يَنْجُو أَحَدٌ بِعَمَلِهِ. قُلْتُ: وَلَا أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِالرَّحْمَةِ^(٣).

ان هاتين الايتين تدلّان على ان أصغر الاعمال يحاسب عليها تلك المحاسبة، وتحذّر أيضاً من استصغار الذنوب الصغيرة، او التهاون في اعمال الخير الصغيرة، فما يحاسب عليه الله سبحانه - مهما كان - ليس بقليل الأهميّة^(٤).

إذن نخلص بنتيجة هي ان (مثقال ذرة في أقل القلة و ذلك للمؤمنين ظاهر، حيث المثقال ما يعرف به ثقل الاشياء، والذرة هي النملة الصغيرة في ابتداء

١ - الزلزلة، ٧-٨.

٢ - نور الثقلين - الحويزي - ج ٥ ص ١٦٤

٣ - تفسير روح البيان - اسماعيل البروسي ج ١٠ ص ٤٩٥

٤ - تفسير الامثل - مكارم شيرازي - ج ٢٠ ص ٢٩٧

حياتها^(١) او الذره هي ما يُرى في شعاع الشمس من الهباء^(٢) فتنتظرهم رحمة الله وتُشملهم رأفته اما بالنسبة للكافرين فالمقصود ما عملوا من شر، وأما بالنسبة إلى اعمالهم من الخير فهي كالعدم، فلا توصف بخير عند الله، لأنَّ عمل الخير مشروط بالايان قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣)(٤).

وأصدق برهان ودليل على أن الإنسان مسؤول عن أعماله هو أن آدم عليه السلام أبو البشر، أول انسان وزوجه حينما ارتكبا الظلم او المعصية لم ينسباها إلى الشيطان ويتصلا عنهما، ولم يقولوا انه خدعنا واقسم بالله كاذباً ونحن لم نسمع او نرى من يُقسم بالله كاذباً، وهما صادقين في ذلك قال تعالى: ﴿وَقَاَسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٥).

بل نسبا ذلك الظلم او تلك المعصية إلى نفسيهما وتحملا المسؤولية كاملة وقالوا ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦)، ولو نسبا ذلك الظلم او المعصية إلى الشيطان، لكانت المعصية اعظم والتوبة منقوصة ضعيفة.

١ - تفسير التحرير والتنوير - محمد الطاهر ابن عاشور ج ٣٠ ص ٤٣٦

٢ - الميزان، الطباطبائي، ج ٢٠، ص ٣٤٣.

٣ - النور، ٣٩.

٤ - تفسير التحرير والتنوير محمد الطاهر ابن عاشور ج ٣٠ ص ٤٣٦

٥ - الأعراف، ٢١.

٦ - الأعراف، ٢٣.

٥ - الشيطان في الميدان الاجتماعي

الشيطان همّنا الكبير في مجتمعنا الكبير، ومهمته في حياتنا هي ان يبعدنا عن الطريق القويم وان يزين لنا المعصية فنراها طاعة، ويشوّه لنا الطاعة فيخيل لنا انها معصية، ويشوّه لنا الحسن فنراه قبيحاً كما يزين لنا القبيح فنراه حسناً. ولذلك نحتاج دائماً إلى أن ندرس طريقته وذهنيته وأساليبه وطرقه في الوسط الاجتماعي كي نستعد له وننتبه ونكون حذرين دائماً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(١)

ولقد حدثنا القرآن الكريم ان هناك شياطين الإنس وشياطين الجن، كما ذكر الله تعالى في بعض آياته، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^(٢). بمعنى انهم يجتمعون من أجل أن يرتبوا الكلمات التي تثير الحقد والفتن والأضغان والشروور بين أفراد المجتمع الواحد، أو فيما بين الناس.

كما نجد القرآن الكريم في سورة الناس يدعو كل شخص إلى الإستعاذة بالله تعالى من أولئك الذين يوسوسون للناس ويربكون تفكيرهم ويضللون مشاعرهم وعواطفهم وينحرفون بهم إلى الطريق الذي يؤدي بهم إلى النار، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ

١ - سورة فاطر: ٦.

٢ - الأنعام، ١١٢.

الْخَنَاسِ ﴿ الَّذِي يُؤَسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿^(١)

يعني ان هناك من يوسوس للإنسان من أجل أن يحرفه عن الصراط المستقيم.

لذلك أراد الله منا أن نقرأ هذه السورة المباركة، أن تطلع عليها القلوب الحيّة وبصورة جديّة.

نحن عندما نعيش مع اخوتنا ورفاقنا وأقربائنا ومع كلّ الناس الذين نتعامل معهم ويتعاملون معنا لنحذر ولنتنبه إلى أن من الممكن أن يكون هناك وسواس خناس في داخل بعض هؤلاء بل معظم هؤلاء، لأن الشيطان يزيّن لهم أعمالهم فلا ينبغي أن نستسلم لهم كلهم فنقبل كلّ ما يقولون، ونعمل كلّ ما يريدون، ونوافق على كلّ ما يقررون، بل يجب علينا أن نعي ما حولنا، لأنه من الممكن أن يكون هناك وسواس خناس في المجتمع لانعرفه نحن.

لذا ينبغي الحذر إلّا من ثبت عندنا صدقه ووعيه وإيمانه وأمانته، فنرى مثلاً من نحبه معصوماً وان صدر منه الكثير من الخطأ، لانراه خطأ لأننا نحبه.

لو عرفنا ان هناك عدواً يتربص بنا الدوائر و يستتھز الفرص، فهل نقف مكتوفي الأيدي موقف الإسترخاء؟ أم اننا نحتاط ونحذر منه؟

كفیف إذا كان عدونا لانراه بأعيننا ولا يخضع لحواسنا كي نرقبه، فهو إذن أشد خطراً من غيره من الأعداء.

فلا نستسلم له حتّى نكتشفه ونحذره بما اوتينا من قدرة.

ان عملية الإستعاذة - وكما جرى الحديث عنها سابقاً - من الوسواس الخناس هي أسلوب قرآني يريد به الله عزّ وجلّ منا أن نشقّ به جلّت قدرته ونستجير به مما لانعلمه، وأن نكون واعين لا ان نواجه ما حولنا بعقلية بسيطة ساذجة.

أكثر من هذا، فقد يتحول الإنسان ومن خلال طاعته للشيطان إلى عبادة الناس من أمثاله بدلاً من أن يعبد الله عزّ وجلّ وقد يشرك الناس بعبادة الله عزّ وجلّ بحيث يقع في شرك الطاعة وشرك العبادة وشرك المحبة مما يجعله مشركاً بصورة موحد (١).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَسْبِقِيْءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَفْقَهُونَ﴾ (٢).

الخطاب لبني آدم ﷺ لتشعيرهم بانهم أبناء آدم ﷺ الذي أخرجه إبليس من الجنة، فهو عدو لأبيكم قبل أن يكون عدوكم، ألم أقل لكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان، وكيف نعبده؟ نحن لم نركع ولم نسجد للشيطان لم نصم ولم نصل ولم نحج لإبليس.

والجواب: هذا صحيح، لكنكم اتخذتموه ولياً لكم من دون الله، أطعتموه ووافقتموه وراضيتموه بسخط الله، أليس كذلك؟

وهل العبادة إلا الطاعة والمحبة والرضا والقرب والمعرفة.

١ - الإستفادة من بعض المحاضرات الفكرية والعقائدية.

٢ - سورة يس، ٦٠ - ٦٢.

عندما نصلي أو نحج أو نصوم رياءً فسوف تكون تلك الصلاة أو ذلك الحج أو الصيام كلها طاعة للشيطان.

العبادة:

الصلاة ليست ركوعاً وسجوداً فحسب ربما يسجد الإنسان ظاهره لله ولكن واقعه للشيطان البعض يقف بدون انحناء أو بدون ركوع وسجود أمام الظالم ولكن قلبه راعع وساجد له. إرادته وشعوره راعع وساجد للشيطان أو للظالم على حد سواء، رأيه خاضع وهو المهم.

والبعض الآخر راععين ساجدين إلى الله عزّ وجلّ والجلاد يضربهم، لكنهم شامخين، لأنهم ما خضعوا لذلك الجلاد، ولأن إرادتهم حُرّة. والله عزّ وجلّ يريدنا أن نركع له بأفكارنا وإرادتنا وقلوبنا لا بأجسادنا فحسب.

فينبغي للإنسان أن يجعل كلّ حياته ركوعاً وسجوداً وخشوعاً لله، وفي كلّ أمر من الأمور.

أما إذا كنا نطيع الشيطان في شهواتنا وأطماعنا ونطيعه في علاقاتنا ونعصي الله في ذلك كلّه فإننا نكون قد عبدنا الشيطان.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَسْبَىٰ ءَادَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ^(١).

إذن عبادة الله هي السير على الصراط المستقيم، وطاعة الله هي اتباع أنبيائه ورسله لا اتباع الشيطان، ليس هناك إله غير الله عز وجل.

الشيطان يسوّل للناس فيطيع بعضهم البعض الآخر بالباطل، ويطيعه البعض في معصية الله وينسى من دون الله أنهم لا يملكون له نفعاً ولا ضرراً، وينسى أن عبادة غير الله خسران لكرامته ولشخصيته ولحرية، ينسى أنه يغدو مشركاً في صورة موحد، أنه الشرك في الطاعة، إطاعة الغير في معصية الله، وبيع لدينه بدنياه غيره، فلا هو يربح الدنيا ولا هو يفوز بالدين وذلك هو الخسران المبين.

ينبغي على الإنسان أن يطيع من أطاع الله في خط طاعته لله لا من عصي الله في فكره فكان فكره فكر الباطل، وفي عاطفته فكان قلبه قلب الباطل، وفي حركته فكانت حركته حركة الباطل.

٦- بين الارتباط الواقعي والارتباط التجريدي

إنّ من العناوين التي طرحت في أحاديث الرسول ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام عنوان طاعة الناس في معصية الله، وهذا العنوان كبير جداً، الكثير من الناس يرتبطون بالواقع ارتباطاً فكرياً، أما ارتباطهم بالله فهو ارتباط تجريدي لا يرون ان الواقع يمكن أن يخضع له.

فالإنسان يدرس مراكز القوة في المجتمع بين مركز سياسي يسيطر على الواقع السياسي، ومركز اجتماعي يملك الساحة الاجتماعية، ومركز أمني يملك الساحة الأمنية، وهكذا تمتد القضية للمركز الاقتصادي الذي يشعر صاحبه بأنه يمكن أن يخضع الناس لما يريد، وهنا يجد الناس مصالحهم الآتية مرتبطة بهذا المركز أو بذاك.. أو بهذا الشخص أو بذاك، سيما إذا كان لديهم خوف من أن يكون انسحابهم من طاعة هذا أو طاعة ذاك مما يؤدي إلى بعض الضرر في بعض أوضاعهم أو بعض أمورهم العامة كما قال الحسين بن علي عليه السلام: «الناس عبيد الدّنيا والدّين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم فإذا محّصوا بالبلاء قل الدّيانون»^(١).

يتحرك الناس ليحدثوا بالطاعة التي تضمن لهم مصالحهم المادية الآتية - لأنها واقع ملموس - و ينسون الله سبحانه وتعالى، وإذا ذكر الله ليذكروا طاعته، فإنهم يؤجلونها ليوم آخر ولظرف آخر، وربما يستسهلون معصيته على أساس ما

يخيل إليهم ان رحمة الله تتسع لكل المعاصي حتّى الذي يتمرد على الله وفي خياله ان الله يمكن أن يسامحه وهو يبدأ العمل بمخالفة أوامره وارتكاب نواهيه، وهذا الموضوع يتحرك في خطين: -

الخط الأول: - تحول هذا النهج في علاقة الإنسان بالناس الذين ترتبط مصالحه بهم مقارنة بعلاقته بالله، انه يتحول إلى إنسان يعبد الناس بدلاً من أن يعبد الله، وإذا فكر بعبادة الله، فإنه يشرك الناس بعبادته، بحيث يقع في شرك الطاعة وفي شرك العبادة وفي شرك الحب وهذا مما يجعله مشركاً في صورة موحد، لأن القليل من الناس الذين أشركوا بالله يعتقدون الشرك في العقيدة، ولأن الذين عاشوا في صدر الدعوة الأولى وهم مشركوا قریش كانوا يبررون عبادتهم للأوثان بقولهم اننا نعبد هذه الأصنام لتقربنا إلى الله، قال تعالى: حاكياً عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (١)

فالمشركون موحدون في العقيدة لذلك كانوا يكتبون في مطلع وثائقهم (بسمك اللهم) وما شركهم إلا شرك عبادة وليس شرك عقيدة، ولهذا كانت كل آيات القرآن التي تعالج واقع هؤلاء تركّز على أنهم لا يملكون لهم نفعاً ولا ضرراً ولا علاقة لهم بالله من قريب أو من بعيد، لذلك يتحول الإنسان إلى عابد للشخص كأن تعبد صاحب المال من خلال عبادتك لماله وصاحب السلطة من خلال عبادتك و خضوعك لسلطته وهكذا صاحب الجاه وصاحب السلاح وصاحب السياسة...

الخط الثاني: ويمثل هذا الخط خطراً على هذا الإنسان وهو ان يتعد عن إسلامه، لأن قضية الإسلام ليست قضية كلمة نقولها، وليست مسألة طقوس نمارسها، ولكنها مسألة عقل ليس فيه إلا الله و قلب ليس فيه إلا الله و حياة ليس فيها إلا الله وعندما يكون غير الله في عقل الفرد المسلم وفي قلبه وحياته فلا يكون لأحد غير الله شيء عنده قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنُسَكِي وَمَحَيَّي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢)

وهذا ما عبّر الله عنه في بعض آياته عندما تحدث عن يشركون غير الله في الحب، ومن الطبيعي فإن الحب يجذب الإنسان للخضوع، والخضوع يجذب الإنسان للطاعة قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾ (٣)

فلا يحبون غير الله أبداً إلا من خلال حُبِّهم لله، ولذلك نحن نحب الأنبياء والرسل والأصفياء والأولياء المقربين إلى الله لأنهم أنبياء ولأنهم رسل أو أئمة لأنهم المقربين إلى الله دون غيرهم و نحب المؤمنين لأنهم آمنوا بالله، وهذا هو معنى الحب في الله ونحن نبغض الكافرين والفاسقين والمنافقين لأنهم كفروا بالله أو فسقوا عن أمر الله أو استبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان وهذا هو معنى البغض في الله.

١- البقرة، ١٣١.

٢- الانعام، ١٦٢ - ١٦٣.

٣- البقرة، ١٦٥.

نحن لانحب إطلاقاً من حالة مزاجية أو من خلال مصلحة شخصية، وكل ذلك يقصم ظهر الشيطان ويفت عضده ويشل حركته وسعيه ويخيّب آماله وأحلامه في إضلال الناس وغوايتهم فإن ألف شيطان وألف مارد لا يستطيع غواية إنسان مسلم إذا وعى دوره وشعر بمسؤوليته واهتم بها وقام بأدائها بجد و حزم.

نسيان الله:

ان كل ما يجري من انحراف يحصل من أن الإنسان ينسى ربّه وينسى مقام ربّه وينسى عبوديته لربّه وينسى حجم الناس في المقارنة مع ربّ الناس، ولذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ...﴾ (١)

إذا نسي المسلم ربّه فإنه ينسى ما يصلحه، ما يصلح نفسه وما يفسدها، وإذا نسي الله تاه و نسي الطريق المستقيم ونسي إشراق القلب والافتتاح على النور الرباني لذا كلما آمن الإنسان بالله أكثر كلما تيقن بالله أكثر وكلما عرف الله أكثر كلما استطاع ان يوازن حياته أكثر وأن يملك حريته أكثر. فلا بدّ للإنسان أن يعيش روحية ذلك.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يصف المتقين وهو العارف بالمتقين لأنه إمام المتقين: (عظم الخالق في أنفسهم فصغر مادونه في أعينهم) لأن الإنسان كلما تجلّت عظمة الله في نفسه كلما تصاغرت كلّ القوى أمامه قال تعالى: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ (٢)

وعندما يتجلّى علم الله في نفسه فإنه سيصغر كلّ علم دونه.
يتحرك الإنسان مع وجود الله وفي خط طاعته، فعندما يرى شيئاً عظيماً
فإنه يقول (سبحان الله) وعندما يتذكر في واقع حمده فيقول (الحمد لله).. كما ورد
في الدعاء الذي روي عن النبي ﷺ أنه قال:

(أعددت لكلّ هول لا إله إلا الله

ولكلّ همّ وغمّ ما شاء الله

ولكلّ نعمة الحمد لله

ولكلّ رخاء الشكر لله

ولكلّ اعجوبة سبحان الله

ولكلّ ذنب استغفر الله

ولكلّ مصيبة إن الله وإنا إليه راجعون

ولكلّ ضيق حسبي الله

ولكلّ قضاء وقدر توكلت على الله

ولكلّ عدو اعتصمت بالله

ولكل طاعة ومعصية لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)^(١).

هذا الدعاء يجسد لنا حياة الفرد المسلم وتعلّقه بالله من خلال إسلامه في
عبادته وفي آدابه وفي أخلاقه فهو ارتباط مباشر بالمطلق العظيم رغم ما يتعرض
من أهوال وهموم وغموم، وكذلك من نعم و رخاء وتمتع وبالمقابل ما يواجه من

١ - الباقيات الصالحات/ الشيخ عباس القمي ص ٦٥ دارالأضواء - نقلاً عن البلد الأمين،
وفضل هذا الدعاء عظيم.

مصائب وذنوب ومعاصي وضيق وأعداء محدقون به.

يذكره في إشرقة كل صباح وفي نور كل ضياء وفي ظلمة كل ليل وليقول في نفسه

﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(١)

﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٢)

وإذا أراد البعض أن يخوفونا بالناس فلنتذكر قوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ

كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ، لَا تَخَزنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٣)

ولنتذكر قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ

وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ

الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٤)

المنافقون والمرجعون قالوا للمؤمنين ان هناك قوى كبيرة وعظيمة تهيات

للقضاء عليكم فخافوهم وتنازلوا عن مبادئكم ومعتقداتكم، فزاد هذا القول

المؤمنين إيماناً وصلابة وانقياداً إلى الله فقالوا ان الله كافينا وولينا وحفيظنا، ونعم

الكافي والمعتمد والملجأ الذي توكل إليه الأمور فرجعوا وعادوا بنعمة من الله

وبعافية من السوء وبتجارة رابحة لم يصيبهم اذى ولاقتل، وأطاعوا الله بالخروج

إلى لقاء العدو والله صاحب الفضل العظيم على المؤمنين، فقد ورد عن الصادق عليه السلام

١ - البقرة، ١٦٥ .

٢ - النساء، ١٣٩ .

٣ - التوبة، ٤٠ .

٤ - آل عمران، ١٧٣ - ١٧٥ .

انه قال: عجبت لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله (حسبنا الله ونعم الوكيل) فإنني سمعت الله يقول بعقبها (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء)^(١) لم يصبهم اذى لأن الله حسبهم ونعم الوكيل، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذُلُّ الشَّيْطَانِ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ...﴾ أي إنما ذلك التخويف للناس من فعل الشيطان واغوائه وتسويله يُخَوِّفُ المؤمنين بالكافرين (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) ان كنتم مُصَدِّقِينَ بالله فقد اعلمتكم اني انصركم عليهم فلا تخافوا أولياء الشيطان ولا تخشوا الشيطان ولا تخشوا اتباعه من النَّاسِ واخشوني، فإن كلَّ ما يخوفكم بالناس فهو الشيطان نفسه، أو الناطق باسم الشيطان.

وقال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾^(٢)

هؤلاء يتسترون عن النَّاسِ بمعاصيهم لئلا يفتضحوا في النَّاسِ ولا يتسترون عن الله وهو مطلع عليهم أو يستحون من النَّاسِ ولا يستحون من الله وهو معهم حيث يُدَبِّرُونَ ما لا يَرْضَىٰ من أقوالهم وأفعالهم، وان الله عالم وحافظ لأعمالهم وهو سبحانه أحق ان يراقب وأجدر أن يحذر^(٣).

قال الإمام الباقر عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(من طلب مرضاة النَّاسِ بما يسخط الله كان حامده من النَّاسِ ذاماً، ومن آثر طاعة الله بغضب النَّاسِ كفاه الله عداوة كلِّ عدو وحسد كلِّ حاسد وبغى كلِّ

١- مجمع البيان / الطبرسي ج ٢ ص ٨٨٩.

٢- النساء، ١٠٨.

٣- مجمع البيان / الطبرسي ج ٢ ص ١٦٤.

باغ، وكان الله عزّ وجلّ ناصراً وظهيراً)

مَنْ أَسْخَطَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ وَتَمَرَّدَ عَلَى أَوَامِرِهِ وَارْتَكَبَ نَوَاهِيهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَرْضَى عَنْهُ النَّاسُ فَإِنَّهُ يُحْتَقَرُ عَنْدهُمْ لَعَلَّهِمْ بِاسْتِخْدَامِهِ الْوَسَائِلَ الْلَامِشِرُوعَةَ وَالطَّرِيقَ الدَّنِثِيَّةَ، سِوَاءِ أَكَانَ هَذَا الْإِحْتِقَارَ بَارِزاً ظَاهِراً لِلْعِيَانِ أَوْ دَاخِلَ أَنْفُسِهِمْ لِأَنَّهُ أَغْضَبَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ مِنْ أَجْلِ عَرْضِ زَائِفِ زَائِلٍ وَسَرَابٍ سَرْعَانَ مَا يَتَبَدَّدُ.

ان النَّاسَ الَّذِينَ يَعُونُ مَوْقِعَهُ حَتَّى لَوْ مَدَحُوهُ وَاطْرَوْهُ فَإِنْ مَدَحَهُمْ لَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَجْرَدَ نِفَاقٍ لِأَنَّهُ بِمَوْقِعِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ يَبْقَى مُحْتَقَرًا وَإِنْ حَقَّقَ لَهُمْ بَعْضُ الْمَكَاسِبِ أَوْ حَصَلَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا أَيْضًا.

أَمَّا الَّذِي يَحْتَرِمُ نَفْسَهُ وَإِيمَانَهُ وَعَقِيدَتَهُ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ يَمْلِكُ احْتِرَامَ أَعْدَائِهِ قَبْلَ أَصْدِقَائِهِ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ إِنْسَانٌ كَامِلٌ الْإِنْسَانِيَّةَ يَحْتَرِمُ إِنْسَانِيَّتَهُ رَاسِخَ الْعَقِيدَةِ وَالْمَبْدَأِ وَغَيْرِ مَنْافِقٍ أَوْ مُتَذَبَذِبٍ مُضْطَرَبٍ.

وَنَحْنُ نَعْرِفُ وَاقِعَنَا الَّذِي نَعِيشُهُ لِذَا لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَخْدَعُ أَنْفُسَنَا أَوْ نَدْعَ لِلشَّيْطَانِ سَبِيلًا فِي خِدَاعِنَا.

قال رسول الله ﷺ في دعائه (ان لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي).

وقال الشاعر:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر و بيني وبين العالمين خراب
ولنتطلع إلى مفردات من دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفه حيث يقول:
(... كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل

يدل عليك، ومتى بُدَّتْ حتَّى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك عليها رقبيا، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً...

ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك^(١).

نعود لقوله تعالى ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ، لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٢) ماذا كانت النتيجة؟

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣).

ونعود لقول رسول الله ﷺ:

(.. ومن أثر طاعة الله بغضب الناس...) ماذا تكون النتيجة؟

(... كفاه الله عداوة كلِّ عدو وحسد كل حاسد وبغي كلِّ باغ، وكان الله عزَّ وجلَّ ناصراً وظهيراً).

إذن ينبغي للمؤمن أن يصبر على الحرمان الذي يلوح به الآخرون، بأن يعطوا شيئاً مقابل معصية الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٤)

كما ورد عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ (من أرضى سلطاناً بسخط الله خرج من دين الله).

١ - مفاتيح الجنان / عباس القمي ص ٣٤٢ و ٣٤٣

٢ - التوبة، ٤٠.

٣ - التوبة، ٤٠.

٤ - محمد، ٧.

إذا أصبح المسلم جاسوساً أو مخبراً للظالم أو أحد المنفذين له أو المبررين لأعماله العاذرين له فانه يصيبه ما أصاب السلطان من عذاب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(١)

مما روي عنهم عليه السلام ان الركون: المودة والنصيحة والطاعة^(٢)، وعن الإمام الحسين عليه السلام قال: (من حاول امرأاً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو، وأسرع لما يحذر)^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن الحسين بن علي عليه السلام قال: (كتب رجل إلى الحسين، عظمي بحرّفين فكتب إليه «من حاول امرأاً بمعصية الله أفوت لما يرجو وأسرع لمجيء ما يحذر») فالذي يريد ان ينال شيئاً بمعصية الله فانه يخسره عاجلاً ويفوته الخير.

فالله عزّوجلّ هو الذي يلبي طموحات الإنسان ويحقق أحلامه وينجّح مشاريعه ويملك الحماية له وليس الناس، والله هو الذي يملك القلوب فتستجيب أو لا تستجيب له قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾^(٤)

هنا يخاطب الله رسوله الأكرم عليه السلام يقول له أنت لا تملك القلوب بل أنا

١- هود، ١١٣.

٢- المجمع / الطبرسي ج ٥ ص ٣٠٦.

٣- تحف العقول / الحراني ص ١٧٩.

٤- الأنفال، ٦٣.

أملكها ولا تستطيع أن تجعلها لوحدك منسجمة متحابه فيما بينها حتى لو أنفقت وبذلت كلّ خزائن الدنيا ولكن بتوفيق من الله استطعت يا رسول الله ﷺ أن تؤلف بينهم وتجعلهم أمة واحدة.

فإذا أراد المؤمن الحصول على شيء فعليه ان يتوجه إلى الله عز وجل وبنية صادقة ويطلب منه، وإذا أراد أن يبتعد عن ما يحذره فليسأل الله أن يصرف عنه كيد الأعداء.

والحديث الأخير في هذا السياق للإمام الباقر عليه السلام قال:

«لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله، ولا دين لمن دان بفرية باطل، ولا دين لمن دان بجحود شيء من آيات الله»^(١).

الإثم الباطني:

ان الشيطان مرتعه الإثم الباطني، وله دور خطير في مسيرة الإنسان الاجتماعية، حيث يفذه وينميه.

فما معنى الإثم الباطني؟ وما خطره؟

وما هي علاقة الإثم الباطني بالشيطان؟

وهل هناك ذنوب داخلية وذنوب خارجية؟

تنقسم الأحكام الشرعية إلى قسمين أساسيين هما: الأوامر والنواهي، أو

تسمي بالواجبات والمحرمات وكلاهما (الأوامر والنواهي) ينقسمان إلى قسمين،

فتكون أربعة أقسام هي:

١ - أوامر ظاهرية.

٢ - أوامر باطنية.

٣ - نواهي ظاهرية.

٤ - نواهي باطنية.

الأوامر والنواهي الظاهرية تقوم بها جوارح الإنسان كاليد والرجل والعين والأذن وهكذا.. ومثال الأوامر الظاهرية: الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومثال النواهي الظاهرية: عدم شرب الخمر، عدم الكذب، عدم الغيبة، عدم البهتان، عدم الزنا...

ومثال الأوامر الباطنية: صدق النية، الخشوع، الخضوع، الإخلاص، الخوف من الله، الإقبال على الله...

ومثال النواهي الباطنية: عدم الشك، عدم الحسد، عدم الحقد، عدم الريبة، عدم سوء الظن...

الأوامر والنواهي الظاهرية تخضع إلى الجوارح كاليد والرجل والعين والأذن واللسان.

أما الأوامر والنواهي الباطنية فإنها تخضع إلى جوانحي الإنسان كالعقل والقلب والنفس. من هنا جاء في دعاء كميل لامير المؤمنين عليه السلام قوله (.. يارب قوِّ

على خدمتك جوارحي واشدد على العزيمة جوارحي^(١).

نخلص إلى نتيجة هي ان الواجبات والمحرمات على قسمين:

(١) ظاهرة خارجية.

(٢) باطنية داخلية.

أهمية الأعمال الباطنية:

ان الأعمال الباطنية أهم بكثير من الأعمال الخارجية ومثال على ذلك: الصلاة: ظاهر الصلاة قيام وقعود وركوع وسجود وقراءة وذكر وتشهد وتسليم...

وباطن الصلاة: النية، والخشوع، والتوجه، وعدم الرياء، والإنقطاع إلى الله....

قيمة الصلاة بباطنها وليس بظاهرها، وكذلك سائر العبادات، فالباطن هو الأساس في كل العبادات، وان كان الظاهر لا غنى عنه وان الظاهر يتفرع منه - أي من الباطن - وباطن الإثم لا يظهر على جوارح الإنسان.

ما هو الدليل على ما تقدم؟

قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾^(٢)

١ - المنتخب الحسني - ص ٣٤٢، طباعة لندن .

٢ - الأنعام، ١٢٠ .

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ كُنْ يُوَاحِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿... فَإِنَّهُ ءَاتِمٌ قَلْبُهُ...﴾ (٣)

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (٤)

وقال تعالى: ﴿... إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا...﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦)

إذن بصريح الآيات المتقدمة نستخلص ما يلي:

١ - ان للإثم أو للذنب ظاهر وباطن، قال تعالى:

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ...﴾ (٧)

٢ - ان الذين يرتكبون الإثم الظاهري أو الباطني سينالهم العذاب يوم

القيامة، قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ (٨)

١ - الأنعام، ١٥١.

٢ - البقرة، ٢٢٥.

٣ - البقرة، ٢٨٣.

٤ - البقرة، ٢٨٤.

٥ - سورة الإسراء، ٣٦.

٦ - النور، ١٩.

٧ - الأنعام، ١٢٠.

٨ - الأنعام، ١٢٠.

٣- ان الله عزّ وجلّ يعاقب الإنسان الذي يرتكب الإثم ولو كان باطنياً فقط،
قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (١)

٤- ان القلب يأتكم كما تأتم الجوارح كالعين واليد والأذن والرجل وغيرها،
قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ ءَاتِمٌ قَلْبُهُ﴾ (٢)

٥- ان الجوارح والجوانح بينها ارتباط مباشر ووحدة علاقة بالأعمال
الصالحة والطالحة، قال تعالى: ﴿... إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ
مَسْنُوءٌ...﴾ (٣).

٦- ان الذين يضررون الذنب لهم عذاب أليم ليس فقط في الآخرة بل في
الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤)
لم يقل (ان الذين يشيعون الفاحشة) بل قال ﴿... إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ
الْفَاحِشَةُ﴾ ونحن نعلم ان الحب شيء قلبي.

٧- ان الله تعالى مطلع على خفايا الأمور، وهو الذي يعلم بأسرار وأفكار
ونوايا وعقائد ووساوس الناس، وليس البشر قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ
تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٥)

١- البقرة، ٢٢٥.

٢- البقرة، ٢٨٣.

٣- سورة الإسراء، ٣٦.

٤- النور، ١٩.

٥- النور، ١٩.

وكما ان الله عز وجل مطلع على أعمال العباد الظاهرية فهو مطلع عليهم بما أخفوا في أنفسهم وما تحدثت به أنفسهم لهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١)

أي انا خلقنا جنس الإنسان ونعلم ما يحدث به قلبه وما يخفي ويكن في نفسه ولا يظهره لأحد من المخلوقين ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ بالعلم، وحبل الوريد عرق يتفرق في البدن يخالط الإنسان في جميع أعضائه، وقيل هو عرق الحلق عن ابن عباس ومجاهد، وقيل هو عرق متعلق بالقلب، يعني نحن أقرب إليه من قلبه عن الحسن، وقيل معناه نحن أعلم به ممن كان منه بمنزلة حبل الوريد في القرب، وقيل معناه نحن أملك له من حبل وريده مع استيلائه عليه وقربه منه، وقيل معناه نحن أقرب إليه من حبل الوريد لو كان مدركاً.

ثم ذكر سبحانه وتعالى أنه مع علمه به وكّل به ملكين يحفظان عليه عمله إلزاماً للحجة فقال ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أي نحن أعلم به وأملك له حين يتلقى المتلقيان وهما الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملئ عليه ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد هنا الملازم الذي لا يبرح لا القاعد الذي هو ضد القائم، وقيل عن اليمين كاتب الحسنة وعن الشمال كاتب السيئات عن الحسن ومجاهد، وقيل الحفظة أربعة ملكان بالنهار وملك بالليل عن الحسن ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي ما يتكلم

بكلام فيلظفه أي يرميه من فيه إلاّ لديه حافظ حاضر معه، يعني الملك الموكل به، إما صاحب اليمين وإما صاحب الشمال يحفظ عمله لا يغيب عنه والهاء في لديه تعود إلى القول أو إلى القائل، وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال:

ان صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ أو المسيّ فإن ندم واستغفر الله منها ألفاها، وإلاّ كتب واحدة.

وفي رواية أخرى قال: صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين أمسك عنه سبع ساعات فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيء، وإن لم يستغفر الله كتب له سيئة واحدة وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (ان الله تعالى وكلّ بعبد ملكين يكتبان عليه فإذا مات قالا يارب قد قبضت عبدك فلاناً فإلى أين؟ قال: سمائي مملوءة بملائكتي يعبدونني وأرضي مملوءة من خلقي يطيعونني، إذهبوا إلى قبر عبدى فسبحاني وهللاني فاكتبوا ذلك في حسنات عبدى إلى يوم القيامة.)^(١)

هنا نكتشف فهماً جديداً من خلال القرآن الكريم في مضمار بحثنا، من أن هناك من الذنوب والخطايا باطنية تخص القلب وذلك:

١- ان القرآن الكريم يفتح أفقاً جديداً أمام الفكر البشري بأن للإثم ظاهر وباطن، حيث كان الفلاسفة والمفكرون سابقاً، وكانت المدارس الفكرية والفلسفية تخالف هذا المبدأ وتقول ان الحقّد أو الحسد ليس ذنباً ولا إثمًا لأنه أمر نفساني

غير خاضع لإرادة صاحبه ويشترط بأن يكون باختيار صاحبه، وإنما الإثم محصور في التصرف الخارجي القائم على أساس الحسد.

٢- ان القرآن الكريم يضع باطن الإثم تحت طائلة العقوبة أي ان العقوبة تشمل ظاهراً للإثم وباطنه، قال تعالى: ﴿... إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً...﴾ (١).

السمع مسؤول والبصر مسؤول والفؤاد مسؤول الكل مسؤول على صعيد واحد، وهذه أيضاً رؤية جديدة للإثم حيث تشمل الجارحة والجانحة على حد سواء.

٣- ان القرآن الكريم يعمم النهي عنهما معاً، قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ (٢).

ان الذين يكسبون الإثم معاً (ظاهراً وباطناً) سيعاقبون بما كانوا يرتكبون، وهناك بعض الاسئلة التي تطرح نفسها في هذا الصدد منها:

س: ماهو مصدر باطن الإثم في حياة الإنسان؟

ج: مصدره مرض القلب، أو القلب المريض.

س: ما الذي يمرض القلب؟

ج: كثرة الذنوب.

س: من الذي يغذي الذنوب ويزينها للإنسان؟

١- سورة الإسراء، ٣٦.

٢- الأنعام، ١٢٠.

ج: الشيطان وحب الدنيا الذي هو مرتعه، ونقطة قوته، وانطلاقته في صدور الناس وسيأتي تفصيل ذلك ان شاء الله.

أقسام القلوب:

تقسم القلوب إلى ثلاثة أقسام:

١ - القلب السليم.

٢ - القلب الميت.

٣ - القلب المريض.

أولاً: القلب السليم: (١)

١ - ان سلامة القلب وصحته هي استقراره في استقامة الفطرة ولزومه الطريقة، ويؤول إلى خلوصه في توحيد الله سبحانه وتعالى وركونه إليه عن كل شيء يتعلق به هوى الإنسان قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٢).

وقال الراغب: ان السلم والسلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة. والمعنى: لكن من أتى الله بقلب سليم فإنه ينتفع به والمحصل ان مدار السعادة يومئذ على سلامة القلب سواء كان صاحبه ذا مال وبنين في الدنيا أو لم يكن (٣).

١ - الميزان / الطباطبائي / ج ٥ ص ٣٧٧.

٢ - الشعراء، ٨٨ - ٨٩.

٣ - الميزان الطباطبائي ج ١٥ ص ٢٨٩-٢٨٨.

وفي الكافي بإسناده عن سفيان بن عيينه قال: سألته عن قول الله عز وجل ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

قال: السليم الذي يلقي الله ربه وليس فيه أحد سواه.

قال وكل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط، وإنما أرادوا الزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم إلى الآخرة^(١).

والقلب السليم، سليم من الشرك والشك عن الحسن ومجاهد، وقيل سليم من الفساد والمعاصي، وإنما خص القلب بالسلامة لأنه إذا سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد، من حيث أن الفساد بالجراحة لا يكون إلا عن قصد بالقلب، وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: (هو القلب الذي سلم من حب الدنيا).

ويؤيده قول النبي ﷺ: حب الدنيا رأس كل خطيئة^(٢). فتجد صاحب القلب السليم صدره رحب واسع، يسع المجتمع بأكمله ولا يضيق بأحد، حتى بمن خالفوه، محب للجميع، يريد الخير والعطاء لكل الناس، ليشمل السخاء الإلهي كافة الناس.

لقد تعرّض للرسول الأكرم ﷺ الكثير من السفهاء والجهال من مشركي مكة بالأذى وبمختلف صورته، كم مرة ومرة رضخوه بالحجارة حتى سالت الدماء الزكية الطاهرة من سائر جسده الشريف.

وكم وضعوا عليه من سلي الحيوانات وأوساخها وهو قائم يصلي في المسجد الحرام.

١ - الميزان الطباطبائي ج ١٥ ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

٢ - مجمع البيان / الطبرسي ج ٤ ص ٣٠٥.

وكم سكبوا عليه الرماد من فوق السطوح أو أحثوا التراب على رأسه الشريف وهو سائر في الطريق.

كان يرفع طرفه إلى السماء ليدعو لهم بكل خير ويدعو لهم بالهداية ويقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).

أكثر من هذا، نحن نجد أن من الأدعية الواردة عن النبي ﷺ فيها من الشمولية لكل الإنسانية ما يحير الألباب ويسلب العقول.

فلنقرأ معاً هذا الدعاء الشريف الوارد عنه ﷺ ولندعوا به جميعاً: (١)

«اللهم أدخل على أهل القبور السرور، اللهم اغن كل فقير، اللهم اشبع كل جائع، اللهم اكس كل عريان، اللهم اقض دين كل مدين، اللهم فرج عن كل مكروب، اللهم رد كل غريب، اللهم فك كل أسير، اللهم أصلح كل فاسد من أمور المسلمين، اللهم اشف كل مريض».

هكذا وبدون استثناء أحد.

فلا ينبغي أن تضيق صدورنا ولا يحكمنا حبّ الأننا حتّى في عبادتنا وفي دعائنا.

ومثال آخر لصاحب القلب السليم، أحد تلامذة الإمام علي عليه السلام مالك الأشتر النخعي رضوان الله عليه ذات يوم مرّ مالك الأشتر في السوق، وكان قائداً للجند، أي بما يقابل وزيراً للدفاع لأكبر دولة في العالم يومها، فيعترضه أحد السفهاء ليسمعه كلمات قاسية ويرميه ببعض الأوساخ وهو يجهله فينصرف مالك

١ - مفاتيح الجنان / عباس القمي ص ٢٢٩، رواه الكفعمي في المصباح وفي البلد الأمين كما روى الشيخ الشهيد في مجموعته عن النبي ﷺ.

الأشتر دون ان يرد عليه بشيء، فيلتفت رجل إلى المعتدي - وبدون سبب سوي من أجل الإستهزاء والسخرية والترويح عن النفس بإيذاء الآخرين - ليقول له هل عرفت من هذا الذي سخرت منه؟ فيجيبه: كلا لم أعرفه.

قال الرجل: انه مالك الأشتر صاحب أمير المؤمنين عليه السلام فارتعد ذلك الرجل خشية العقاب، وتبع مالك ليعتذر منه، ويطلب السماح والصفح عنه، فيراه قد دخل المسجد ليصلي، وبعد ان انقضى من صلاته، تقدم إليه ذلك المعتدي نادماً معتذراً، فقال له مالك: ما دخلت المسجد إلا من أجلك لأطلب لك الصفع من الله عز وجلّ والسماح وغفران الذنوب.

ذلك هو القلب السليم الذي لا يكون مرتعاً للشيطان ولا عشاً لإبليس ولا يصلح ان يسكن فيه أي شيطان لحظة واحدة بل يصلح لله وحده، وكما ورد في الحديث القدسي الشريف عن الله عز وجلّ حيث قال: (لا تسعني أرضي ولا سمائي وإنما يسعني قلب عبدی المؤمن).

ثانياً: القلب الميت:

وهو ذلك القلب الذي لا يُرتجى شفاؤه كقلب المنافق والكافر قال تعالى: ﴿... الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...﴾ (١).

إذن المنافقون غير الذين في قلوبهم مرض فإن المنافقين هم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم والكفر الخالص موت للقلب لارضاء ولا حياة فيه، قال

تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِنِّي فَأَخَيَّنْتُهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾^(٢).

هنا أنزل الله تعالى موتى القلوب بمنزلة موتى الأجساد. وقال سبحانه، وهو

قول جامع في هذا الباب:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣).

هنا التوبة والندم والإصلاح في النية والاعتصام أي التمسك بكتاب الله

والإخلاص لدين الله كلها قلبية قبل ان تبرز إلى الجوارح.

ولزيادة في الإيضاح نعرض مشهداً من مشاهد يوم القيامة لنرى دور الشيطان في إيراد الناس التهلكة لأنهم أطاعوه واتبعوه فقسفت قلوبهم بل كانت ميتة قال تعالى: ﴿وَأَمَّا زُورُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَسْبِقَنِي ءَادَمُ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أَضَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ

١- سورة الأنعام، ١٢٢.

٢- سورة الأنعام، ٣٦.

٣- سورة النساء، ١٤٤- ١٤٦.

أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»^(١).

«وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ» أي انفصلوا معاشر العصاة واعتزلوا عن المؤمنين، أو كونوا على حدة عن السدي، وقيل معناه ان لكل كافر بيتاً في النار يدخل فيردم بابه لا يرى ولا يرى، ثم خصهم سبحانه بالتوبيخ فقال: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَسْبَىٰ آدَمَ»، أي ألم آمركم على السنة الأنبياء والرسل في الكتب المنزلة «أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» أي لا تطيعوا الشيطان فيما أمركم به^(٢) أو نهاكم عنه، والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس ويأمر به اذ لا طاعة إلا لله أو من أمر بطاعته، وقد علل النهي عن طاعته بكونه عدواً مبيناً، لأن العدو لا يريد بعده خيراً وقيل المراد بعبادته عبادة الآلهة من دون الله وإنما نسبت إلى الشيطان لكونها بتسويله وتزيينه، وهو تكلف من غير موجب.

وإنما وجه الخطاب إلى المجرمين بعنوان انهم بنو آدم لأن عداوة الشيطان إنما نشبت أول ما نشبت بآدم عليه السلام حين أمر ان يسجد له فأبى واستكبر فرجم ثم عادي ذريته بعداوته وأوعدهم كما حكاها الله تعالى إذ قال: «أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَخْتَكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا»^(٣).

وأما عهده تعالى ووصيته إلى بني آدم ان لا يطيعوه فهو الذي وصاهم به على لسان رسله وأنبيائه وحذرهم عن اتباعه^(٤) كقوله تعالى: «يَسْبَىٰ آدَمَ

١ - سورة يس، ٥٩ - ٦٥.

٢ - مجمع البيان / الطبرسي / ج ٢، ص ٦٧٢.

٣ - سورة الأسراء، ٦٤.

٤ - الميزان للطباطبائي ج ١٧، ص ١٠٢.

لَا يَفْتِنُكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ» (١)

وقوله تعالى ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢).

وفي اعتقادات الصدوق قال الإمام الباقر عليه السلام: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس»، ثم قال تعالى: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، فوصف عبادته بأنها طريق مستقيم من حيث كان طريقاً إلى الجنة، ثم ذكر سبحانه عداوة الشيطان لبني آدم فقال ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ أي أضل الشيطان عن الدين خلقاً كثيراً منكم بأن دعاهم إلى الضلال وحملهم على الضلال وأغواهم، ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ أنه يغويكم ويصدكم عن الحق فتنتبهون عنه صورته الإستفهام، ومعناه الإنكار عليهم والتبكيث لهم (٣)، والكلام مبني على التوبيخ والعتاب ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ استمر الإيعاد مرة بعد مرة على لسان الأنبياء والرسل عليهم السلام وأول ما وعد الله سبحانه بها حين قال لإبليس ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤).

﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: الصلا: اللزوم والإتباع، والخطاب

لموتى القلوب، للكافرين وهم المراد بالمجرمين.

١ - سورة الاعراف، ٢٧.

٢ - سورة الزخرف، ٦٢.

٣ - مجمع البيان - للطبرسي، ج ٨، ص ٧٦٢.

٤ - سورة الحجر، ٤٢.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، أي تشهد كل منها بما كانوا يكسبونه بواسطته، فالأيدي بالمعاصي التي كسبوها والأرجل بالمعاصي الخاصة بها، ومن هنا يظهر ان كل عضو ينطق بما يخصه من العمل، وان ذكر الأيدي والأرجل من باب الإنمोज ولذا ذكر في موضع آخر السمع والبصر كما هو في قوله تعالى: ﴿...إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا...﴾ (١).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمَ يُخَسِّرُ أَعدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِمَ جُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * (٢).

يوم القيامة يحبس أصحاب القلوب الميتة ليتلاحقوا ولا يتفرقوا، إذا حشروا وقفوا، ثم جاؤوا إلى النار التي حشروا إليها بعد أن شهد عليهم سمعهم بما قرعه من الدعاء إلى الحق فأعرضوا عنه ولم يقبلوه وأبصارهم بما رأوا من الآيات الدالة على وحدانية الله فلم يؤمنوا وسائر جلودهم بما باشروه من المعاصي والأفعال القبيحة... وقيل بالجلود هنا الفروج على طريق الكناية عن ابن عباس والمفسرين (٣) ثم حكى سبحانه وتعالى عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا﴾ أي الكفار

١ - سورة الإسراء، ٣٦.

٢ - سورة فصلت، ١٩ - ٢٢.

٣ - مجمع البيان - للطبرسي، ج ٩، ص ١٢.

﴿لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ يعاتبون أعضاءهم يقولون لها لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴿قَالُوا أَنُطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي أعطانا الله آلة النطق والقدرة على النطق وتم الكلام ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة أي إلى حيث لا يملك أحد الأمر والنهي سواه تعالى ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ﴾ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ معناه وما كنتم تستخفون أي لم يكن يتهاى لكم أن تستروا أعمالكم عن هذه الأعضاء لأنكم كنتم بها تعملون، فجعلها الله شاهدة عليكم في القيامة وقيل وما كنتم تتركون المعاصي حذراً أن تشهد عليكم جوارحكم بها لأنكم ما كنتم تظنون ذلك ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لجهلكم بالله تعالى فهان عليكم ارتكاب المعاصي (١).

وفي الكافي بإسناده عن محمد بن سالم عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث قال: «وليس تشهد الجوارح على المؤمن إنما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب فأما المؤمن فيعطى كتابه بيمينه» قال الله عز وجل: ﴿...فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٢).

وفي تفسير العياشي عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن جده قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة يصف هول يوم القيامة: ختم الله على الأفواه فلا تكلم وتكلمت الأيدي وشهدت الأرجل ونطقت الجلود بما عملوا فلا يكتمون الله حديثاً (٣).

١- مجمع البيان - للطبرسي، ج ٩، ص ١٤.

٢- الإسراء، ٧١.

٣- الميزان للطباطبائي، ج ١٧، ص ١٠٥.

ثالثاً: القلب المريض

والقلب المريض يقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

(١) قلب مريض يُرجى شفاؤه ومثاله المريض بمرض حاد يعالج أو يمكن علاجه فيبرؤ.

(٢) قلب مريض ويبقى مريض ولا يُرجى شفاؤه ومثاله المريض بمرض مزمن لا هو بميت فيُنعى ولا هو بحي فيُرتجى.

(٣) قلب مريض بمرض خطير من الممكن أن يؤدى به إلى الموت ومثاله المصاب بمرض نقص المناعة (الايدز) أو مصاب ببعض أنواع السرطان الذي لا علاج له ويؤدى به إلى الموت.

وقد تحدث لنا القرآن الكريم في العديد من الآيات المباركة عن القلب المريض الذي هو مصدر للتحرك الباطني النفسي السلبي المحرم.

١ - قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ...﴾ (١)

إذن القلوب تمرض، ويزداد مرضها، وأساس المرض هذا ارتكاب المعاصي والذنوب.

٢ - وقال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ (٢).

١ - البقرة، ١٠.

٢ - المائدة، ٥٢.

الذين في قلوبهم مرض يسارعون في مولاة الأعداء ومعاونتهم على المسلمين خشية ان يدور الدهر عليهم بمكروه فيجعلون لأنفسهم سبيلاً للرجعة^(١).

٣- وقال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾^(٢)

إذ زين لهم الشيطان أعمالهم حتى قال المنافقون والذين في قلوبهم مرض (قول واحد مشترك) ان المسلمين خدعوا بدِينهم حتى خرجوا - لقلتهم - إلى قتال المشركين - لكثرتهم -^(٣).

٤- وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٤).

إذا ما أنزلت سورة من القرآن - نجد الذين في قلوبهم مرض يزدادون شكاً إلى الشكوك السابقة ويزدادون انحرافاً وإذا ماتوا على هذه الحالة ماتوا كافرين^(٥).

٥- وقال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(٦)

١- مجمع البيان - للطبرسي ج ٣ ص ٣١٩.

٢- الأنفال، ٤٩.

٣- مجمع البيان - للطبرسي ج ٤ ص ٨٤٥.

٤- التوبة، ١٢٥.

٥- مجمع البيان - للطبرسي ج ٥ ص ١٢٧.

٦- الحج، ٥٣.

ان الشيطان شدد على مرضى القلوب وعلى القاسية قلوبهم، بسبب مرض قلوبهم وقسوتها حيث تلزمهم الدلالة على الفرق بين ما يحكمه الله وبين ما يليقه الشيطان وانهم في معاداة و مخالفة بعيدة عن الحق^(١).

١ - وقال تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرَاتُوا أَن يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢)

هؤلاء لمرض قلوبهم وريبتهم يخافون أن يظلمهم الله ورسوله، ولكنهم لمرض قلوبهم ولريبتهم ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم لأن خوف الحيف من الله تعالى خلاف الدين^(٣).

٢ - وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٤)

قول واحد مشترك بين المنافقين ومرضى القلوب وهو قول شك وريبة قالوا يعدنا محمد أن يفتح مدائن كسرى وقيصرو نحن لأنؤمن ان نذهب إلى الخلاء هذا والله الغرور^(٥). وقولهم هذا كان يوم الخندق فظهر من كان ثابتاً قوياً في الإيمان ومن كان ضعيفاً.

٣ - وقال تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْتُ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا

١ - مجمع البيان - للطبرسي ج ٧ ص ١٤٦.

٢ - النور، ٥٠.

٣ - مجمع البيان - للطبرسي ج ٧ ص ٢٣٦.

٤ - الأحزاب، ١٢.

٥ - مجمع البيان - للطبرسي ج ٨ ص ٥٤٥.

تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا^(١)

الذي في قلبه مرض يكون طمعاً، أي نفاق وفجور عن قتادة، قيل من في قلبه شهوة للزنا عن عكرمة وقيل ان المرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب الغلظة لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة^(٢).

٤ - وقال تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾^(٣)

المنافقون وضعاف الإيمان، والذين لا إيمان لهم وهم مرضى القلوب، والمرجفون وهم المنافقون أيضاً هذه الأصناف كلها على حد سواء في اللعن وهو الطرد من المدينة أو من الرحمة أو على السنة المؤمنين^(٤).

١٠ - وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ^(٥)

إذا وجب على مرضى القلوب القتال رأيتهم شاخصة أبصارهم نحوك لثقل ذلك عليهم (فأولى لهم) هذا تهديد ووعيد.. وقال قتاده معناه العقاب لهم والوعيد لهم، وقيل أولى لهم طاعة الله ورسوله وقول معروف بالإجابة.. وهذا معنى قول

١ - الأحزاب، ٣٢.

٢ - مجمع البيان - للطبرسي ج ٧ ص ٥٥٨.

٣ - الأحزاب، ٦٠ - ٦١.

٤ - مجمع البيان - للطبرسي ج ٨ ص ٥٨١.

٥ - محمد، ٢٠.

ابن عباس في رواية عطاء واختيار الكسائي

١١ - وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْهُمْ﴾ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَنِهِمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ^(١)

ان مرضى القلوب يعتقدون ان أحداً لا يطلع عليهم ولكن الله أطلع رسوله ﷺ عليهم، وعن أبي سعيد الخدرى قال لحن القول بغض عليّ عليه السلام قال كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ يبغيضهم عليّ بن أبي طالب وروي مثل ذلك عن جابر بن عبد الله الأنصاري وعباده ابن الصامت، وقال انس ماخفي منافق على عهد رسول الله ﷺ بعد هذه الآية (والله يعلم أعمالكم) ظاهرها وباطنها^(٢).

١٢ - وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ اتُّوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ اتُّوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرُنَا لِلبَشَرِ^(٣)﴾.

قول مشترك بين مرضى القلوب والكافرين، انهم لم يتدبروا فيؤدي بهم التدبر في ذلك إلى الإيمان^(٤).

١ - محمد، ٢٩ - ٣٠.

٢ - مجمع البيان - للطبرسي ج ٩ ص ١٦٠.

٣ - المدثر، ٣١.

٤ - مجمع البيان - للطبرسي ج ١٠ ص ٥٨٧.

قوله تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ دلالة على ان للقلوب مرضاً، فلها لا محالة صحة إذ الصحة والمرض متقابلان لا يتحقق أحدهما في محل إلا بعد إمكان تلبسه بالآخر كالبصر والعمى، ألا ترى أن الجدار مثلاً لا يتصف بأنه مريض لعدم جواز اتصافه بالصحة والسلامة.

وجميع الموارد التي أثبت الله سبحانه فيها للقلوب مرضاً في كلامه يذكر فيها من أحوال تلك القلوب و آثارها اموراً تدل على خروجها من استقامة الفطرة وانحرافها عن مستوى الطريقة كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١)

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾^(٢)

وقوله تعالى ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ...﴾^(٣)

وجملة الأمر ان مرض القلب تلبسه بنوع من الإرتياب والشك يكدر أمر الإيمان بالله والطمأنينة إلى آياته، وهو اختلاط من الإيمان بالشرك، ولذلك يرد على مثل هذا القلب من الأحوال ويصدر عن صاحب هذا القلب في مرحلة الأعمال والأفعال ما يناسب الكفر بالله وآياته^(٤).

١- الأحزاب، ١٢.

٢- الأنفال، ٤٩.

٣- الحج، ٥٣.

٤- الميزان - للطباطبائي / ج ٥ ص ٣٧٧.

فالظاهر ان مرض القلب في عرف القرآن هو الشك والريب المستولي على إدراك الإنسان فيما يتعلق بالله وآياته وعدم تمكن القلب من العقد على عقيدة دينية.

فالأذين في قلوبهم مرض بحسب طبع المعنى هم ضُعفاء الإيمان، الذين يصفون إلى كل ناعق و يميلون مع كل ربيع، دون المنافقين الذين أظهروا الإيمان واستبطنوا الكفر رعاية لمصالحهم الدنيوية ليستدروا المؤمنين بظاهر إيمانهم والكفار بباطن كفرهم.

نعم ربما أطلق عليهم المنافقون في القرآن تحليلاً لكونهم في عدم اشتغال باطنهم على لطيفة الإيمان، وهذا غير إطلاق الذين في قلوبهم مرض على من هو كافر لم يؤمن إلا ظاهراً قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً * وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ (١).

وأما قوله تعالى في سورة البقرة ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً...﴾ إلى أن قال ... وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ...﴾ (٢).

فإنما هو بيان لسلوك قلوبهم من الشك في الحق إلى إنكاره وأنهم كانوا في بادية حالهم مرضى بسبب كذبهم في الإخبار عن إيمانهم وكانوا مرتابين لم يؤمنوا بعد، فزادهم الله مرضاً حتى هلكوا بإنكارهم الحق واستهزائهم له. وقد ذكر سبحانه أن مرض القلب على حد الأمراض الجسدية ربما أخذ في الزيادة حتى أزمّن وانجر الأمر إلى الهلاك وذلك بامداده بما يضر طبع المريض في مرضه، وليس إلا المعصية قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً...﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ... إِلَى أَنْ قَالَ ... وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرُونَ * أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (٢). وقال تعالى: - وهو بيان عام - ﴿ثُمَّ كَانَ عَنِيبَةَ الَّذِينَ آسَأُوا السُّؤْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٣)(٤).

أسباب وعلاج مرض القلب:

أولاً: - حب الدنيا:

ان من أهم أسباب مرض القلب هو حب الدنيا فقد ورد عن رسول الله ﷺ

١ - البقرة، ٧ - ٢٠.

٢ - التوبة، ١٢٤ - ١٢٦.

٣ - الروم، ١٠.

٤ - الميزان للطباطبائي ج ٥ ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

انه قال (حب الدنيا أصل كل معصية وأول كل ذنب).

وعنه عليه السلام انه قال (حب الدنيا رأس كل خطيئة).

وعنه عليه السلام انه قال أيضاً (حب الدنيا رأس الفتن وأصل المحن).

وقال الإمام الحسين بن علي عليه السلام في مسيره إلى كربلاء: (الناس عبيد الدنيا والذين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم فإذا محّصوا بالبلاء قل الديانون) (١).

الناس خاضعون لدنياهم، ويتكلمون بالدين ويعملون به مادام هذا الدين يخدم دنياهم ومصالحهم، أما إذا حدث تعارض بين منافعهم الدنيوية وبين الدين واستوجب التضحية تركوا دينهم واتبعوا دنياهم وما يصلحها ولو لفترة زمنية قصيرة بخراب آخرتهم إلا القليل من الناس ممن اصطفاهم الله وهداهم إلى صراطه المستقيم. وان حب الدنيا ليس سبباً لمرض القلب فحسب بل يكون سبباً للكفر أيضاً قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُمْ غَضَبًا مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢).

تشير هاتان الآيتان إلى ان تفضيل وإيثار الدنيا أو محبة الدنيا وإيثارها على الآخرة يؤدّي بالتالي إلى الكفر، وكذلك تشير إلى نقطة أهم وأعظم من الكفر وهي حالة انشراح الصدر للكفر، أي بسط صدره للكفر فقبله قبول رضى

١ - تحف العقول / الحرّاني ص ١٧٦.

٢ - النحل، ١٠٦ - ١٠٧.

ووعاه^(١) أي من اتسع قلبه للكفر وطابت نفسه به^(٢).

ثانياً: ارتكاب المعاصي والذنوب

ان ارتكاب المعاصي والذنوب تُمرض القلوب كما يُمرض الميكروب جسد الإنسان ويفسده، و تتناسب كثرة المعاصي والذنوب مع مرض القلوب تناسباً طردياً، أي كلما زادت الذنوب و تعددت أشكالها زاد مرض القلب أكثر وقد يؤدي به إلى الهلاك والموت.

فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: (لا وجع أوجع للقلوب من الذنب).
ان ارتكاب الذنب يؤدي إلى مرض القلب والوجع هو الألم أو الأذى، فلا شيء يؤثر على القلوب كالذنوب فيتلفها.

وقال أيضاً عليه السلام: (الحقد داءٌ دوي ومرض وبيل)..
الحقد أيضاً مرض آخر يصيب القلب كالحسد وغيره وانه يستشري وينتشر

فيصعب شفاؤه.

وقال أيضاً عليه السلام: (الشهوات علل قاتلات)..
الشهوات تقود إلى المهالك فهي أمراض تصيب القلب، وهكذا بقية الذنوب،

فإن كل مريض القلب مرضه بقدر ذنوبه من حيث الكم والنوع وان كانت كلها ذنوباً.

وان الشيطان يزئ للإنسان الذنوب فيراها جميلة حسنة مقبولة سهلة

١- الميزان للطباطبائي ج ١٢ ص ٣٥٤

٢- مجمع البيان - للطبرسي ج ٦ ص ٥٩٨.

المنال سواء على الصعيد الفردي أو الأسري أو الاجتماعي وان المجتمعات لتعرض كما يمرض الفرد وكما ان الفرد يشكل الحجر الأساس واللبننة الأولى للمجتمع.

ثالثاً: الخروج عن استقامة الفطرة

ان الإنسان يمرض قلبه إذا خالف فطرته و خرج عن الطريق باتباع هواه وقد جمّد عقله و ضيّع الأهداف التي من أجلها خلّق والتي يجب عليه أن يحققها قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١).

وإن حقيقة العبادة هي نصب العبد نفسه في مقام الذلة وتوجيه وجهه إلى مقام ربّه، وهذا هو مراد من فسّر العبادة بالمعرفة الحاصلة بالعبادة.

فحقيقة العبادة هي الغرض الأقصى من الخلقة، وهي ان ينقطع العبد عن نفسه وعن كلّ شيء و يذكر ربّه (٢).

وفي التوحيد باسناده عن ابن أبي عمير قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: ما معنى قول رسول الله ﷺ: «إِعلموا كلّ ميسّر لما خُلِقَ له؟» فقال: ان الله عزّ وجلّ خلق الجنّ والإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فيسرّ كلاً لما خلق فويل لمن استحب العمى على الهدى وفي العلل باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسين بن علي عليه السلام على أصحابه فقال «ان الله عزّ وجلّ ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه

١ - سورة الذاريات، ٥٦.

٢ - الميزان - للطباطبائي ج ١٨ ص ٣٨٨.

عبوده فإذا عبده استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه»^(١).
 وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَغْبُؤْاِبِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ
 لِزَامًا﴾^(٢)

إنَّ استقامة الفطرة تؤدي إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ وطاعته وعبادته ولا قيمة
 للإنسان دون المعرفة والطاعة.

وكلمة يعبؤا من ما عبأت به أي لم أبال به.
 وأصل العبء أي الثقل بمعنى ما أرى له وزناً وقدرًا.
 والمعنى: قل لا قدر ولا منزلة لكم عند ربِّي فوجودكم وعدمكم عنده سواء،
 فلاخير فيكم، فسوف يكون هذا التكذيب ملازماً لكم أشد الملازمة، إلا أن الله
 يدعوكم لیتَمَّ الحجة عليكم لعلكم ترجعون عن تكذيبكم^(٣).

فعلى مريض القلب ان أراد مداواة مرضه ان يتوب إلى الله، وهو الايمان به
 وان يتذكر بصلاح الفكر وصلاح العمل^(٤) كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ
 الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٥)

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾^(٦)
 إذن ينبغي عبادة الله بعد معرفته كي يشفي مرض القلب، ويكون للعبد قدرا.

١- الميزان - للطباطبائي ج ١٨ ص ٣٩٠.

٢- الفرقان، ٧٧.

٣- الميزان - للطباطبائي ج ١٥ ص ٢٤٦-٢٤٥.

٤- الميزان - للطباطبائي ج ٥ ص ٣٧٩.

٥- فاطر، ١٠.

٦- يونس، ٩.

من نماذج للإثم الباطني:

نذكر بعض النماذج للإثم الباطني:

(١) العزم على المعصية:

ان العزم على ارتكاب المعصية محرم - إلا إذا تاب العبد واستغفر ربه وانصرف عن ذلك العزم - فقد ذكر الشيخ البهائي عليه السلام ان الطائفة الشيعية أجمعت على حرمة العزم على المعصية.

وذكر صاحب المدارك في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ان العزم على المعصية محرم والتفكير بارتكاب المحرم محرم.. حيث يجري العقاب على العزم، والعزم عقد في القلب وهو من الأمور الباطنية.

(٢) الرضا بالذنب:-

والرضا بالذنب أخطر من المعصية ذاتها حيث يرضى الإنسان بمعصية العاصين فيكون شريكهم بما فعلوا، ينشرح ويرتاح ويرضى بأفعالهم قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ مَن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١) والإنشراح هي حالة من اتساع القلب للانحراف والتمرد والكفر وطيب النفس به.

فقد ذكر صاحب كتاب الجواهر في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ان الرضا بالحرام حرام.

كما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) (... من رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أن رجلاً قتل بالمشرق ف رضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله عز وجل شريك القاتل...) (١).

وفي قصة عقر أو قتل ناقة صالح (عليه السلام) قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا تَنَدِيمِينَ﴾ (٢)

نسب العقر إلى الجميع ولم يعقرها إلا واحد من القوم وذلك لأنهم رضوا بفعله، فقد ورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال: أيها الناس انما يجمع الناس الرضا والسخط وانما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا فقال سبحانه: ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا تَنَدِيمِينَ﴾ (٣).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري عندما زار الإمام الحسين في أربعينيته الأولى برفقة عطية العوفي خاطب الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه بهذه العبارات: (... والذي بعث محمدًا (عليه السلام) بالحق لقد شاركناكم في ما دخلتم فيه، فقال له عطية كيف ولم نهبط وادياً ولم نعلو جبلاً ولم نضرب بسيف والقوم قد فُرق بين رؤوسهم وأبدانهم وأوتمت أولادهم ورملت الأزواج، فقال لي: يا عطية سمعت حبيبي رسول الله (ﷺ) يقول: (من أحبَّ قومًا حشر معهم، ومن أحبَّ عمل قوم أشرك في عملهم).

١ - عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٤٧ حديث رقم ٥٠.

٢ - الشعراء، ١٥٧.

٣ - الميزان للطباطبائي ج ١٥ ص ٣٠٧.

والَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ إِنْ نِيتِي وَنِيَّةُ أَصْحَابِي عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ
الحسين وأصحابه (١).

ونحن نقرأ في زيارة الإمام الحسين ﷺ السابعة التي رواها الشيخ في
المصباح (مروية عن كتاب المزار لابن قولويه) عن الإمام الصادق ﷺ مخاطباً
الإمام الحسين ﷺ في زيارته بهذه العبارات...

فلعن الله أمة قتلتك.

ولعن الله أمة ظلمتك.

ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به (٢).

٣) كره المؤمنين:

كره المؤمن حرام (وان كانت مسألة باطنية وليست ظاهرية)، الحقد على
المؤمن وكرهه حرام، فقد ورد عن رسول الله ﷺ انه قال: -

(من بات وفي قلبه غش لأخيه المسلم بات في سخط الله وأصبح في سخط
الله حتّى يتوب) وقال (ليس منا من غش مسلماً أو ضرّه أو ماكره) (٣) وكما ورد
عنه ﷺ انه قال أيضاً: (من أعان على أخيه المؤمن بشطر كلمة حشر يوم القيامة
مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله) (٤).

١ - مقتل الإمام الحسين ﷺ / الشيخ عبد الزهراء الكعبي

٢ - مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي ص ٤٩٧ - ٥٠٠.

٣ - تحف العقول ص ٣٦.

٤ - بحار الأنوار ج ٧٤، للعلامة المجلسي.

كما ان الغيبة والكذب والبهتان والإفتراء والسرقة يحرم فعلها كذلك كره المؤمنين بعضهم للبعض الآخر محرم، وكما ان الكفر ملّة واحدة فينبغي للمسلمين أن يكونوا ملّة واحدة موحدة متحدة ولا يجوز لهم ان يهجر بعضهم بعضاً فقد ورد عن رسول الله ﷺ انه قال: (لا يحلّ لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث) أي ثلاثة أيام.

وعن الصادق عليه السلام قال: (لا يزال إبليس فرحاً ما اهتجر المسلمان فإذا التقيا اصطكت ركبته). إن إبليس يفرح إذا اختلف المؤمنان أو المؤمنون فيما بينهم، ولكن إذا عادت العلاقة الطبيعية فيما بينهم ورجع الإنسجام وسادت المحبة اشتاط غيظاً وغضباً إلى الدرجة التي تجعل ركبته تضرب الواحدة الثانية ألماً وحقداً وحسداً.

فإذا واجه المؤمنون حالة من الهجران أو الكره عليهم أن يسارعوا إلى الإصلاح وإلى حلها.

فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام انه قال: (ان الشيطان يغري بين المؤمنين فإذا فعلوا ذلك قال فُزْتُ، فرحم الله امرءاً ألف بين وليين لنا، يامعشر المؤمنين تألفوا وتعاطفوا).

كما ورد عن معتق - أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام - عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام انه قال:

(لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة واللعن، وربما استحق ذلك كلاهما).

قال: قلتُ هذا الظالم فما بال المظلوم؟

قال ﷺ: (لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته ولا يتغامز له عن كلامه).
أي لا يدعو أخاه إلى إعادة العلاقة معه بصورة طبيعية، ولا يفض طَرْفَهُ عن كلامه.

طبعاً هذا في غير مسألة الظلم أو التعسف أو مصادرة الحقوق وإنما في الأمور الإعتيادية المتعارفة والخلافات الطبيعية ونحن نعلم ان الدنيا دار التراحم والإحتكاك والتدافع ويجري فيها من مثل هذه الأمور.

كما ورد عن الإمام الصادق ﷺ انه قال: سمعت أبي يقول (إذا تنازع اثنان فليرجع المظلوم إلى صاحبه وليقطع الهجران مع صاحبه فإن الله تعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم).

ان في دائرة سوء التفاهم، إذا حصلت شحنة بين اثنين من المؤمنين، فالمظلوم يستطيع ان يكسب ودّ من ظلمه حيث يعتذر من ظالمه ويقول أنت صاحب الحقّ وأنا المخطيء فأرجو ان تسامحني ولنرجع إلى مودتنا ومحبتنا ونقطع الهجران، فإن الله عزّ وجلّ عادل حكيم يأخذ حقّ المظلوم من الظالم ولو بعد حين.

وقالت فاطمة الزهراء (س) في خطبتها التي خطبتها في مسجد أبيها رسول الله ﷺ من جملة ما قالت:

(... فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص والحج تشييداً

للدین والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملة وإمامتنا أماناً للفرقة...^(١).
 وقال زين العابدين لابنه محمد عليه السلام: «افعل الخير إلى كل من طلبه منك، فإن كان أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك، ثم تحول إلى يسارك، واعتذر إليك فاقبل عذره»^(٢). فمن القبيح جداً أن المؤمن إذا أراد أن يعتذر لأخيه المؤمن أن لا يقبل عذره ولا يسامحه، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: (من لم يقبل من متصل عذراً صادقاً كان أو كاذباً لم ينل شفاعتي) وقال أيضاً صلى الله عليه وآله (أقبلوا العذر من كل متصل محقاً كان أو مبطلاً ومن لم يقبل فلا ناله شفاعتي) أي فلا تناله شفاعتي.

وكما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

أى حقداً وغشاً وعداوة، سألوا الله سبحانه أن يزيل ذلك بلطفه، وها هنا احتراز لطيف وهو أنهم أحسنوا الدعاء للمؤمنين ولم يرسلوا القول إرسالاً، والمعنى اعصمنا ربنا من إرادة السوء بالمؤمنين ولا شك أن من أبغض مؤمناً وأراد به السوء لأجل إيمانه فهو كافر وإذا كان لغير ذلك فهو فاسق^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ أَنْهَارٌ﴾^(٥)
 وقال تعالى: ﴿وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ

١- شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء / محمد طاهر آل شبير الخاقاني ص ١٦٦ - ١٧٩.

٢- تحف العقول / الحراني ص ٢٠٤.

٣- الحشر، ١٠.

٤- مجمع البيان - للطبرسي / ج ٩ ص ٣٩٤.

٥- الأعراف، ٤٧.

مُتَقَبِّلِينَ ﴿١﴾

وأصل القُلُول من القَل: وهو دخول الماء في خلل الشجر يقال انغل الماء في اصول الشجر، والقُلُول: الخيانة لأنها تجرى في الملك على خفاء من غير الوجه الذي يحل كالغلل ومنه القِل: الحقد لأنه يجري في النفس كالغلل ومنه الغليل: حرارة العطش والغلة كأنها تجرى في الملك من جهات مختلفة والغلالة لأنها شعار تحت البدن (٢).

ان هذا الدِّين لا يحاول تغيير طبيعة البشر في هذه الأرض ولا تحويلهم خلقاً آخر، ومن ثم يعترف لهم بأنه كان في صدورهم غلٌّ في الدُّنيا، وبأن هذا من طبيعة بشريتهم التي لا يذهب بها الإيمان والإسلام من جذورها، ولكنه يعالجها فقط لتخفّ حدتها و يتسامى بها لتصرف إلى الحب في الله و الكره في الله وهل الإيمان إلّا الحب والبغض؟

ولكنهم في الجنّة وقد وصلت بشريتهم إلى منتهى رُقِيَّها وأدت كذلك دورها في الحياة الدُّنيا - ينزع أصل الإحساس بالغل في صدورهم، ولا تكون إلّا الإخوة الصافية الودود... انها درجة أهل الجنة.. فمن وجدها في نفسه غالبة في هذه الأرض، فليستبشر بأنه من أهلها، ما دام ذلك و هو مؤمن فهذا هو الشرط الذي لا تقوم بغيره الأعمال (٣).

قال القرطبي في تفسيره المسمى إحكام القرآن:

١ - الحجر، ٤٧.

٢ - مجمع البيان - للطبرسي / ج ٢ ص ٨٧٢.

٣ - في ظلال القرآن / سيد قطب / ج ٤ ص ٢١٤٥.

(قال رسول الله ﷺ: الغل على أبواب الجنة كمبارك الإبل قد نزع الله من قلوب المؤمنين)^(١).

كما ورد عن النبي ﷺ: (ان العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام عن الجنة وانه ينظر إلى أزواجه في الجنة يتنعم).
يقال للعبد انه من أهل الجنة وسيدخلها ولكن بعد حين لذنب استخف به ذلك العبد، فلا ينبغي للمؤمن ان ينظر إلى صغر المعصية بل عليه أن ينظر إلى من عصي.

كيف نتعامل مع مرضى القلوب!

ان الإسلام يعطينا ثلاث نقاط في التعامل مع مرضى القلوب وهي:-
(١) نحن نعلم ان صاحب كل معصية مريض القلب، باعتبار ان المعصية تمرض القلب، وكل انحراف عن الطريق مرض فالمنحرف مريض، والمغتتاب مريض، والكذاب مريض، والزاني مريض، والطماع مريض...
ان هذا التشخيص الأولي ينفعنا في تشخيص ومعرفة العلاج، كالطبيب: حيث ان أول خطوة يخطوها هي محاولة معرفة المرض وتشخيصه، فإذا شخّص الداء استطاع ان يشخّص الدواء، وهذا مطلب مهم جداً وضروري للغاية، ولكن ليس دائماً وبالضرورة ان ذلك الداء له دواء، ففي أحيان كثيرة نجد ان الطبيب يشخص الداء ولكن يجد ذلك الداء لادواء له لخطره أو لانتشاره أو قد اكتشفه بعد

فوات الأوان فهو مرض قاتل لا محالة.

(٢) ان هذا المرض الباطني - والذي يطفو على السطح بعد حين - مُعدي،
فمرض المعصية من الأمراض المُعدية.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: (لا ينبغي للمرء المسلم ان يؤاخي
الفاجر فإنه يزيّن له فعله ويحب أن يكون مثله).

والشيطان حاضر من أسمائه الغرور أي الذي يغر صاحبه بالمعاصي قال
تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(١).

أي الشيطان، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال (لا تصاحب الشرير فإن
طبعك يسرق من طبعه شراً وأنت لا تعلم) وعن الإمام الجواد عليه السلام أنه قال: (إياك
ومصاحبة الشرير فإنه كالسيف يحسن منظره ويقبح أثره).

(٣) لا ينبغي التشهير بأصحاب المعاصي ما داموا يرتكبونها بسريّة وتكتم،
فلا يجوز فضحهم أو تسليط الأضواء عليهم، لأن ذلك يدعوهم إلى أن تأخذهم
العزة بالإثم فيزدادوا عناداً وتعنتاً وانحرافاً، ولكل فعل رد فعل يساويه في
المقدار ويعاكسه في الاتجاه كما يقول نيوتن في نظريته الفيزيائية الثالثة.
بل من الأولى لنا أن ننصحهم بشتى الأساليب المدروسة سلفاً بصورة
مباشرة أو غير مباشرة بحسب طبيعة المذنبين وبحسب طبيعة الذنوب وكذلك
حسب طبيعة الظروف المحيطة بهم، والأساليب لا حصر لها ولا عد.

فقد ورد عن عليّ بن الحسين عليه السلام ان آخر ما أوصي به خضر موسى بن عمران عليه السلام في لقائهما الذي تم بينهما أنه قال له: (لا تعيّرن أحداً بذنب)، وكما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

(إذا وقع بينك وبين أخيك هتّة فلا تعيّره بذنب)، إذا حصلت مشكلة بينك وبين أخيك فلا تعيّره بذنب قد أحصيته عليه سلفاً وأعدته ليوم خلافاً معه.

اما الذين يجاهرون بارتكاب المعاصي كيف تتعامل معهم؟

هنا الوضع يختلف تماماً، حيث أصبح الأمر خطيراً يضر بالمجتمع المسلم جميعاً، فيجب الوقوف بوجوههم، وإيقافهم عند حدهم بما أوتي المجتمع من قوة ومن أساليب، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (ما إن تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتّى يوليّ عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم). هنا نحن مأمورون ان نواجههم بوجوه مكفهرة، فقد ورد عن عيسى عليه السلام أنه قال: (تجنبوا إلى الله ببغض أهل المعاصي).

وان من أعظم الواجبات الدينية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ قيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم وشرّ من ذلك، وكيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ قيل: يا رسول الله

ويكون ذلك؟ قال: نعم وشرٌّ من ذلك، وكيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكرُ معروفاً^(١).

وكما ورد عن آل محمد^{عليهم السلام}: ان بالأمر بالمعروف تقام الفرائض وتأمين المذاهب وتحل المكاسب، وتمنع المظالم، وتعمر الأرض وينتصف للمظلوم من الظالم، ولا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر فإذا لم يفعلوا ذلك نزعتم منهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء^(٢).

١ - تحف العقول / الحراني ص ٤١.

٢ - منهاج الصالحين / السيد الخوئي ج ١ ص ٣٥٠.

الفصل الخامس

دفع و مبارزة الشيطان

١- الاستعاذة

٢- ذكر الله سبحانه

٣- تقوية الارادة

٤- جهاد النفس

١ - الاستعاذة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
وتفسير هذا القول وحل الفاظه وشرح معانيه العقلية ان قولنا (اعوذ) مشتق
من العوذ وله معنيان

أحدهما: الالتجاء والاستجارة^(١)

وثانيهما: الالتصاق، يقال أطيّب اللحم اعوذّه، وهو الملتصق منه بالعظم.

فعلى الأوّل معنى: اعوذ بالله: التجي إلى رحمته وعصمته

وعلى الثاني معناه: الصق نفسي بفضل الله ورحمته

واما الشيطان ففيه قولان:

أحدهما^(٢): انه مأخوذ من البعد يقال: شيطان دارك أي بُعد فلا جرم سُمي

كل متمرّد من الجن او الانس او الدواب شيطاناً لبعده عن الرشاد والسداد.

١ - التفسير الكبير - الفخر الرازي ج ١ ص ٦٤ و ٦٥

٢ - مجمع البيان - الطبرسي، ج ١، ص ١٨ .

ذكروا: ان بعض الخلفاء ركب برذوناً. فطفق يتبخر به، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخراً فنزل فقال: ما حملتموني إلا على شيطان.

الثاني^(١): انه مشتق من شاط يشيط: ولما كان كل متمرّد كالباطل في نفسه لكونه مبطلاً لمصالح نفسه، سمّي شيطاناً.

الرجيم: معناه المرجوم، فهو فعيل، بمعنى مفعول، حكى الله عن والد ابراهيم عليه السلام انه قال ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ سورة مريم ١٩ آية ٤٦.

قيل عني به الرجيم بالقول، وحكى تعالى عن قوم نوح عليه السلام أنهم قالوا ﴿...لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْسُوحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ سورة الشعراء ٢٦ آية ١١٦

وفي سورة يس ﴿...لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِوْا لَنَرْجُمَنَّكُمْ...﴾ سورة يس ٣٦ آية ١٨ والوجه الثاني: إن الشيطان إنما وُصف بكونه مرجوماً لانه تعالى أمر الملائكة برمي الشياطين بالشهب الثواقب طرداً لهم من عالم السماوات ثم وصف بذلك كلّ شرير متمرّد، وقد ذهب الفخر الرازي في تفسيره الكبير إلى ذكر هذا الوجه مع الوجه الأوّل وهو أنه مرجوم بالقول^(٢).

واما ما يتعلق بالمقاصد العقلية في هذا المقام من الكلام فالبحث عنه يعتمد على خمسة اركان هي:-

أ- الاستعاذة

ب- المستعاذ به

ج- المستعذ

١- نفس المصدر السابق.

٢- التفسير الكبير - الفخر الرازي ج ١، صفحة ٦٤.

د- المستعاذ منه

هـ- ما يستعاذ لاجله

الركن الأول: الاستعاذة:

الاستعاذة لا تتم إلا بعلم وحال وعمل:

اما العلم: فهو علم العبد بنفسه وبكونه عاجزاً عن جلب المنافع و دفع المضار الدنيوية و الدنيوية، ويكون الله قادراً عليهما لا يقدر أحد سواه على ذلك واذا حصل هذا الاعتقاد في القلب تولد فيه حالة الانكسار والتواضع ويعبر عن تلك الحالة بالتضرع إلى الله والخضوع له. واذا حصل ذلك، حصلت صفة أخرى في القلب وصفة في اللسان فالتى في القلب.

ان يصير العبد ملتجئاً إلى الله، مريداً لأن يصونه عن الآفات، ويخصه بافاضة الخيرات والحسنات.

واما التي في اللسان فهي ان يصير طالباً لذلك بلسانه، معبراً به عما في جنانه وذلك هو الاستعاذة وهي قوله: أعوذ بالله.

إذن العمده هو علم العبد بنفسه وبربه. فما لم يعرف أحد عزّة الربوبية وذلة العبودية لاتصح منه الاستعاذة بالله، والذي يوضح ذلك أن الصادر عن العبد إما العمل وإما العلم وهو في كلا البابين في غاية العجز.

اما العلم في اشد حاجة العبد إلى الاستعاذة بالله في ازالة الشبهات ودفع الاخطاء والوساوس والشكوك ولا يكفي في ذلك اصل الفطرة، ولا استعمال القوانين الميزانية فكم من المحققين والعلماء رأيناهم قد تحيروا واشكوا، واذا

جاز ذلك على البعض جاز على الكل، فما اشد حاجة الإنسان للاستعاذة وبالاستعاذة إلى واهب الحكمة وخالق الانس والجان ولهذا فانه تعالى امر نبيه ﷺ بالاستعاذة بربه في قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَخَضُّونِي^(١).

فهذه الاستعاذه مطلقة غير مقيدة بحالة مخصوصة^(٢).

واما قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٣).

ففي كل حالة ومقام شيطاناً مخصوصاً يجب الاستعاذة منه وكلما كان الإنسان افضل واجل ومقامه أعلى واكمل، كان شيطانه أقوى واغوى واضل، وله في لطائف الحيل وجوه أدق وأخفى وعن طريق الاستقامة أعوج. وعن سنن الاهتداء أميل، وعن رؤية الحق احول، ولما كان مقام قراءة الوحي وسماع الآيات أجل المقامات، وقع الامر بالاستعاذة بالله فيه عن الشيطان المعروف بالبعد عن جناب الاحدية فلهذا صار موصوفاً بصيغة المبالغة في المرجومية فرجيم بصيغة فعيل بمعنى مفعول أي مرجوم.

فلما ثبت انه لانهاية لجهات نقصانات العبد ودرجات فقره وفتوره وقصوره، كما أنه لانهاية لكمال رحمة الله وقدرته ومبالغ عنايته وحكمته، ثبت ان الاستعاذة بالله واجبة في كل الاوقات عقلاً، كما تجب سمعاً، فيجب علينا في اول

١ - سورة المؤمنون، ٩٧.

٢ - تفسير القرآن الكريم - صدر المتألهين - تحقيق محمد جعفر شمس الدين دارالنبأ الكويت

ج ١ صفحة ١٢.

٣ - النحل: ٩٨.

كل قول وعمل ومبدأ كل لفظة ولحظة ان تقول ضميراً او لساناً: اعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

كما أنه ثبت في العلوم العقلية انه ما من موجود في الممكنات إلا وله كمالٌ من جهة وفقر من جهة اوجهات، ولكل منها عشق لما حصل فيه من الكمال، وشوق إلى ما هو فاقد له. ولهذا حكموا بسرّيان العشق والشوق في كل الموجودات. ثم ان الإنسان مختص من بين الموجودات بخاصية هي تطوّره في الاطوار وتبدّله في الاحوال، فما من منزلة او مقام يصل إليه - سواء كان بحسب ميله الجبلة والطبع، او بحسب الطلب والارادة. إلا ويشتاق إلى ما وراءه ولا يقنع به سواء كان من اللذات الدنيوية، كالجاء والمال، او من السعادات الاخروية، كالعلم والحال، وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ: (منهومان لا يشبعان: منهوم العلم، ومنهوم المال) وفي الجامع الصغير^(١) (طالب علم وطالب مال) وجاء في الخصال^(٢) عن الصادق عليه السلام (... منهوم علم ومنهوم مال) والحاصل ان الإنسان كلما كان اكثر فوزاً بالمقاصد التي يشتهاها ويطلبها كان اعظم حرصاً واشدّ رغبةً في تحصيل الزائد عليها، ولما لم يكف لمراتب الكلمات نهاية، فكذلك لانهاية لدرجات الحرص والشوق. وهما لا يخلوان من الم وزجر وكل ما هو في عالم الإمكان فانه لا يخلو من نقص وقصور وآفة وفتور، وانما يتحقق الكمال الاتم والغاية القصوى والجلال الارفع والنور الأعظم في الحضرة الالهية التي هي منبع السرور ومعدن الخير والنور، فما دام الإنسان بعيداً عن جناب القدس، غير راجع

١- الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي: ج ٢ ص ١٨٤.

٢- الخصال: الشيخ الصدوق ج ١ ص ٥٣ باب الاثنين.

إلى ربّه فهو بعدُ في الم الحرمان، محترقاً بنار الفرقة والفقدان ممنوّاً بمرض الحرص وآفة الهجران، فثبت ان هذا الداء عظيم لاقدرة للعبد على علاجه إلّا برجوعه إلى خالق كل شئ، ومبدع كل حي، ومفيض كل وجود، وكمال كل موجود، بل هو مطلوب كل طالب، وإليه أوبة كل آئب، فمن أراد أن يسكن عن هذا الاضطراب ويتخلص عن الم الشوق إلى بحر الحقيقة في هذا المنزل الذي يتمثل فيه السراب ماء، والداء دواء، والشبح أصلاً، والفرقة وصلاً، فيجب عليه أن يرجع فيه إلى الربّ الرحيم، ويطمئن قلبه بذكره، ويسكن إليه ويعوذ به ويلوذ إلى جنابه فيقول: اعوذُ بالله من الشيطان الرجيم، لأن الشيطان مبدأ كل بُعد ونقصان، ومنشأ كل شرٍّ وحرمان وخسران.

ان الله تعالى يقول: وعزتي وجلالي لاقطعنَّ أمل كل مؤمل غيري باليأس، ولألبسنه ثوب المذلّة عند الناس ولأجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلتي، ولاجعلنه متفكراً حيران، يؤمل غيري في الشدائد، و الشدائد بيدي، وانا الحي القيوم. ويرجو غيري ويطرق بالفكر ابواب غيري ويبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبأبي مفتوح لمن دعاني.^(١)

الركن الثاني: في المستعاذ به

هذا مما ورد في الكتاب والحديث على وجهين:

الأول: أن يقال: اعوذُ بالله

١ - اصول الكافي ٢، الكليني كتاب الايمان والكفر باب التفويض إلى الله تصحيح وتعليق الشيخ محمد جعفر شمس الدين.

الثاني: أن يقال: اعوذ بكلمات الله والمراد بكلمة الله هي مفاد قوله ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

فقوله وكلمته ليستا من جنس الاصوات والحروف، كما ان ذاته وصفاته ليستا من جنس الاجسام والكيفيات بل وليستا من جنس الجواهر والاعراض. بل قوله وكلامه وامره وجود صرف فكلماته هي موجودات مقدسة روحانية أمرية، هي وسائط بين الله وبين الاكوان الخلقية، وبها نفاذ علمه وقدمته، وسريان مشيئته وأرادته في الكائنات بحيث يستحيل ان يعرض له مانع او عائق.

ولاشك أنه لا يحسن الاستعاذة بالله إلا لكونه حكيماً متقناً في الافعال، نافذ المشيئة قاهراً في الاقوال، وانما وقعت الاستعاذة بكلمات الله التي هي من عالم الامر والنور من الشرور، لانها بريئة من كل شر وقصور، بخلاف ما في عالم الخلق، فإن الاجسام وما يتعلق بها ممنوعة بالآفات والشرور فوجب الاستعاذة من شرِّ ما خلق بما في عالم الامر فقوله ﷻ اعوذ بكلمات الله التامات كلها من شرِّ ما خلق. استعانة من الارواح البشرية بالارواح العلوية المقدسة في دفع شرور الارواح الخبيثة الظلمانية الكدرة^(٢).

والدليل على ان المراد بكلمات الله هي الموجودات العقلية المحضة الالهية انها قد وصفت بالتامات، فإن الموجود اما ناقص، او مستكف، او تام، او فوق التمام، فالاول هو كلاجسام وما يحلّها، والمستكفي كالنفوس الفلكية ونفوس الانبياء ﷺ ماداموا في هذا العالم، حيث إنها لم تفتقر في كمالها إلى سبب خارج

١- النحل: ٤٠.

٢- تفسير القرآن الكريم - صدر المتألهين ج ١، ص ١٦.

عن مقوّم ذاتها. والتام هو كالعقول المفارقة، حيث لم يكن لها كمال مرتقب وتام منتظر، وانما تمام كل منها معه وغايته لا يفارقه وهو مُبدعها ومنشئها والمتكلم بها، فالله جلّت وعظمت كلمته فوق التمام وغاية الغاية، اذ به تمام كل شئ، وحياة كل حيّ، ونور كل ذي ضوء وفيّ، ودواء كل مرض.

إذن الجسمانيات جواهرها واعراضها وطبائعها وآثارها لا يكون حدوثها الا تدريجياً شيئاً فشيئاً، كالحركة التي هي الخروج من القوة إلى الفعل يسيراً يسيراً، فأما الابداعيات فانما يحصل تكوّنها و خروجها إلى الفعل دفعة واحدة قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^(١)

ومتى كان الامر كذلك كان حدوثها عن الله شبيهاً بحدوث الحرف الذي لا يوجد إلا دفعة، أي في الآن الذي لا ينقسم فلهذه المشابهة كان تمامها عين بدئها، فسميت نفاذ قدرته تعالى الحاصلة بها بالكلمة، ووصفت بالتامة.

كما ان الكلام ليس أمراً خارجاً عن ذات المتكلم بما هو متكلم، وإن أمكن اعتباره غيره، فكذا كلمات الله، وهي جملة عالم الامر فليست من حيث هي كلمات الله إلا سراق عظمته وكبريائه، فليست هي من جملة العالم وما سوى الله اذ بهذا الاعتبار لا يعتبر بها الدثور والحدثان، ولا التعدد والامكان فلا قديم إلا الله وحضرته العلمية، فيحسن الاستعاذة بها.

وأما باعتبار ما يترتب عليها ويظهر منها من الآثار المختلفة والاجرام والنفوس، والصور النوعية، فهي امور متكررة حسب تكثر الانواع الطبيعية التي

للفلكيات والعنصريات. وهي بهذا الاعتبار من جملة عالم الجسمانيات الحادثة المتغيرة، وتكون حادثة متغيرة حسب حدوثها وتغيرها.

فإذا حصل هذا، فقد انكشف أن الاستعاذة بكلمات الله إنما تحسن وتليق، لأن الاستعاذة بها من حيث هي كلمات الله وأوامره استعاذه به تعالى لا بغيره وبما سواه، وأما الاستعاذة بها من حيث هي موجودات ممكنة بذواتها، موجودة بوجود جوهرية إمكاني افتقاري، فلا تحسن ولا تليق لأنها حينئذ تكون الاستعانة بها بغير الحق، ومن استعان بغير الله ذل^(١).

ان قول العبد (اعوذ بكلمات الله التامات) لائق به وملئم له إذا كان بعد لم يصل إلى صفو العبودية، ومقام الرجوع التام، أما إذا تغلغل في بحر التوحيد، وتوغل في بحر الحقائق وصار بحيث لا يرى في الوجود إلا الله الواحد، لم يستعذ إلا بالله، ولم يلتجئ إلا إليه ولم يعول إلا عليه.

أما الأنبياء والأولياء (عليهم الصلاة والسلام) أعلى وأجل من هذا المقام وإنما تجري منهم الاستعاذة والدعاء والمناجاة وما يجري مجراه أما تعليماً للأمة، وأما لنزولهم إلى مباشرة الناس ماداموا في الحياة الدنيا، لأن من كان في هذه المرتبة كانت قبلته في دعائه واستعاذته طلب راحة نفسه.

الركن الثالث: المستعيز

ان القرآن الكريم والاخبار يدلان على ان كل إنسان ملزم عقلاً ان يستعيز

بالله (اعوذ بالله) أمر منه لعباده أن يقولوا ذلك فيدل على أنه يجب عليهم ذلك ولأنه تعالى أمر نبيينا ﷺ بالاستعاذة مرة بعد أخرى ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَخَضُّوْنَ^(١).

و قال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾^(٢).

و قال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(٣).

و قال ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤)

و قال ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٥)

فهذه الآيات تدل على أن النبي ﷺ مأمور بالاستعاذة بالله سبحانه والأمر بها له أمر بها للأمة إذ لا خصوصية للاستعاذة له ﷺ دون الأمة ولأنه تعالى حكى عن نوح عليه السلام انه قال: ﴿أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾^(٦)

وحكى عن يوسف عليه السلام انه قال ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾^(٧)

وقوله لما قيل له خذ أحدنا مكانه قال ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَعَنَا عَنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ﴾^(٨)

وحكى عن موسى عليه السلام انه لما أمر قومه بذبح البقرة و ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا

١ - سورة المؤمنون، ٩٧.

٢ - سورة الفلق، ١.

٣ - سورة الناس، ١.

٤ - سورة الأعراف، ٢٠٠.

٥ - فصلت، ٣٦.

٦ - هود، ٤٧.

٧ - يوسف، ٢٣.

٨ - يوسف، ٧٩.

قال أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ^(١)، وانه لما خَوْفه القوم بالقتل قال: «وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ»^(٢).

وقال في آية أخرى «إِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ يَوْمِ الْحِسَابِ»^(٣) وحكى عن أم مريم عليها السلام امرأة عمران قالت: «وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^(٤).

وان مريم لما رأت جبرئيل عليه السلام في صورة بشر يقصدها في الخلوة «قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا»^(٥)، جميع ذلك على وجه المدح والاستحسان هذه الآيات دالة على ان الأنبياء عليهم السلام والأولياء عليهم السلام كانوا أبدأ في الاستعاذة بالله من شر شياطين الإنس والجن.

واما الاخبار فهي كثيرة جداً واطهر من ان تُخفي او تُحصي^(٦).

ويقول صاحب المجمع ما نصّه (امر الله بالاستعاذة من الشيطان إذ لا يكاد يخلو من وسوسته الإنسان فقال...) (٧).

ولا يفوتني ان اذكر هنا ان حكم الاستعاذة الشرعي هو الندب والأستحباب.

١- البقرة، ٦٧.

٢- الدخان، ٢٠.

٣- غافر، ٢٧.

٤- سورة آل عمران، ٣٦.

٥- مريم، ١٨.

٦- تفسير القرآن الكريم - صدر المتألهين ج ١، ص ٢١.

٧- مجمع البيان - الطبرسي ج ١ ص ٨٩.

الركن الرابع: المستعاذ منه

المستعاذ منه من الامور الواقعة تحت القضاء في عالم الخلق والتقدير من ذوات الشرور اللازمة او العارضة، سواء كانت من الاشياء الضارة الداخلة في باطن الإنسان وإهابه، كقواه المدركة والمحركة التي رئيسها القوة الوهمية المطيعة لاغواء الشيطان ووساوسها الباطلة المذعنه له في قضايه الكاذبه الاعتقادية وغيرها المفترة بما يورده عليها من باب الوعد بالشر والايعاد بالخير والامر بالمنكرات والنهي عن المعروفات وغير ذلك من الأمانى والآمال.

او كانت من الاشياء الضارة الخارجة عنه، سواء كانت إنسانية كالاعداء والخصوم الدينية و الدنيوية، او حيوانية كالضواري والوحوش والحشرات، او نباتية كالسموم او جمادية كالاسلحة او غازية وغيرها وهذه الموجودات كلها مما تتضمن خيرات كثيرة وتتضمن شروراً في بعض الاوقات، فلهذا ينبغي على الإنسان أن يستعيذ منها جميعاً دلَّ عليه ما روي عن رسول الله ﷺ من انه كان يقول هذه الكلمات التي علَّمه جبريل لما أُسرى به ليلة المعراج وهي قوله:

«اعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التي لا يجاوزهنَّ برُّ ولا فاجر من شرِّ ما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، وشرِّ ما ينزل من الارض وما يخرج منها، وشرِّ فتن الليل والنهار ومن شرِّ طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير».

ومما يدل على ان الإنسان ان يستعيذ بالله من جميع هذه الشرور الواقعة في عالم الخلق، انه قد أمر الله نبيه ﷺ في سورتي المعوذتين بالاستعاذة من كلها، و أشار إلى مجامع أقسام هذه الشرور مجملاً ومبيناً فقال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ أَلْفَلَقِ﴾...

إلى آخر المعوذتين أي فائق ظلمة العدم بنور الوجود هو الله فاستعذ به، وذلك من لوازم خيريته المطلقة الصادرة منه بالقصد الأول.

ولول الموجودات الصادرة منه هو عالم أمره وقضائه وليس فيه شر أصلاً، لأن عالم الامر خير كله، فأمر نبيه بالاستعاذة من موجودات عالم الاجسام. قوله تعالى ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي من شرٍّ من يحملُ شراً من الانس والجن والحيوانات وسائر ما له شرٌّ من الخلق فأن اشتمال مطلق ما خلق على الشر لا يستلزم الاستغراق^(١).

ثم امر نبيه بالاستعاذة منه وقال ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ والغاسق هو الليل اذا اظلم وهو معنى وقب، أي من شرِّ الليل إذا دخل بظلامه، او من شرِّ ما يحدث بالليل من الشرِّ والمكروه^(٢).

والمراد به الشرور الداخلة في بدن الإنسان من الفواسق الجسمانية والقوى الظلمانية فإن النفس الانسانية النطقية خلقت في جوهرها نقيّة صافية قابله لانوار الحقائق وصورها الحقّة، منزّهة عن الكدورات الماديّة، وتلك الطاقة والانوار لاتزول عنها إلاّ بهيآت ترتسم في جوهرها من مقارنة هذه القوى الداخلة في مادة بدنّها، فتكون تلك الظلمة متجددة عليها من هذه الفواسق الظلمانية.

وهذا النزاع نشأ اولاً بين آدم عليه السلام والشيطان حيث ان الشيطان لو لم يغلب في فطرته جهة الوهم على جهة العقل ولم يتجوهر بملكة الجهل لم يصير شيطاناً وابليساً - وهو الداء العضال - امرالله بالاستعاذة منه.

١ - الميزان - الطباطبائي ج ٢٠ صفحة ٣٩٢

٢ - مجمع البيان - الطبرسي ج ١٠ صفحة ٨٦٦

اما في قوله تعالى ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ فإنه أراد بالوسواس مايوقع الوسوسة كالقوة المتخيلة في الداخل والشخص الموسوس في الخارج فانهما مستعملتان للنفس الحيوانية ويحركانهما حركة على خلاف ما يقتضيها توجه النفس الناطقة المنازعة المتوجهة إلى المبادئ العالية.

والموسوس الخارجى إنما يصل أثر وسوسته إلى النفس بواسطة الموسوس الداخلى، أي المتخيلة.

والمراد من (الصدر) مسكن النفس الحيوانية وكرسيها، كما أن القلب عرش النفس الناطقة، و تأثير الوسوسة لا يصل إلى القلب، بل إلى الصدر، ولذا قال ﴿الَّذِي يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ولم يقل في قلوب الناس.

فأن اصحاب القلوب لا تؤثر فيهم الوسوسة ثم قال ﴿مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ تنبيهاً على القسمين و اشارة إلى القبيلتين^(١).

ايها المستعيز بنور معرفة الله من شرور عالم الاكوان، ان هذه الشرور متفاوتة المراتب في البشرية، وكلما كانت شريته اعظم، تجب الاستعاذة منه اكثر، ومعلوم ان شرور الآخرة أشد من شرور الدنيا بل لانسبة بينهما كما لا نسبة بين خيرات الآخرة وخيرات الدنيا، لأن البقاء الاخرى غير متناه، وخيراتها ولذاتها عقلية او مثالية باطنية، وعالم العقل عظيم الفسحة وكذا طبقات الجنان ولذاتها إلى لذات المقربين والابرار.

ولا نسبة لما يناله أهل الجبروت والملكوت من الملائكة المقربين،

والانبياء المرسلين، والاولياء الكاملين ﷺ ومن يتلوهم من السعداء الصالحين، من ملاحظة جمال الله وجلاله، وحضرة رب العالمين إلى ما يناله أهل الحواس الخمس من البهائم والسباع والدواب والانعام ومن يحذو حذوها، من لذات البطن والفرج والرياسة في هذه الحياة الفانية المشوية بالكدورات الممزوجة بالآفات، فالاستعاذة بالله مما يضرُّ في الآخرة، ويضاد للسعادة الآجلة يجب أن يكون أشدَّ من الاستعاذة به مما يضرُّ في الدنيا ويضادَّ للسعادة العاجلة، على النسبة التي بين خيرات النشأتين وشروها.

ثم إن أعظم تلك الامور تأثيراً في الإضرار بجوهر النفس الانسانية بحسب النشأة الاخرية، هي الاشياء الداخلة في إهابها، الجارية مجرى الدم في عروقها وهي القوى الحيوانية المدركة والمحركة المشار اليهما في قوله: بخيلك ورجلك لأن جميعها لم يرتض بالرياضات الدينية ولم يتأدب بالآداب العقلية، كانت من اعداء الله واولياء الطاغوت وجنود الشيطان، لانها واقعة في عالم البعد ومهوى الشياطين، وهي مفضورة مطبوعة على أفعال وأعمال مهوية مبعدة للإنسان عن دار الكرامة ومحل القرب من الله و منبع الخير والنور، فلا جرم تجيب دعوة الشيطان الذي هو رئيس الظلمة وولي أهل الظلمات فيجب على كل أحد ان يستعيز أشدَّ الاستعاذة من شرور هذه الامور الداخلة في هيكل الإنسان، وهي التي تكون آله له و معينة إتياء في سفره إلى الحق من وجه، ووبالاً عليه من وجه آخر، فمن وجهٍ كلها له ومن وجهٍ كلها عليه. كذلك حكم الشيطان، ولاجل ان مبدأ شريته هذه القوى النفسانية والحيوانية و اصلها هو الشيطان، وهي من توابعه وجنوده عند تعصّيها عن طاعة العقل المنور بنور الشرع، فتكون شريرة مثله،

وانزل منه، فوقعت الاستعاذة تارة منه كما في قوله: (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وتارة من هذه القوى كما في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ^(١).

ويقرب من هذا قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ^(٢).

أي وقل يارب اعتصم بك من نزغات الشياطين و وساوسهم عن ابن عباس والحسن والمعنى من دعائهم إلى الباطن والعصيان ومن شرورهم في كل شيء يخاف فيه من ذلك^(٣).

الركن الخامس: فيما يستعاذ لاجله:

وهي المطالب التي لاجلها يسعيذ الإنسان بالله وكلماته مما هو شر وبال له اوهي (العلّة الغائيّة)، كما إن الإنسان مما فطره الله بحيث يكون فيه استعداد كل صفة وحال، وأهليّة كل فضيلة وكمال، وما من شرف وفضيلة وكمال إلّا وفي الإنسان قوة ذلك وأصله وفيه بذره وذلك الاصل والمبدأ في الإنسان هو عقله الذي هو مادة التحقق بحقائق الاشياء كلها، وذلك العقل هو خياله الذي هو طراز عالم الحس و صورة الصور في عالم الأجسام ومادة المواد في عالم العقل والامر.

١ - سورة الفلق .

٢ - سورة المؤمنون، ٩٧ .

٣ - مجمع البيان - الطبرسي ج ٧ صفحة ١٨٦

كما ان فيه بذره في استعداده في اول أمره ومبدأ تكوّنه.
وذلك لسرّ الهي وفطرة ربّانية مودعة في ماهيته ومبدعة في فطرته الاصلية،
وامّا إذا مرّت عليه أحوال ودهور ومضت عليه سنون وشهور، فإما ان يخرج هذه
الكمالات او كلّ الكلمات من القوة إلى الفعل.

إذ له قوّة على كل شيء وقوة أيضاً على مقابله وضدّه هذا مادام في هذا
الكون الدنيوي. وأما إذا خرج من الدنيا فقد بطلت قوّته وزال استعداده.

ان مطالب الإنسان غير متناهية، ومقابلاتها غير متناهية، يجب عليه ان
يستعيز لأجل كل مطلوب مما يعوقه عنه ويمنعه سواء كان وجودياً او عديمياً.

فلا خير من الخيرات إلّا وهو يحتاج إلى تحصيله، ولا شرّ من الشرور إلّا
وهو يحتاج إلى دفعه عنه وإبطاله، وذلك في أوائل نشأته ومبادئ تكوينه.

وأما عند رسوخ بعض الصفات والأخلاق وتأكد نوع من الملكات
والقدرات فليس كذلك، ولهذا لا ينفع التعويد والتحذير لبعض الناس، كما لا ينجع
لهم الدعوة والتأديب والارشاد والتهذيب لبطان قوتهم وزوال استعدادهم لجانب
الفضيلة والكمال، لتكرار اعمال قبيحة صدرت منهم تعدّ لنفوسهم هيئة مضادة لها
من باب الرذيلة والوبال، كما قال تعالى: مخاطباً لمن هو مبعوث لهداية الخلق
وتهذيبهم وارشادهم ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (١)

وقوله ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ (٢).

وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا

يُؤْمِنُونَ»^(١).

وقوله تعالى ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٢)، وغير ذلك من الآيات الدالة على بطلان الاستعدادات ومسح البواطن^(٣).

إن الإنسان بحسب مبادئ خلقته مختص من بين سائر الموجودات كما يذهب النوري رحمه الله فيقول: إن الكَمَل من افراد الإنسان وإن كانوا لا يحتاجون إلى الاستعاذة من جهة مقاماتهم الالهية ولكنهم ماداموا في الدنيا يحتاجون في مقاماتهم البشرية. اللهم إلا أن يكون تعلّقهم بالأبدان الدنيوية اختيارياً لا افتقارياً.

فالإنسان مُختَص من بين المخلوقات في احتياجه إلى تحصيل جميع الخيرات والاستعاذة من جميع الشرور، وأمّا غيره فليس كذلك. إذن لكل من سكان عالم الخلق والامر مقام معلوم، وليس لأحد منها خاصية استعداد الترقى أي كل كمال، والتطور بكل طور وحال إلا بعض افراد البشر فقوله:

اعوذ بالله ينبغي أن يكون متناولاً لدفع جميع الشرور والآفات الروحانية والجسمانية وكلها امور غير متناهية.

إن الشرور المعقابلة للخيرات، اما ان تكون من الاعتقادات الحاصلة في النفوس، او من باب الاعمال الصادرة من قوى النفوس والأبدان، او الانفعالات

١ - البقرة، ٦.

٢ - الزمر، ٧١.

٣ - تفسير القرآن الكريم - صدر المتألهين ج ١ ص ٢٨

الواردة على الإنسان من خارج، فهي ثلاثة أقسام: -

اما القسم الأول: فيدخل فيه جميع العقائد الباطلة، وهي غير متناهية لأن المعلومات غير متناهية، كل منها يمكن أن يعتقد اعتقاداً حقاً صحيحاً، ويمكن أن يعتقد اعتقاداً باطلاً خطأ ويدخل في جميع الآراء والمذاهب الباطلة لفرق الضلال كلها في العالم، ومنها اثنان وسبعون في هذه الأمة وما سواها خارج عنها فقوله (اعوذ بالله) يتناول الاستعاذة من كل واحد منها.

واما القسم الثاني: المتعلق بالاعمال النفسية والبدنية فمنها ما يضر في الآخرة، ومنها ما يضر في الدنيا.

اما الأول فكل ما نهى الله عنه بحسب نص الكتاب والسنة والاجماع، وضرب من القياس أي (قياس منصوص العلة)
ويحسب ما يستنبط من هذه الاصول بالاجتهاد وهي خارجة عن الحصر والضبط.

واما الثاني: فهو جميع الالام والاسقام والآفات والمتاعب والمشاق مما هي خارجة عن العذر.

كما يدل عليه الاحاطة بمسائل الطب وغيرها ويظهر منها أن في كل واحد من الاعضاء، بل في كل جزء صغير منها، انواعاً من الآلام والاسقام والالوجاع.

واما القسم الثالث: فجميع المكروهات الواصلة إليه من الحرق والغرق والفقر والقتل والنهب والشتيم، وآثار الجور والظلم والبهتان والافتراء عليه وشهادة الزور في حقه والسرقة والاتلاف والايلام والعداوة والبغضاء، وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى فقوله (اعوذ بالله) يجب ان يتناولها كلها، ويجب على كل

عاقِل أن يستعِذ منها، وإذا أراد أن يقول أعوذ بالله يستحضر هذه الأقسام من الأجناس الثلاثة وأنواعها، وأنواع أنواعها وأعدادها التي لا حدَّ لها ولا عدَّ في خياله، ثم يعرف أن قدرة جميع الخلائق غير وافية بدفع شرور هذه الأقسام، فحينئذٍ يلتجئ إلى العليم القدير الذي قدرته شاملة لجميع المقدورات، وعلمه محيط بها فيقول: أعوذ بالله من شرِّ ما خلق ومن شرِّ ما علمتُ وما لم أعلم.

٢- ذكر الله

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(١)

ورد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال من عجز عن الليل ان يكابده وجبن عن العدو ان يجاهده و بخل بالمال ان ينفقه فليكثر ذكر الله عز وجل، ثم اختلف في معنى الذكر الكثير، فقيل هو ان لا ينساه بدأ عن مجاهد وقيل ان يذكره سبحانه بصفاته العلا و اسمائه الحسنی و ينزهه عما لا يليق به و قيل ان يقول سبحان الله والحمد لله و لا اله الا الله و الله اكبر على كل حال عن مقاتل، وقد ورد عن أئمتنا عليهم السلام انهم قالوا من قالها ثلاثين مرة فقد ذكر الله ذكراً كثيراً^(٢).

فالذكر الكثير هو ان يرقب الله في كل حركة وسكون و قول و سكوت و فعل و سكون لانها جميعاً تخضع إلى حكم شرعي اما أن يكون واجباً او حراماً او مندوباً او مكروهاً او مباحاً و ثم في مكان آخر قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ أَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(٣)

الذكر ربما يقابل الغفلة كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾^(٤).

او ربما يقابل النسيان وهو زوال صورة العلم عن خزانة الذهن فالذكر

١- الأحزاب، ٤١.

٢- مجمع البيان - الطبرسي ج ٨ ص ٥٦٨-٥٦٧

٣- البقرة، ١٥٢.

٤- الكهف، ٢٨.

خلاف النسيان و منه قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ ولذلك ربما أطلق كالنسيان في موارد تتحقق فيها آثارهما وإن لم تتحقق أنفسهما فانك لم تنصر صديقك، وانت تعلم حاجته إلى نصرك فقد نسيت، والحال انك تذكره وكذلك الذكر^(١).

والظاهر ان اطلاق الذكر على الذكر اللفظي من هذا القبيل فإن التكلم عن الشيء من آثار ذكره قلباً، قال تعالى: ﴿سَاتِلُوا عَلَيْكُمْ مِّنْهُ ذِكْرًا﴾^(٢) ونظائره كثيرة، ولو كان الذكر اللفظي أيضاً ذكراً حقيقة فهو من مراتب الذكر لانه مقصور عليه ومنحصر فيه، وبالجمله الذكر له مراتب كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٣)، وقال: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِّنَ الْقَوْلِ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾^(٥) فالشدة يتصف به المعنى دون اللفظ وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾^(٦).

فالذكر القلبي ذو رتب في نفسه، حيث إذا تنزلت من مرتبة إلى مرتبة دونها وهو النسيان، فاذا ذكر ربك وارجو بذلك ما هو أقرب طريقاً واعلى منزلة فينتج ان الذكر القلبي ذو مراتب.

١ - الميزان - الطباطبائي ج ١ ص ٣٣٩

٢ - الكهف، ٨٣.

٣ - الرعد، ٢٨.

٤ - الأعراف، ٢٠٥.

٥ - البقرة، ٢٠٠.

٦ - الكهف، ٢٤.

ولقد تكاثرت الاخبار في فضل الذكر منها في عدة الداعي قال: ان رسول الله ﷺ قد خرج على اصحابه فقال: ارتعوا في رياض الجنة، قالوا: يارسول الله و ما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر اغدوا وروحوا واذكروا، ومن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله تعالى ينزل العبد حيث أنزل العبد الله من نفسه، واعلموا: أن خير اعمالكم عند مليكمم وأزكاها وأرفعها في درجاتكم، وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله تعالى، فانه تعالى اخبر عن نفسه فقال: انا جليس من ذكرني، وقال تعالى: فأذكروني أذكركم بنعمتي، اذكروني بالطاعة والعبادة اذكركم بالنعم والاحسان والراحة والرضوان.

وعن الصادق عليه السلام قال: ان الله تبارك وتعالى يقول: من شغل بذكرى عن مسألتي، اعطيه افضل ما اعطي من سألتني.

وفي المعاني عن الحسين البرّاز قال: قال: لي ابو عبد الله عليه السلام ألا أحدثك بأشد ما فرض الله على خلقه؟ قلت: بلى قال إنصاف الناس من نفسك، ومواساتك لاختيك وذكر الله في كل موطن، اما اني لا أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله اكبر وان كان هذا من ذاك. ولكن ذكر الله في كل موطن إذا هجمت على طاعته او معصيته.

وفي عدة الداعي عن النبي ﷺ: قال قال سبحانه، إذا علمت ان الغالب على عبدي الاشتغال بي، نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي فإذا كان عبدي كذلك واراد ان يسهو حلتُ بينه وبين أن يسهو، اولئك اوليائي حقاً، اولئك الابطال حقاً، اولئك الذين إذا اردت أن اهلك أهل الارض عقوبة زويتها عنهم من اجل اولئك الابطال.

وفي المحاسن عن الصادق عليه السلام قال: قال الله تعالى: ابن آدم اذكرني في نفسك اذكرك في نفسي، ابن آدم اذكرني في خلاء اذكرك في خلاء، اذكرني في ملائكة اذكرك في ملائكة، وقال: ما من عبد يذكر الله في ملائكة الناس إلا ذكره الله في ملائكة الملائكة.

وقد روي بهذا المعنى الكثير في كتب الفريقين العامة والخاصة.

وفي الدر المنثور اخرج الطبراني وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: من أعطى اربعاً أعطى اربعاً، وتفسير ذلك في كتاب الله، من أعطى الذكر ذكره الله، لأن الله يقول: اذكروني اذكركم، ومن أعطى الدعاء أعطى الاجابة، لأن الله يقول: أدعوني استجب لكم، ومن أعطى الشكر أعطى الزيادة، لأن الله يقول، لئن شكرتم لازيدنكم، ومن اعطى الاستغفار اعطى المغفرة لأن الله يقول: «أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً».

وفي الدر المنثور أيضاً أخرج سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في شعب الايمان عن خالد بن أبي عمران، قال: رسول الله، من اطاع الله فقد ذكر الله، وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن، ومن عصي الله فقد نسي الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن.

في هذا الحديث اشارة إلى ان المعصية لا تتحقق من العبد إلا بالغلظة والنسيان فان الإنسان لو ذكر ما حقيقة معصيته ومالها من الاثر لم يقدم على معصيته.

وفي الدر المنثور، عن أبي هند الداري، عن النبي ﷺ قال الله: اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتي ومن ذكرني - وهو مطيع - فحق علي ان اذكره بمغفرتي

ومن ذكرني - وهو عاص - فحق عليّ ان اذكره بمقت^(١).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٢)

الاطمئنان هو الاستقرار و السكون والايمان بالله سبحانه يلزم اطمئنان القلب، ولا ينافي ما في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٣)، فإن الوجل المذكور فيه حالة قلبية متقدمة على الاطمئنان المذكور المبحوث عنها كما يرشد إليه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مِّثْقَانِي تَفْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾^(٤)، ذلك ان النعمة هي النازلة منه سبحانه و النعمة هي امساك منه عن افاضة النعمة.

وقال الطبرسي في مجمع البيان: وقد وصف الله المؤمن ههنا بأنه يطمئن قلبه إلى ذكره ووصفه في موضع آخر بأنه إذا ذكر الله وجل قلبه لأن المراد بالاول انه يذكر ثوابه وإنعامه والآء التي لا تحصى واياديه التي لا تجازى فيسكن إليه، وبالثاني يذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويوجل قلبه.

وقوله ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٥) فيه تنبيه للناس أن يتوجهوا إليه ويريحوا قلوبهم بذكره فانه لا هم للإنسان في حياته إلا الفوز بالسعادة والنعمة ولا

١ - الميزان - الطباطبائي ج ١، ص ٣٣٩ - ٣٤٢.

٢ - الرعد، ٢٨.

٣ - الأنفال، ٢.

٤ - الزمر، ٢٣.

٥ - الرعد، ٢٨.

خوف له الا من ان تغتاله الشقوة والنقمة والله سبحانه هو السبب الوحيد الذي بيده زمام الخير ويرجع إليه الامر كله، وهو القاهر فوق عباده والفعال لما يريد وهو ولي عباده المؤمنين.

فكل قلب يطمئن بذكر الله ويسكن به مافيه من القلق والاضطراب، نعم انما ذلك في القلب الذي يستحق ان يسمى قلباً وهو القلب الباقي على بصيرته ورشده، واما المنحرف عن اصله الذي لا يبصر ولا يفقه فهو مصروف عن الذكر محروم عن الطمأنينة قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١)، وقال: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾^(٢) وقال: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٣).

وفي لفظ الآية حصر حيث قدم متعلق الفعل اعني قوله (بذكر الله) عليه فيفيد ان القلوب لا تطمئن بشيء غير ذكر الله سبحانه^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى^(٥).

فمن اعرض عن ذكر الله وعن القرآن وعن الدلائل التي أنزلها الله سبحانه لعباده وصدف عنها ولم ينظر فيها فإن له عيشاً ضيقاً وهو ان يقتّر عليه في رزقه

١- الحج، ٤٦.

٢- الأعراف، ١٧٩.

٣- التوبة، ٦٧.

٤- الميزان - الطباطبائي ج ١١ ص ٣٥٥-٣٥٦.

٥- طه، ١٢٤-١٢٦.

فان وسّع عليه فانه يضيق عليه المعيشه بان يمسكه ولا ينفقه، وان انفقه فإن
الحرص على الجمع وزيادة الطلب يضيق المعيشة عليه، وقيل عذاب القبر وقيل
طعام الضريع والزقوم في جهنم وقيل الحرام في الدنيا وقيل عيشاً ضيقاً في الدنيا
و سائر ما يشوبها ويكدرها.

ثم يحشر اعمى البصر و مكفوف لا يرى شيئاً او ثم يحشر أعمى عن
الحجة، فلا حجة له يهتدي اليها ولا مانع منه او يخرج من قبره بصيراً فيعمى في
حشره، فاعماه الله عن طريق الحق وهنا النسيان بمعنى الترك فكما اتتك آياتنا
فتركناها ولم تهتم بها في الحياة الدنيا فانك متروك هنا ولا يُسمع لك صوت لتكون
فضيحة، كنت اعمى القلب فتركت آياتي ولم تنظر فيها، وكما تركت اوامرنا
فجعلتها كالشيء المنسي تترك اليوم في العذاب كالشيء المنسي^(١)

٣- تقوية الارادة

ان تقوية الارادة، وعلو الهمة، وصدق النية، والاخلاص في القصد، والاصرار على الحق، وقصد السبيل كلها ملاكها واحد تعتمد العقيدة السليمة الصالحة، فإن قصور النفس عن طلب معالي الامور وقناعتها بآدانيها هو من نتائج ضعف النفس وخدرها وصغرها.

اما قوة الارادة وعلو الهمة فعلي العكس حيث يعتمد على كمال النفس في طلب المعالي وقناعتها بالاعلى دون قناعتها بالادون وهذا من نتاج قوة النفس، ولا يمكن للنفس ان تكون قوية دون العقيدة الصحيحة السليمة الواضحة التي تركز اليها الذات وتطمئن لها النفوس.

وهذا مما يؤدّي إلى السعي في تحصيل السعادة والكمال وطلب معالي الامور من دون ملاحظة منافع الدنيا ومضارها. حتى لا يعتريه السرور بالوجدان ولا الحزن بالفقدان بل لا يبالي في طريق الطلب بالموت والقتل وشتى صنوف التضحيات وصاحب هذه الملكة (قوي الارادة) هو المؤمن الحقيقي فكل ما يقوي الايمان يقوي العزيمة والارادة والعكس صحيح كل ما يضعف الايمان يُضعف الهمة والارادة.

إذن وضوح الطريق السالك إلى الله عبر التضحيات، حيث لا يبالي بالموت بل يجده اعظم سرور يصل إليه إذا كان في رضا الله وطاعته، وهذه الملكة من نتاج كبر النفس وشجاعتها وهي اعظم الفضائل النفسانية، اذ كل من وصل إلى المراتب العظيمة والامور العالية، فانما وصل اليها لاجلها، اذ صاحبها لا يرضى

بالمراتب الدنية، ويشمر لتحصيل المراتب العالية.

وفي جوهر الإنسان وجبَّلتَه أن يصل إلى كل ما يجتهد إليه ^(١) ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٢)

من طلب الشيء وجدَّ وجد، ومن افراد علو الهمة والارادة الشهامة، وهو الحرص على اقتناء عظام الامور توقعاً لجميل الذكر على مر الدهور.

إذن كل ما يقوي القناعة يقوي الارادة، والقناعة لا تحصل بالالتماس والطلب او بالاكراه والفرض، وانما تأتي من خلال دراسة حقيقية وكشف دقيق لحقائق الامور يتحرك فيها الوجدان، وتنكشف اسرار الخلق والوجود، وركائز هذا الدين القويم ليسلك بصاحبه الصراط المستقيم فتبدأ درجات القوة ترتفع لدى صاحبها شيئاً فشيئاً، سيما إذا تعرض صاحبها إلى هزات قوية، ومنعطفات مهمة، تكشف له ما اراده له عالم الغيب والشهادة، فترتفع همته وتقوى ارادته، فجهاد النفس واداء الفرائض وتلاوة القرآن والعمل الواعي في سبيل الله سبحانه والسعي والجد والمثابرة والمتابعة وطلب الحقيقة وتحمل المسؤولية اتجاه الذات والاسرة والمجتمع ومسؤولية الدين والدنيا والآخرة كلها عوامل حقيقية تؤدي إلى تقوية الارادة واسباب مباشرة تغذيها وتنميها وتركيها.

وكما ورد في دعاء كميل (قوّ على خدمتك جوارحي واشدد على العزيمة جوانحي، وهب لي الجد في خشيتك...) ^(٣).

١ - جامع السعادات - النراقي ج ١ ص ٢٦٣

٢ - العنكبوت، ٦٩.

٣ - دعاء امير المؤمنين عليه السلام - مفاتيح الجنان / عباس القمي ص ١٠٠

كما ان تقوية الارادة وجهاد النفس يلتقيان في الاسباب والنتائج فكل ما يقوي الارادة يكون ناقعاً وسبباً لجهاد النفس والعكس صحيح حيث إذا كانت الارادة هزيلة باسبابها كذلك تجد ان الهوى يغلب على الإنسان ولا يستطيع ان يجاهد نفسه، وهو الجهاد الأعظم والاكبر.

فعملية تقوية الارادة هي أيضاً لون من ألوان الجهاد الاكبر وليست بالامر الهين او أن يحصل عليها بالعافية والسهولة ذلك المكلف المبتلى والممتحن.

فدراسة القرآن الكريم دراسة معمقة مما تؤدي إلى ان يعتقد في كلام الله وكلام رسوله، خاصة وأن القرآن الكريم قد عرض الادلة الوجهانية التي تتحدث بوضوح عن الخلق والماهية والوجود والكون والإنسان فقد قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٢) فالقرآن والاخبار مشحونة بذكر الامثلة من هذا الجنس^(٣).

والقرآن الكريم دائماً يخاطب ذوي الالباب واصحاب العقول لتكون ارادتهم في الدنيا هي الحاكم وليس الهوى والشهوة قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾^(٤)

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ...﴾^(٥)

١ - الحشر، ٢١.

٢ - الواقعة، ٧٢.

٣ - مفاتيح الغيب - صدر المتألهين ج ١ ص ١٧٣

٤ - الفرقان، ٤٣.

٥ - سورة الجاثية، ٢٣.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ...﴾ وهكذا، الذي يعيش الموضوعية والحالة المنطقية يصل إلى شكيمة راسخه وعزيمة ثابتة واردة قوية في سلوك الطريق الصحيح.

٤ - جهاد النفس

الجهاد في اللغة والاصطلاح:

الجهاد لغة: جاءت كلمة الجهاد من الجَهد والجُهد بمعنى الطاقة وقيل الجَهد المشقة والجُهد الطاقة وهو ما جهد الإنسان من مرض او امر شاق فهو مجهود، وجُهد الرجل إذا هُزِلَ أو بلغ جهده وجهد الرجل: امتحنه عن الخير وغيره والجهَد: المبالغة والغاية قال تعالى: جَهِدْ ايمانهم أي بالغوا في اليمين، وجُهد الرجل إذا وجد مشقة

وجاهد العدو مجاهدة وجهاداً: أي قاتله وجاهد في سبيل الله والجهاد استفراغ ما في الوسع، في الحرب او اللسان او ما اطاق من شيء^(١). والجهاد اصطلاحاً: هو استفراغ الطاقة والمجاهدة في مدافعة العدو وينقسم إلى ثلاثة أضرب او أقسام كما ذكرها الراغب وهي:

(١) مجاهدة العدو الظاهر

(٢) مجاهدة الشيطان

(٣) مجاهدة النفس

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)

أي الذين استقر جهادهم فينا، وكان جهدهم مبذولاً فيما يتعلق به سبحانه

١ - لسان العرب - ابن منظور ج ٢، ص ٣٩٥ - ٣٩٧.

٢ - العنكبوت، ٦٩.

من اعتقاد وعمل، فلا ينصرف عن الايمان به و الائتمار بأوامره و الانتهاء عن نواهيه هؤلاء يهديهم ربهم إلى سبله و هي الطرق المقربة منه والهادية إليه وان الله ناصر ومعين المحسنين برحمته وعنايته بهم وشمول رحمته لهم و هذه المعية أخص من معية الوجود الذي ينبيء عنه قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(١)

النفس في اللغة والاصطلاح:

النفس لغة: النفس الروح والنفس الرّوع، النفس بمعنى جملة الشيء وحقيقته تقول: قتل فلان نفسه وأهلك نفسه أي أوقع الهلاك بذاته كلّها وحقيقته والجمع من كل ذلك أنفس ونفوس.

النفس: الروح، والنفس ما يكون به التمييز، والنفس الدم، والنفس الاخ، والنفس بمعنى عند، و النفس الذات والنفس العقل، والنفس آدم، والنفس العين...^(٢)

النفس اصطلاحاً: ان ما يعطية التأمل في موارد استعمال لفظ النفس هو اصل معناه ما أضيف إليه، فنفس الشيء معناه الشيء ونفس الإنسان معناه الإنسان، ونفس الحجر معناه الحجر وهكذا فلو قطع عن الاضافة لم يكن له معنى محصل، وعلى هذا يستعمل للتأكيد اللفظي كقولنا: جاء زيد نفسه، او لافادة معناه كقولنا: جاءني نفس زيد و منه قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرِّحْمَةَ﴾^(٣)، وقال:

١- الحديد، ٤.

٢- لسان العرب - ابن منظور ج ١٤، ص ٢٣٣ - ٢٣٥.

٣- الأنعام، ١٢.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(١)، وقال ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(٢)، ثم شاع استعمالها في شخص الإنسان خاصة وهو الموجود المركب من روح وبدن فصار ذا معنى في نفسه وان انقطع عن الاضافة قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(٣) أي من شخص انساني واحد وقال ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٤). أي من قتل انساناً و من احيا انساناً، وقد اجتمع المضيان في قوله ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾^(٥) فالنفس الاولى بالمعنى الثاني والثانية بالمعنى الأول^(٦).

وقوله تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ﴿فَالْهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٧).

لقد أقسم سبحانه بالنفس الانسانية، بكل نفس حيث عدل خلقها و سوى اعضاءها وقيل سواها بالعقل الذي فضل به على سائر الحيوان وقيل بالنفس آدم ومن سواها فعرها طريق الفجور والمعاصي وطريق التقوى والطاعات وزهدها في الفجور ورغبتها في التقوى، كما أنه علمها الطاعة والمعصية لتفعل الطاعة

١- آل عمران، ٢٨.

٢- المائدة، ١١٦.

٣- الاعراف، ١٨٩.

٤- المائدة، ٣٢.

٥- النحل، ١١١.

٦- الميزان - الطباطبائي ج ١٤، ص ٢٨٥-٢٨٦.

٧- الشمس، ١٠-٧.

وتترك المعصية.

قد أفلح من طهر نفسه وجاهدها وروضها واصلحها بطاعة الله وصالح الاعمال، قد خسر من اهملها واخملها واضلها واهلكها وجعلها قليل ذليلة خسيصة.

وعن الإمام الصادق عليه السلام انه قال (قد بين لها ما تأتي وما تترك.. قد افلح من اطاع وقد خاب من عصي)

إذن الامر موكول إلى الإنسان نفسه أولاً و آخرأ في جهاد نفسه او عدم جهادها.

ورد عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله بعث سرية، فلما رجعوا، قال مرحباً ب قوم قضاوا الجهاد الاصغر وبقي عليهم الجهاد الاكبر، ف قيل: يا رسول الله وما الجهاد الاكبر قال: (جهاد النفس)^(١)

السرية: هي قطعة عسكرية من الجيش قوامها عدد من الرجال و خير السرايا اربعمائة رجل.

حينما رجع هؤلاء المجاهدون المقاتلون في سبيل الله سبحانه استقبلهم الرسول صلى الله عليه وآله وهم في نشوة الانتصار وعز الفتح وكانهم في انفسهم يعتقدون انهم أدوا اخطر و اكبر دور كان عليهم وهو مبارزة العدو. بل مشوا إليه اياماً وليالي وفارقوا وهجروا وتركوا المال و الاهل والازواج والاولاد و الاحبة والديار معرضين انفسهم لكل مكروه من قتل واسر وجرح ومن آفات الطريق الشاق

المتعب و قد خامرتهم الافكار وتوالت عليهم سهام الشيطان بانكم سوف لن تعودون لاهليكم ابدًا، وان ازواجكم سوف تُنكح واماوالم سوف تفرق بين القاصي والداني ومن قال لكم ان هناك جنة ونار؟ وهكذا فحينما عادوا اعتقدوا انهم قد فرغوا من اشق تكليف الهي وما بقي فهو اهون بكثير فهم إذن وصلوا إلى قمة الطاعة ورفعة المقام في الدنيا والآخرة واذا بهم يفاجأون بشيء غريب عليهم نزل كالصاعقة قول الرسول ﷺ وهو يرحب بهم ويشيد بجهادهم ولكن سماه أصغر، وهذا امر غريب.

إذن هناك جهاد اكبر، وكلمتا أصغر و اكبر بينهما بون شاسع جداً، فهو لم يقل أصغر و صغير، او لم يقل لهم كبير و اكبر، لو قال لهم قضيتم الجهاد الاصغر وبقي الجهاد الصغير، او قضيتم الجهاد الكبير وبقي الجهاد الاكبر، لكان الامر يسير بل تحدث معهم بصيغ (الاصغر و الاكبر)

هنا اقبلوا بشغف وبتعجب: يا رسول الله وما الجهاد الاكبر؟ فهم لم يسمعوا بهذا المصطلح سابقاً و أي شيء اكبر من مكابدة العدو في حرب ضروس أيسرها ان تقطع الرؤوس و تطيح الايدي و تسمل العيون؟

فاجابهم (جهاد النفس) لو لم يكن هناك جهاد للنفس لم يكن هناك جهاد أصغر، فجهاد النفس الخفي هو اساس الجهاد العضلي الظاهري.

صحيح انتم في منازلكم وعند اهليكم آمنين فاكهين ولكن كيف تجاهدون انفسكم تجاه الحرص و الحقد والحسد والطمع والجشع والغيبة والنميمة والتهمة والبهتان والكبر والغرور والغضب والسرقعة...

وكيف بكم في أداء كل الفرائض والقيام بكل العبادات من صلاة وصيام

وزكاة وخمس وحج وزكاة وامر بمعروف ونهي عن منكر، ونجد الجهاد مفردة من هذه المفردات اضافته إلى تولي اولياء الله و التبري من اعدائهم فالمرء محشور مع من أحب و شريك عمله.

كل هذه وتلك تحتاج إلى طاقات هائلة وضخمة توصل بصاحبها إلى ادائها على اتم وجه و باحسن شكل.

فجهاد النفس^(١) هو الجهاد الاكبر الذي يعلو على القتل في سبيل الحق تعالى وهو في هذا المقام عبارة عن انتصار الإنسان على قواه الظاهرية، وجعلها تأتمر بأمر الخالق وتطهيره من دنس وجود قوى الشيطان وجنوده حيث ان النفس الانسانية تشترك مع الملك في ظواهرها وعالمها.

الفصل السادس

مأثور الحديث والشیطان

ماذا قال رسول الله ﷺ عن الشيطان
الشيطان كما ورد ذكره في نهج البلاغة
الشيطان كما ورد ذكره في الصحيفة السجادية
ماذا قال الإمام الصادق عليه السلام عن الشيطان
حديث العلماء عن الشيطان

١- الشيخ الطوسي

٢- المحقق محسن الكاشاني

٣- العلامة محمد باقر المجلسي

٤- الشيخ النراقي

٥- سيد قطب

٦- ابراهيم محمد الجمل

١ - ماذا قال رسول الله ﷺ عن الشيطان

لقد ورد عن رسول الله ﷺ الكثير من الاحاديث عن الشيطان ومنها انه قال لأصحابه: ألا أخبركم بشيء إن انتم فعلتموه تباعد الشيطان عنكم كما تباعد المشرق من المغرب؟

قالوا: بلى، قال الصوم يُسَوِّدُ وجهه، والصدقة تكسره ظهره، والحبُّ في الله والموازرة على العمل الصالح يقطعُ دابره، والاستغفار يقطعُ وتينه^(١) هنا يورد الرسول الأعظم ﷺ خمس خصال تؤدي إلى فرار الشيطان وابتعاده عن من يزاولها ويواضب عليها وهي: الصوم، والصدقة، والحب في الله، والتعاون على العمل الصالح، والاستغفار، كلٌّ يكملُ بعضه بعضاً.

ويقول ﷺ: «أما أعداؤك من الجن فيابليس وجنوده، فإذا اتاك فقال: مات ابنك فقل: إنما خلقَ الاحياء ليموتوا، وتدخل بضعة مني الجنة إنه ليسرني، فإذا أتاك وقال: قد ذهب مالك فقل: الحمد لله الذي أعطى وأخذ، وأذهب عني الزكاة

فلا زكاة عليّ فإذا أتاكَ وقال لك الناس يظلموك وانت لا تنظلم فقل: إنّما السبيل يوم القيامة على الذين يظلمون الناس وما على المحسنين من سبيل وإذا أتاكَ وقال لك: ما أكثر احسانك يريدُ أن يُدخلك العجب فقل إساءتي أكثر من إحساني، وإذا أتاكَ فقال لك ما أكثر صلواتك فقل غفلتي أكثر من صلواتي، وإذا قال لك: كم تعطى الناس، فقل: ما أخذ أكثر مما أعطى، وإذا قال لك، ما أكثر من ظلمك فقل: من ظلمته أكثر، وإذا أتاكَ فقال لك كم تعمل؟ فقل طال ما عصيت»^(١) وإذا أتاكَ وقال لك اشرب الشراب، فقل لا أرتكب المعصية وإذا أتاكَ وقال لك: ألا تحبُّ الدنيا؟ فقل ما أحبها وقد اغتر بها غيري^(٢).

نجد في الحديث النبوي الشريف ان ابليس له جنود واعوان وليس بمفرده عدواً، ثم انه يأتي من خلال الخاصرة الضعيفة كحب الولد وحب المال وهما محل اختبار وفتنه حيث قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمُولُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) اي تحققوا وايقنوا ﴿أَنَّمَا آمُولُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي بليّة عليكم ابتلاكُم الله تعالى بها^(٤) وردّ على ابليس بهذا الجواب لأنّارة تبليبل عقيدة المنكوب بماله او ولده طبيعّية مستساغة ان ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ و﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ وان هذا الولد فرط لاييه ليس له ذنب يحاسب عليه فيدخل الجنة.

وتسليه اخرى ذهاب المال والمال عاريه بيد صاحبها ومالكها الحقيقي هو

١ - سفينة البحار ج ١، ص ١٠٠.

٢ - تحف العقول، ص ٢٤.

٣ - الأنفال، ٢٨.

٤ - المجمع - الطبرسي - ج ٤، ص ٨٢٤.

الله سبحانه وحده فهو الذي اعطى وهو الذي اخذ ما اعطى وهذا امر طبيعي.
ثم ان الذي ليس لديه مال يسقط عنه التكليف في الحقوق الشرعية كما هو عليه الزكاة.

ثم ينتقل ﷺ إلى حقيقة قائمة في المجتمع نجد ان الامر السائد بينهم انهم ظالم ومظلوم في آن واحد فهو ظالم لغيره ومظلوم من غيره، ولا يمكن لاحد ان يعيش في معزل تام من بني جنسه فالحياة دار الاحتكاك ودار التزاحم والتدافع فيحصل من خلاله الظلم لذا هنيئاً لمن امسك نفسه عن ظلم الآخرين وان كان مظلوماً من آخرين، فالذي تُسرق امواله لا يكون له مبرراً ان يسرق اموال الآخرين وهكذا..

كما ان الإنسان المؤمن لا ينبغي له ان يأخذ العجب في طاعاته وعباداته من الاحسان إلى الآخرين الصلاة والصدقة وصلة الرحم واخلاص في العمل.
وقال رسول الله ﷺ لابن مسعود^(١) يا بن مسعود اتخذ الشيطان عدواً، فإن الله يقول: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا»^(٢)

الخطاب وان كان موجهاً لابن مسعود، ولكنه أيضاً لكل مكلف، تحذير خطير بان الشيطان عدونا فعلينا اليقظه والحذر، وأيُّ أخطر من عدوٍّ لم تره العين ولم يشعر به القلب.

فإن اغلب الناس غافلين عنه مصاحبين إياه متخذينه لهم خليلاً.
وقال رسول الله ﷺ (ألا وإنَّ اعقلَّ الناس عبداً عَرَفَ ربه فأطاعه وعَرَفَ

١- ميزان الحكمة - محمدى رى شهرى، ج ٥، صفحة ٨٠.

٢- سورة فاطر: ٦.

عدوه فعصاه^(١).

هذا الحديث الشريف يكشف لنا حقيقة دامغة يحتاجها كل انسان يهدف إلى سعادة الدارين ان يميّز بين شيئين ويرتب على ذلك التمييز الاثار.
ان يفرّق بين ربّه وخالقه وبين مُضَلَّه وعدوه كي يكون عبداً خالصاً لله وليس شرك شيطان وإلاّ فانه يقع في حبائله وشراكه فتارة يكون عبداً لله واخرى عبداً للشيطان وهذا ليس من سمات العاقل بل حتى وان كان أعقل الناس كما يعتقد.

وقد ورد عن حمران عن أبي جعفر^(ع) قال: إن رجلاً أتى رسول الله^(ص) فقال يا رسول الله، إني نافقت، فقال: والله ما نافقت، ولو نافقت ما أتيتني تُعلمني، ما الذي رابك؟

أظن العدو الحاضر أذاك فقال لك: من خلقك؟ فقلت: الله خلقتني فقال لك: من خلق الله؟ فقال أي والذي بعثك بالحقّ لكان كذا فقال: إنّ الشيطان أتاكم من قبل الأعمال فلم يقو عليكم، فأتاكم من هذا الوجه لكي يستزلكم، فإذا كان كذلك فليذكر أحدكم الله وحده^(٢).

وعن امير المؤمنين^(ع) قال: قال رسول الله^(ص): إنّ الله حرّم الجنّة على كل فحّاش بذئ قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنّك ان فتشته لم تجده إلاّ لَغِيّة او شرك شيطان، قيل يا رسول الله وفي الناس شرك شيطان؟ فقال رسول

١ - الحياة - محمد رضا الحكيمى - ج ٢، ص ١٣٢.

٢ - الكافي - الكليني: ٣١١/٥، ٢ - وسائل الشيعة ج ٧، ص ١٦٨.

الله ﷺ اما تقرأ قول الله عزوجل ﴿... وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ...﴾^(١).
وهنا تصوير رائع جداً لأولئك الذين لا ذمام لهم ولا حياء ولا يحافظون
على كرامتهم فهم من ابناء الفواحش او تغذوا الحرام وانهم شرك شيطان حيث
شارك الآباء في نتاج الأبناء.

٢ - الشَّيْطَانُ كما ورد ذكره في نهج البلاغة

لقد ورد في نهج البلاغة في جملة من خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) ذكر الشَّيْطَانِ أوابليس، فقد تعرض له وذم اتباعه، وذكر خطورته، وكأنما هو تفسير للآيات القرآنية الكريمة السَّالفة الذكر في طرق تأثيره على الإنسان وتحذيره من مصائده ومكائده منها؛ قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذم اتباع الشَّيْطَانِ:

«اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لَامِرَهُمْ مَلَكَ، واتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَكَ، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ فَتَنَّزَّرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَزَكَبَ بِهِمُ الزَّلَّالَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ، فَعَلَّ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ»^(١).

يحدثنا أمير المؤمنين عن هؤلاء القوم - أولياء الشَّيْطَانِ - وقد جرى الحديث عنهم في المرحلة السادسة من مراحل التأثير الشَّيْطَانِي على النفس الإنسانية، فيقول بان هؤلاء القوم اتخذوا الشَّيْطَانَ لَامِرَهُمْ قَوَاماً واعتماداً، يعتمدون عليه ويقومون به، واتَّخَذَهُمُ الشَّيْطَانُ لَهُ مَصَائِدَ يَصْطَادُ بِهَا حَيْثُ اصْبَحُوا آلَةً لَهُ فِي الضَّلَالِ، فاستقر وتوطن في صدورهم وأطال مكثه فيها لأن الطَّائِرَ لَا يَبِيضُ إِلَّا فِي عَشِهِ، فهي اِمَارَةٌ عَلَى طَوْل بَقَائِهِ وفراخ الشَّيْطَانِ وسأوسه، ودب ودرج وتربى في حجورهم كما يُربى الطِّفْلُ فِي حَجَرِي وَالْدَّيْهِ، فذا بوا به ووصلوا إلى حد الفناء حتَّى نظر في أعينهم، وكأنهم ليسوا هم الذين ينظرون بل الشَّيْطَانُ

نظر في أعينهم، ونطق بالسنتهم وكأنهم ليسوا هم الناطقين بل الشَّيْطَانُ نطق بالسنتهم، فامتطاهم واقحمهم الخطأ وحسن وزين لهم ما هو اقبح من الخطأ والغلط، فعل من اصبح شره الشَّيْطَانُ، وقد تسلط عليه. وشاركه حتَّى في نطقه فكانا معاً وكان نطقه باطل أيضاً.

ولا غرابة بان للشَّيْطَانُ ذرية قال تعالى: ﴿أَفْتَتَخِدُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ (١).

حيث ذكر سبحانه وتعالى ان ابليس من الجن، وله ذرية وان ضلال الإنسان في صراط سعادته وما يلجمه ويصيبه من انواع الشقاء انما هو باغواء الشَّيْطَانُ فالمعنى افتتخذونه وذريته آلهة وارباباً من دوني تعبدونهم وتتقربون إليهم وهم لكم عدو (٢).

كما أنه لا مكان أرحب واوسع للأبالسة والشَّيَاطِين من بغض عليٍّ عليه السلام وسبه وحربه... واى شيء في عليٍّ عليه السلام يستوجب السب والعداء؟ في زهده في الدنيا؟... أم في عدله؟... أم في علمه؟... أم في شجاعته؟... (٣).

وقال عليه السلام ((ألا وان الشَّيْطَانُ قَدْ ذَمَّرَ حَزْبَهُ واستجلب جَلْبَهُ، ليعودَ الجور إلى أوطانه، ويرجع الباطل إلى نصابه، والله ما أنكروا عليَّ منكرأ، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً) (٤). والمعنى: إلا وأن الشَّيْطَانُ قد حث حزبه على معصية الله ورسوله،

١ - سورة الكهف، ٥٠.

٢ - الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي ج ١٣، ص ٣٢٥.

٣ - في ظلال نهج البلاغة - شرح محمد جواد مغينه - دارالعلم للملايين ط ٣، ج ١، ص ١١٤.

٤ - في ظلال نهج البلاغة - محمد جواد مغينه - دارالعلم للملايين ط ٣، ج ١، ص ١٦٠، والتي تليها.

ان الله سبحانه حزباً وقد حدد الله في كتابه العزيز كلاً من الحزبين تحديداً واضحاً لا لبس فيه، قال تعالى: في تحديد حزبه: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١)

والمراد هنا الطاعة بقرينة الحال، وبالذين آمنوا وهم أهل العصمة من آل محمد ﷺ الذين ساوى النبي ﷺ بينهم وبين القرآن، وأمر بالتمسك به وبهم في حديث الثقلين الذي رواه مسلم في صحيحة وغيره من العلماء فضلاً عن علماء الشيعة وأيضاً قال سبحانه عن حزبه ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢)

أما حزب الشيطان فقد أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَاَنسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٣).

فحزب الشيطان هم الذين نسوا ولاية الله ورسوله وأهل بيته و (واستجلب جلبه) بعد ان حث الشيطان اتباعه وحزبه على معصية الله جمعهم لحرب الحق وأهله ...

وقال ﷺ في خطبة اخرى: «أوصيكم بتقوى الله الذي أعذر بما أنذر، واحتج بما نهج، وحذركم عدواً نفذ في الآذان نجياً، فأضل وأردى، ووعد فمّنّى، وزين سيئات الجرائم وهون موبقات العظام، حتى إذا استدرج قريته، واستغرق

١- المائدة، ٥٦ .

٢- المجادلة، ٢٢ .

٣- المجادلة، ١٩ .

رهينته، أنكر ما زينَ واستعظم ما هَوَّنَ، وحذر ما أَمَّنَ»^(١).

هنا يوصي امير المؤمنين عليه السلام بتقوى الله، الذي له الحجة البالغة والذي حذر من ذلك العدو الذي استقرَّ في الصدور آلاً وهو الشَّيْطَانُ الذي يهمس في الآذان سراً مما يؤدي إلى الضلال والتردي، ثم يعد ويصور الاماني كذباً ويجعل بني آدم يتجرأون على ارتكاب المعاصي واقتراف الخطايا والذنوب، حتَّى استدرج وبشكل مدروس ومتقن النفس التي قارنها، وأسَرَ واعتقل وكبَّل ذلك الإنسان، فلا يستطيع التخلص منه حتَّى يرديه ثم بعد ذلك يتبرأ منه - أي الشَّيْطَانُ يتبرأ من الإنسان - ويتركه في وسط الطريق. قال تعالى: ﴿...وَعِذُّهُمْ وَمَا يَعْذُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْهُمُونِي وَلَوْ مَوَا أَنفُسَكُمْ...﴾^(٣)

وقال عليه السلام: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسْنِي لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عَقْدَةً عَقْدَةً وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ وَاقْبَلُوا النِّصِيحَةَ مِمَّنْ هَدَاهَا إِلَيْكُمْ وَاعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ»^(٤).

الشَّيْطَانُ يُعْبِدُ لَكُمْ طُرُقَهُ - أساليبه ووسائله وآلات تأثيره - فيجعلها سهلة ميسورة سالكة فيها شيء من المتعة واللذة، ثم بعد ذلك يهدم دينكم خطوة خطوة

١- نهج البلاغة - الدكتور صبحي الصالح ص ١١٢.

٢- سورة الأسراء، ٦٤.

٣- سورة ابراهيم، ٢٢.

٤- نهج البلاغة - الدكتور صبحي الصالح، ص ١٧٨.

ومرحلة مرحلة حتّى يأتي على آخره، فهو كدابة الارض المساءة بـ (الارضة) تنخر الاعمدة والزّكائر التي يعتمدها البناء في قوامه ثم فجأة ترى ذلك البناء الشامخ ينهار ويصبح ركاماً وكأنه لم يكن.

فيحوّل الجماعة الواحدة إلى جماعات شتّى، ويحوّل تلك الجماعات المتشبهة إلى بؤر صراع وإلى افراد ومراكز ومحاور يتنازع بعضهم البعض الآخر على أمور تافهة لا اعتبار لها أو لا اساس لها من الواقع او الصّحة.

فينبغي ادراك خطره والاعراض عن وسوسته ونفخه وخطواته وآثاره، وتقبّل النصيحة ممن اسداها لكم وقدمها هدية بين ايديكم، وان هذه النصيحة ينبغي لكم عدم التفريط بها بل الاعتزاز فيها وعدم تركها أو تضييعها واهمالها.

وقال ﷺ محذراً من الشيطان^(١):

«فاحذروا عباد الله عدوّ الله أن يعدّكم بدائيه وأن يستفزكم ببندائيه، وان يُجلبّ عليكم بخيله ورجله، فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد وأغرق عليكم بالنزع الشديد، ومآكم من مكان قريب فقال: ﴿قَالَ رَبِّ بَمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢) قدفاً يغيب بعيد، ورجماً بظن غير مُصيب صدقه به ابناء الحميّة واخوان العصبية، وفرسان الكبر والجاهلية. حتّى إذا انقادت له الجامعة منكم، واستحكمت الطّماعية منه فيكم فَجَعَتِ الحال من السّرّ الخفيّ إلى الامر الجلي استفحل سلطانه عليكم، ودلّف بجنوده نحوكم فأقحموكم ولجأت الذّلّ، واحلّوكم ورطات القتل، وأوطؤوكم إثنان الجراحة، طعنأ في عُيُونِكُمْ،

١- في ظلال نهج البلاغة - محمد جواد مغنّية - ج ٣، ص ١١٢.

٢- سورة الحجر، ٣٩.

وَحَزْراً فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ. فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحاً وَأَوْرى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً مِنْ الَّذِينَ اصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ وَعَلَيْهِمْ مَتَالَيْنِ. فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ، وَلَهُ جَدَّكُمْ فَلَعْمَرُ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسْبِكُمْ، وَدَقَعَ فِي نَسْبِكُمْ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَصِدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ يَقْتَصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ. لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ، فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ، وَحَلَقَةِ ضَيْقٍ، وَعَرَصَةِ مَوْتٍ، وَجَوْلَةِ بَلَاءٍ، فَأُطْفِئُوا مَا كَمَنَّ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصْبِيَّةِ وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ وَنَزَعَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ. وَاعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ، وَإِلْقَاءِ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلَعَ التَّكْبِيرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً، وَرِجَالاً وَفُرْسَاناً، وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سَوْىً مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، وَتَفَخَّ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبَرِ الَّذِي عَبَقَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ وَالزَّمَمَةَ آثَامَ الْفَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

والمعنى: (فاحذروا عباد الله - إلى - النزع الشديد)

المراد بعدو الله إبليس، وبندائه وخيله ورجله وسهمه، المغريات والشهوات وانه بها يصطاد ويضلل أبناء آدم عدوه اللدود، ولسان حال إبليس يقول: ((مهما تورع ابن آدم واحتاط لدينه فاني موقعه، لامحالة، بجريمة من ثلاث: ان يأخذ

١- نهج البلاغة، د. صبحي الصالح - الخطبة ١٩٢، ص ٢٨٩، و نهج البلاغة - الشيخ محمد عبده، الخطبة ١٩٠، ص ٣٩٦.

المال من غير حل، أو يمنعه من غير حق، أو ينفقه في غير وجهه)). فالدرهم والدينار هما المحك الوحيد أخذاً وعطاءً، والحد الفاصل بين الاخلاص والخيانة، وبهما يُمتحن المؤمن لا بصلاته وصيامه، ولا بتواضعه، أو بأية فضيلة من الفضائل فحسب.

(ورماكم من مكان بعيد وقال: ﴿قَالَ رَبِّ بَمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١);

والشيطان يزَيِّن ويحسِّن، ويغري ويكذب ويخلف في المواعيد، فإن تنزَّل الإنسان عن خياره للشيطان، واسلم له القياد - فعل به ما يشاء ورماه من قريب حيث يجري منه مجرى الدم..

وقال بعض العارفين: ان الشيطان مهذب، يقرع الباب، ويتواري خلفه، فإن فتحت له دخل وإلا تركك ومضي في سبيله.

(قذفاً بغيب بعيد، ورجماً بظن مصيب). وفي بعض النسخ (غَير مصيب) بزيادة (غير) وهو خطأ بدليل قول الأمام بلا فاصل (صدّقه به ابناء الحمية) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾^(٢).

أي أصاب في ظنه بهم، ولم يخطيء وإذن فكلمة (غير) حشو والمعنى ان ابليس قال: لأغوين بني آدم، ولم يكن عند قوله هذا آدمي على وجه الأرض، وانما قال ذلك ظنا ورجماً بالغيب... ومع هذا صدّق في ظنه، لأن الناس كلهم من حزبه إلا قليلاً.

١ - سورة الحجر، ٢٩.

٢ - سورة سبأ، ٢٠.

(صَدَقَهُ بِهِ ابْنَاءُ الْحِمِيَةِ...) الهَاءُ فِي صَدَقَهُ لِابْلِيسَ وَفِي (بِهِ) لَظْنُهُ فِي قَوْلِهِ: (وَلَا غَوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ) وَالْمَعْنَى لَقَدْ صَدَّقَ ظَنُّ ابْلِيسَ عَلَى أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْجَاهِلِيَّةِ، وَتَسَرَّبَ إِلَى نَفْسِهِمْ مِنْ طَرِيقِ تَعْصِبِهِمْ لِأَصْلِهِمْ، وَسَفَهِهِمْ وَحُبِّهِمْ لِلتَّمَاظِمِ وَالشَّهْرَةِ الزَّائِفَةِ (حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ الْخ...).. وَالْمُرَادُ بِالْجَامِحَةِ النَّفُوسُ الَّتِي لَمْ يَفْرِغِ الشَّيْطَانُ بِأَيِّهَا بَعْدَ، وَلَكِنِهَا عَلَى تَمَامِ الْإِسْتِعْدَادِ لِأَنْ تَفْتَحَ لَهُ وَتَتَقَادَّ إِلَيْهِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ نَفُوسَكُمْ طَاهِرَةٌ فِي الظَّاهِرِ، وَخَبِيثَةٌ فِي الْبَاطِنِ، وَلَمَّا حَرَّكَهَا الشَّيْطَانُ ظَهَرَتْ عَلَى حَقِيقَتِهَا، وَبَيَّنَّ لِلْجَمِيعِ أَنَّكُمْ مِنْ جُنْدِ الشَّيْطَانِ وَانْصَارَهُ.

(اسْتَفْحَلْ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ - إِلَى - النَّارِ الْمُعَدَّةَ لَكُمْ) وَأَوَّ الْجَمَاعَةَ فِي أَقْحَمَوْكُمْ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ هِيَ لَجُنُودِ ابْلِيسَ، وَالْمَعْنَى اسْتَحُودَ عَلَيْكُمْ. وَاحْتَلَّ نَفُوسَكُمْ بِجُنُودِهِ فَأَوْرَدَهَا مَوَارِدَ الذَّلِّ وَالْهَلَكَةِ فِي الدُّنْيَا، وَسَاقَهَا فِي الْآخِرَةِ إِلَى النَّارِ وَغَضَبِ الْجَبَّارِ فَاصْبَحَ اعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جُرْحاً.. الْخ.. وَالضَّمِيرُ الْمُسْتَتَرِّفِي أَصْبَحَ يَعُودُ لِلشَّيْطَانِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ وَسَاوَسَ الشَّيْطَانِ وَأَلَاغِيَهُ أَشَدَّ ضَرَرًا عَلَيْكُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ الَّذِينَ تَجَاهَرُوا بِهِمْ بِالْعَدَاءِ وَتَتَأَلَّبُونَ عَلَى حَرِّهِمْ وَمُنَابَذَتِهِمْ. (فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَكُمْ، وَلَهُ جَدَّكُمْ) الضَّمِيرُ فِي (عَلَيْهِ وَلَهُ) لِلشَّيْطَانِ وَالْمُرَادُ بِالْحَدِّ الْفُضْبُ وَالْحَدَّةُ، وَبِالْجَدِّ - بِكَسْرِ الْجِيمِ - الْجَهْدُ وَالطَّاقَةُ، وَالْمَعْنَى حَارَبُوا الشَّيْطَانِ بِكُلِّ مَا تَمْلِكُونَ مِنْ طَاقَةٍ وَحَوْلٍ وَقُوَّةٍ (فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فَخَّرَ الْخ...) الْمُرَادُ بِالْأَصْلِ بِالنَّسَبِ هُنَا آدَمَ، وَالْمَعْنَى أَنَّ ابْلِيسَ أَزْدَرَى أَبَاكُمْ آدَمَ، وَرَمَاكُمْ بِنَبَالِ الْهَوَى، وَدَاسَكُمْ بِأَقْدَامِ الشَّهَوَاتِ، وَضَرَبَكُمْ بِسِوْفِ الْمَغْرِيَّاتِ حَتَّى أَذْلَكُمْ وَأَوْقَعَكُمْ فِي الْبَلَاءِ وَالشَّدَةِ وَلَمْ يَبْقَ لَكُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ - وَهَذَا تَكَرَّرَ وَتَوَكَّدَ كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ (دَلَفَ

بجنوده نحوكم الخ).

فأطفئوا ما كمن في قلوبكم - إلى - نزغاته و نفثاته) المسلم الحق هو الإنسان المفتوح الذي يحب ويسع الناس جميعاً، أما الذي يتعصب لفرق أو فئة - فما هو بمسلم، بل هو من أتباع الشيطان، وعلى سُنّة الجاهلية وأهلها، (واعتمدوا وضع التذلل - إلى - جنوده) دعوا التكبر والترفع، فانه ينمّ على صاحبه بالصغار (أي الذل) وتواضعوا للحق، وانقادوا له، واسمعوا منه، فانه منه، فانه الدرع الواقى من ابليس وجنوده.

(فأن له - أي لابليس من كل أمة جنوداً) (وأعواناً) - وما كان ابليس في يوم من الأيام أقوى سلطاناً، واعز نفراً منه في هذا العصر فجنوده في الغرب يصنعون ويخترعون اسلحة الخراب والدمار، أما الشرق فقد أصبح وكرّاً للخونة وعملاء الغرب... وعلى دوي القنابل، واغنيات العملاء، وبكاء المنكوبين، وأنين الجائعين - يرقص الشيطان ويطرب، وخاصة بعد أن تعهد زعماء الاشتراكية أن لا يصطدموا مع زعماء الامبريالية... فالمنهج واحد والمذهب واحد (ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمة الخ) قيل: هذا اشارة إلى ما حدث بين قابيل وهايل، وان نار الغضب وعداوة الحسد في قلب الأوّل طغت على القربى وصلة الدم، والسبب غواية الشيطان وفتنته (الكبر الذي اعقبه الله به الندامة الخ).. قتل قابيل أخاه هايل، ثم ندم تماماً وباء باثمه وإثم اخيه، وكان من اصحاب الجحيم - ذلك جزاء من اقتص أثر الشيطان وترسم خطاه^(١).

ثم بعد ذلك يقول ﷺ: «اتخذهم ابليس مطايا ضلال وجنداً بهم يصول على الناس. و تراجعهم ينطق على السنتهم، استراقاً لعقولكم، ودخولاً في عيونكم، ونفثاً في اسماعكم، فجعلكم مرمى نبله، وموطئ قدمه، وماخذ يده». (اتخذهم ابليس مطايا الخ) ان الزعماء المنحرفين يفعلون بوحى من الشَّيْطَان، وينطقون بلسانه، وينظرون بعينه، وبأذنه يسمعون، بل هم في قبضته وتحت قدمه.

اول معصية للشيطان:-

يقول لنا أمير المؤمنين عليه السلام في اول خطبة بعد خلق آدم: « فقال سبحانه (اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) اعترته الحمية وغلبت عليه الشقوة وتعزز بخلة النار واستوهن خلق الصلصال، فاعطاه الله النظرة استحقاقاً للسُّخْطة واستتماماً للبلية، وانجازاً للعِدة فقال:

(إنك من المنظرين، إلى يوم الوقت المعلوم)

ثم اسكن سبحانه آدم داراً أرغد فيها عيشه، وآمن فيها محلته، وحذَّره إبليس وعداوته. فاغتره عدوّه نفاسَةً عليه بدار المقام ومرافقة الابرار. فباع اليقين بشكه، والعزيمة بوهنه واستبدل بالجدل وجلاً، وبالاغترار ندماً...»^(١).

هنا يفصح أمير المؤمنين عليه السلام بقوله تعالى (اسجدوا لآدم...) حيث كان الخطاب إلى الملائكة فسجدوا... إلا إبليس حيث انه لم يسجد لآدم وأخذته

العصية وغلبت عليه الشقاوة حيث فقدان السعادة، وتعرزه بخلقة النار حيث انه مخلوق من جوهر لطيف ومادة من الصلصال الذي هو الطين الحر المخلوط بالرمل، فقد نظر الشيطان لادم المخلوق من الصلصال نظرة عدم احترام وتعالى عليه وتكبر، فامهله الله سبحانه - بعد ان دعاه - إلى يوم الوقت المعلوم يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج (... و منها ان يقال كيف جاز للحكيم ان يقول لابليس انك من المنظرين إلى يوم القيامة وهذا اغراء بالقبيح، وانتم تمنعون ان يقول الحكيم لزيد أنت لا تموت إلى سنة بل إلى شهر او يوم واحد، لما فيه من الاغراء بالقبيح والعزم على التوبة قبل انقضاء الأمد والجواب ان اصحابنا قالوا ان الباري تعالى لم يقل لابليس اني منظرك إلى يوم القيامة، وانما قال إلى يوم الوقت المعلوم، وهو عبارة عن وقت موته واخترامه، وكل مكلف من الانس والجن منظر إلى يوم الوقت المعلوم على هذا التفسير، واذا كان كذلك لم يكن ابليس عالماً انه يبقى لامحالة، فلم يكن في ذلك اغراء له بالقبيح^(١)

ثم ان الله سبحانه اسكن آدم وإلى جانبه حواء الجنة رغيد العيش هانئ البال - لاجوع ولا ضماً ولا حر ولا قر ولا عري ولا نكد ولا نصب - وحذره من ابليس وعداوته حيث قال له تعالى ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾^(٢)

فانتهاز الشيطان من آدم غرة فاغواه حسداً من عنده لبقائه في دار المقام ومراقبة الملائكة الكرام الابرار، حتى ادخل الشك عليه وحول يقينه إلى شك

١ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد - المجلد الأول ج ١، ص ٣٣.

٢ - سورة طه، ١١٧.

والقوة إلى ضعف، وبالطمئينة والفرح والسعادة خوفاً وبالثبات تردداً وريبة،
وانتبه إلى عاقبة ما اقترف فاستشعر الندم بعد الاغترار.^(١)

كما يذكر الإمام علي عليه السلام وسائل الشيطان وادواته وكيف يستغل اموراً
ينبغي الابتعاد عنها، قال عليه السلام فيما يخرب العالم به من الفتن وبيان هذه الفتن ودور
الشيطان في الاستيلاء على اوليائه (إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، واحكام
تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولى عليها رجالٌ رجلاً، على غير دين الله، فلو
أن الباطل خلس من مزاج الحق لم يخف على المرتادين، ولو أن الحق خلس من
لبس الباطل، انقطعت عنه السن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضعت، ومن هذا
ضعت فيمزجان، فهناك يستولى الشيطان على اوليائه وينجو ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ
لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَى﴾^(٢) المرتاد هو الطالب والضعف من الحشيش القبضة منه قال
تعالى: ﴿وَخَذْ يَدَكَ ضِغْثًا﴾. فإن المذاهب الباطلة والآراء الفاسدة التي يفتتن
الناس بها اصلها اتباع الاهواء واتباع الاحكام التي لم تعرف فيها الكتاب وتحمل
العصية والهوى^(٣).

فهنا شخص الإمام عليه السلام ان اساس وقوع الفتن يعتمد على اسباب هي: ان
الهوى يكون الها و حاكماً ومطاعاً ومتبعاً من دون الله وانه يخالف فيه القرآن
الكريم الذي يكون مهجوراً، ويستعين ويستحوذ على ذلك رجالٌ بتسخيرهم

١- نهج البلاغة - محمد عبده، ص ٤٢.

٢- نهج البلاغة - صبحي الصالح ص ٨٨، نهج البلاغة محمد عبده ص ١٢٣ - ١٢٤، الخطبة
رقم (٥٠).

٣- شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد المجلد الأول الجزء الثالث، ص ٢٩٩.

اناساً ورجالاً في معاصي الله وما يفضيه سبحانه خارجين عن دين الله.

ثم بعد ان يشخص سلام الله عليه الداء يقدم الدواء فيقول:

لو ان الباطل انفصل عن الحق ولم يخفَ على طلاب الحقيقة ومريديها ولو ان الحق انفصل أيضاً عن الباطل، لانتقطعت حجج المعاندين وتقطعت بهم السبل ولكن يمزج الباطل بالحق ويمزج الحق بالباطل فيظهر بصورة الحق وكأنه كله حق وليس فيه باطل، ففي هذه الحالة يستحوذ ويسيطر الشيطان على اوليائه والمنقادين إليه، والذين له سلطان عليهم، وينجو الذين اخلصوا الله وقال سبحانه فيهم ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ آتَبَكَ مِنَ الْفَٰوِينَ﴾^(١)

ومن كلامه عليه السلام في المبادرة إلى صالح الاعمال يقول (.. فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به انفسكم غداً. فاتقوا عبد ربه، ونصح نفسه، وقدم توبته، وغلب شهوته، فإنَّ أجله مستور عنه، وامله خادع له، والشيطان موكل به، يزين له المعصية ليركبها، ويمنيه التوبة ليسوفها، إذا هجمت منيته عليه أغفل ما يكون عنها...) (٢).

هنا - أمير الكلام - أمير المؤمنين يحث على العمل الصالح والمسارة بالتزود من فرص الدنيا لنقلها إلى الآخرة ما يحفظ المؤمن من عذاب الله ودخول الجنة حيث لا يدخلها إلا برحمة الله وتقواه وخشيته وتوبته والتحكم بشهواته ونزواته واهوائه فإن موته مجهول لا يعلم متى يلقي الله او ينتقل إلى الآخرة وهذا

١ - سورة الحجر، ٤٢.

٢ - نهج البلاغة - د. صبحي الصالح ص ٩٥ (خطبة ٦٤) ونهج البلاغة - محمد عبده ص ١٣٦ (خطبة ٦٣).

مما يوجب الحيلة والحذر كما ان الآمال خادعة له والشيطان ملازم له لا يرحه مُزَيِّن له المعاصي والذنوب ومحبيها ليرتكبها ثم يقول له لا تتعجل التوبة فبابها مفتوح وعمرك طويل وطويل ثم يسعك بعد ذلك مَرَّةً واحدةً ان تستغفر وتتوب إلى الله تعالى، وكفى، وهذا غير فائتك فيؤجل التوبة إلى ان تدركه المنية وهو غير تائب بل حتى يُنسيه ذنوبه وجرائمه فيموت مصرّاً على ذنوبه ومعاصيه بعد ان سوِّف التوبة.

ومن قوله ﷺ مخاطباً الخوارج (.. ثم انتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مراميه، و ضرب به تيهه. وسيهلك في صنفان: محب مُفرط يذهب به الحب إلى غير الحق ومبغض مُفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس في حالاً النمط الاوسط، فالزموه والزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة، واياكم والفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان كما ان الشاذ من الغنم للذئب...) (١)

هنا يخاطب الإمام عليّ ﷺ الخوارج ويصفهم بانهم شرار الناس حيث أضلهم الشيطان وكأنه رمي بهم مرمى بعيداً عن الطريق السالك، وضرب به تيهه أي بقوا في حيرة من امرهم.

ثم قال ﷺ: يهلك في رجلان فاحدهما من أفرط حبه له واعتقاده فيه حتى ادعى له الحلول كما ادعت النصارى ذلك في المسيح ﷺ والثاني من أفرط بغضه حتى حاربه او لعنه وبرئ منه او ابغضه... وفي الخبر الصحيح المتفق عليه أنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق.

١ - نهج البلاغة - د. صبحي الصالح، ص ١٨٤ - الخطبة / ١٢٧، نهج البلاغة - محمد عبده ص ٢٧٣ - الخطبة ١٢٥.

ففي هذا الخبر الكفاية، فأما الغلاة فيه فهاكون كما هلك في عيسى عليه السلام وقد روى المحدثون ان رسول الله ﷺ قال له ﷺ فيك من عيسى بن مريم أبغضته اليهود فبهتت أمه، وأحبته فرفعته فوق قدره، وقد كان أمير المؤمنين عثر على قوم من اصحابه خرجوا من حد محبته باستحواذ الشيطان عليهم إلى أن كفروا بربهم وجحدوا ما جاء به نبيهم فاتخذوه رباً وادعوه الهاً وقالوا له انت خالقنا ورازقنا فاستتابهم واستأنى وتوعددهم فأقاموا على قولهم فحفر لهم حفراً دخن عليهم طمعاً في رجوعهم فأبوا فحرقهم وقال:

ألا تروني قد حفرتُ حفراً

اني إذا رأيتُ امرأً منكراً

أوقدتُ ناري ودعوتُ قنبراً^(١)

لذا نجدهم قد فرّقهم الشيطان وجعل منهم الغلاة والنواصب ومزّقهم، حتى آل الامر ان يكونوا اولياءه وطعمته، كما ان الغنم التائهة تكون من نصيب الذئاب. ثم يحذّر ﷺ من الكبر فيقول (الا وقد أمعنتم في البغي وأفسدتم في الارض، مصارحةً لله بالمناصبية، و مبارزة للمؤمنين بالمحاربة، فالله الله في كبر الحميّة وفخر الجاهلية فانه ملاقح الشنثان، ومنافع الشيطان التي خدع بها الامم الماضية، والقرون الخالية. حتى أعنقوا في حنادس جهالته، ومهاوي ضلالته، ذللاً عن سياقه، سلساً في قياده، أمراً تشابهت القلوب فيه، وتتابعت القرون عليه، وكبراً تضايقت الصدور به)^(٢).

١ - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد المجلد الثاني الجزء ٨، صفحة ٣٠٨.

٢ - نهج البلاغة - د. صبحي الصالح. خطبة القاصه ص ٢٨٩ رقم ١٩٢ نهج البلاغة - محمد

هنا يبيّن لنا الإمام عليه السلام كيف للشَّيْطَان يد في تكبر الإنسان حيث يقول انكم بالغتم في الظلم والعدوان، وأفسدتم في الارض علانية وظهوراً لله بالعداوة والبغضاء وصراعاً وحرباً على المؤمنين فياكم والتكبر والتفاخر فإنه في العصية والجاهلية وسبباً لولادة البغضاء بعد إندكاكها وتجانسها وهنا يصوّر لنا تصويراً رائعاً حيث يقول ومنافع الشَّيْطَان.

المنافع لغة: جمع منافع والمنافع هو كير الحداد، الذي ينفخ به في النار، وابن سيده يقول: نفخ بفيه إذا أخرج منه الريح^(١). وكأن الشَّيْطَان يستخدم المنافع التي تقوم بدفع الهواء في هؤلاء فيكونوا قد امتلأوا هواءً واعتقدوا انهم صاروا كباراً وعظماً في حين انه لا واقع لهم بذلك.

وهذه المنافع خدع الشَّيْطَان بها الامم الماضية والاجيال السابقة حتى تلاشوا وانقرضوا واعتقوا من أعنت الثريا - أي غابت، فهم غابوا واختفوا في حنادس جهالته أي في ظلمات جهالته الشديدة و تردي ضلالته العميقة، سهولة الانقياد سلسلة حيث يقودها إلى اية جهة شاء فهو متسلط عليهم، أمراً لهم، وكأنه توافقت القلوب عليه وتتابع الاجيال وكأنه تواتر حصل واتفاق تم بين هؤلاء جميعاً، وتكبراً ضاقت الصدور به لانه أمر غير طبيعي.

ثم يذكر لنا عليه السلام في نفس الخطبة (القاصعة) قربته من رسول الله ﷺ وهو ما قبل السنة العاشرة من عمره الشريف فيقول (... ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أمّه يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً، ويأمرني بالاعتداء به، ولقد كان يجاور

عبده - خطبة القاصعة رقم (١٩٠) صفحة ٣٩٨.

١- لسان العرب: ابن منظور ج ١٤، صفحة ٢٢٦.

في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ، وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان، حين نزل الوحي عليه ﷺ فقلتُ (يا رسول الله ما هذه الرنة؟) فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك وزير، وإنك لعلئ خير^(١).

ان الإمام عليه السلام يعبر عن التجربة التي لم يعشها مسلم منذ كان الإسلام وإلى ان قبض رسول الله ﷺ إلى رحاب ربه فيقول انه سمع رنة الشيطان والرنة هي كناية عن الصرخة، فسأل الإمام عليه السلام رسول الله ﷺ عن هذه الرنة او الصيحة او الصرخة فاجابه رسول الله ﷺ ان هذه الصرخة هي صرخة الشيطان، صرخ لانه يأس من ان يطاع حيث جاء خاتم الانبياء بخاتم الرسالات، ثم قال له انك تسمع ما اسمع، أي ان دورك هو الامامة والخلافة والوزارة التي هي الوصاية منذ كان علي عليه السلام في بداية شبابه اراد له ان يواكب رساله منذ البداية وهو دون العاشرة واجواء الغيب الذي لايشعر به الناس كما يعيش مضمون الرسالة في القرآن وفي السنة^(٢).

ثم يخاطب حارث الهمداني في موضع آخر فيقول (... واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة الاعوان على طاعة الله، واقصر رأيك على ما يعينك. وإياك ومقاعد الاسواق، فإنها محاضر الشيطان ومعارض الفتن. واكثر ان تنظر إلى من فضلت

١ - نهج البلاغة - د. صبحي الصالح خطبة (١٩٢) ص ٣٠٠ - ٣٠١ / نهج البلاغة - محمد عبد خطبة (١٩٠) ص ٤١١ - ٤١٢.

٢ - الندوة (٩) محمد حسين فضل الله - ص ١٩٥ - ١٩٦.

عليه فإن ذلك من ابواب الشكر...»^(١)

هنا الإمام عليه السلام يخاطب حارث الهمداني فيقول له هناك اماكن ينبغي تجنبها وهي التي تؤدّي بالانسان إلى الغفلة وابتعاد المؤمنين عنه الذين يعينونه في الهداية والسداد ثم يقول له اهتم بامورك التي تسأل عنها وتهمك في الدنيا والاخرة وابتعد عن الجلوس في الاسواق لانها عرض ومرتع للشيطان حيث الشهوات وحب الدنيا الذين يقودان إلى المعاصي كما هي السهام التي تكون مدببة من الطرفين وغليظة الوسط تصيب بعرضها دون حدودها، فكذلك الاسواق ما يمر على النظر فيها من مثيرات اللذات والشهوات.

ثم يقول في موضع آخر مخاطباً معاوية «... وأعلم ان الشيطان قد ثَبَّتَكَ عن ان تراجع احسن امورك، وتأذن لمقال نصيحتك والسلام لاهله».^(٢)

الإمام عليه السلام يقول لمعاوية ان الشيطان قد اقعذك عن ان تراجع فكرك وعقلك وتختار افضل الحلول، وهوان تسمع النصيحة التي هي خير لك في الدنيا والآخرة وهي الطاعة لنا وسماع مقالنا والسلام لمن يستحق السلام واهله، وانت لست من اهله.

ومن رسائله عليه السلام إلى عبدالله بن العباس، عند استخلافه على البصرة «سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، واياك والغضب فانه طيرة من الشيطان. وأعلم

١- نهج البلاغة - د. صبحي الصالح - باب الرسائل ٦٩، ص ٤٦٠ «نهج البلاغة - محمد عبده - باب الرسائل ٣٠٧، ص ٦١٥.

٢- نهج البلاغة - د. صبحي الصالح - باب الرسائل ٧٣، ص ٤٦٣، نهج البلاغة - محمد عبده - باب الرسائل ٣١١، ص ٦١٩ - ٦٢٠.

أَنْ مَا قَرَّبَكَ مِنْ اللَّهِ يَبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ وَمَا بَاعِدُكَ مِنَ اللَّهِ يَقْرِبُكَ مِنَ النَّارِ^(١)
 هنا الإمام عليه السلام يقول لابن عباس عليك بحسن الخلق وطلاقة الوجه وافتح
 ابوابك للناس، فانك ان لم تسعهم باموالك سعيهم باخلاقك واياك ان تغضب، لأن
 الغضب باب تفتحه لنفسك يدخله الشيطان فتكون حالة من الخفة والطيش وسوء
 التصرف. وأعلم ان كل عمل يقربك من الله يبعدك ذلك العمل من النار وكل عمل
 يبعدك من الله فانه يدخلك نفس ذلك العمل النار وباختصار ان الطاعات يدعو
 بعضها بعضاً فتدخل بها الجنة والمعاصي يدعو بعضها بعضاً فتدخل بها النار.

وقال عليه السلام، وقد مر بقتلى الخوارج يوم النهروان:

«بُؤْساً لَكُمْ، لَقَدْ ضَرَّكُمْ مِنْ غَرِّكُمْ، قَقِيلٌ لَهُ: مَنْ غَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ:
 الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ، وَالْأَنْفُسُ الْأَمَّارَةُ بِالسَّوْءِ، غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ
 بِالْمَعَاصِي، وَوَعَدَتْهُمْ الْأَظْهَارَ، فَأَقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ»^(٢).

الإمام عليه السلام يتأسف على سوء عاقبة الخوارج اصحاب الليل والقرآن وأهل
 الجباه السود - فيقول لهم بُؤْساً لَكُمْ - والبؤس هو الحزن والفقر والاذى والشدّة -
 أي تعساً لكم، لقد الحق بكم الضرر والاذى من خدعكم، ثم سئل الإمام عليه السلام من
 الذي خدعهم؟ فأجابهم ان الذي خدعهم هو الشيطان المضل لهم، فهو ضال لنفسه
 ومضل لغيره، وليس الشيطان وحده فحسب بل هناك تزواج وتعاقد واتفاق مبرم
 بينه وبين النفس الامارة بالسوء، كلاهما يكمل بعضهما بعضاً فهما يزنيان كل قبيح
 ويعدان ويعنيان بالاحلام والامال حتى يتركان صاحبهما وسط الطريق ليواجه

١ - نهج البلاغة - د. صبحي الصالح - باب الرسائل ٧٦، ص ٤٦٥، نهج البلاغة - محمد عبده -
 باب الرسائل ٣١٤، ص ٦٢٢.

٢ - نهج البلاغة - د. صبحي الصالح - الحكمة ٣٢٣، ص ٥٣٢.

المحنة وحادّة، ويكابد سوء العاقبة ودخول النار ولكن ليس بالشكل الطبيعي وانما بالاقحام اقحمت بهم النار، والاقحام هو الدخول في الشيء من غير رويّة قال الإمام عليّ عليه السلام «من سرّه ان يقتحم جرائم جهنم فليقتض في الجَدِّ» أي يرمي بنفسه في معازم عذابها... واقحم النجم إذا غاب وسقط، والقحم الامور العظام التي لا يركبها كل أحد^(١).

الحكمة في خلق الشياطين

ان الله سبحانه في كل مخلوق حكمة ومصلحة، لاستحالة العبث والقيح في افعاله و الاهمال والتعطيل في ايجاده، وان الإنسان كما ينتفع من إلهام الملك كذلك ينتفع بوجه من وسوسة الشيطان، الم تر ان تبعة الوهم والخيال وأهل الضلال هم اصحاب الشياطين، ثم لو لم تكن أوهام المعطلين و خيالات المتفلسفين و الدهريين وسائر أولياء الطاغوت وفنون اعوجاجهم لما انبعث اولياء الله وأهل الحكمة و العرفان في تحقيق الحقائق وتعليم العلوم وطلب البراهين لبيان التوحيد وعلّة الحدوث للعالم على سبيل اليقين، وكذا في أمثال هذه المسائل وكذا القياس في تهذيب الأخلاق واستقامة الاحوال وصحة الاعمال، لو لم يكن اغتيال المفتابين وتجسس المتجسسين لعيوب الناس، لم يجتنب الإنسان كل الاجتناب من العيوب الخفية التي لا يراها احباؤه، وانما يظهر له ثبوتها من تدقيقات الاعداء وتجسسهم عيوبه وإظهارهم إيّاها له. فكم من عدوّ خيبت الذات ينتفع الإنسان من عداوته اكثر مما ينتفع به من محبة الاصدقاء.

فإن المحبة مما تورث الجهل بعيوب الحبيب والعمى عن معاينة معاييه
وسماع مثالبه كما قيل:

وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين العداوة تبدى المساويا
فظهر ان لوجود الاعمال الشيطانية في العالم منافع عظيمة، ومن فوائد
الآلام والمحن والشدائد التي تصل إلى العبد من أهل الظلم والجور، انه يوجب له
سرعة الرجوع إلى باريه واللاحق إلى اوليائه الماضين وترك الاخلاص إلى
الارض، والاجتناب عن معاشره أهل الدنيا، لما يرى من أبناء الزمان ما يزعجه
عن الخلق ويمله عن الدنيا، وينفر طبعه عنهم ويفر إلى الله الواحد فراراً عن الدنيا
وما فيها و تقرباً إليه تعالى وملكوته الأسنى^(١).

إذا انكشف وتحقق للعارف المحقق والبصير المحدث انه إذا تجلت ثمار
عظمة القدس ووقعت انوار جماله وأشعة جلاله على صفائح هياكل الهويات
وصحائف قلوب الانبياء، فكما ينشأ منه منبع النور النبوي المحمدي وضوء
السراج الاحمدي ومادة الحياة الابدية وإكسير السعادة السرمديّة، فكذلك ينشأ
منه كبريت النار الابليسيّة، وينقدح منه شرارة الادخنة الظلماتية.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: (بعثت داعياً وليس الئى من الهداية شيء
و خلق إبليس مضلاً وليس إليه من الضلالة شيء، من يهذى الله فلا مضل له ومن
يُضلل فلا هادي له).^(٢)

١ - مفاتيح الغيب - صدر الدين الشيرازي ص ٣٤١ - ٣٤٢

٢ - مفاتيح الغيب - صدر الدين الشيرازي ص ٣٤٤.

٣- الشَّيْطَانُ كَمَا وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي الصَّحِيفَةِ السَّجَّادِيَّةِ

لقد ورد ذكر الشيطان الرجيم في الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام حيث يستعيز بالله منه ومن نزغاته ومكائده وامانيه واضلاله للمؤمنين، وكيف لنا ان ننجا من حبائله وشراكه بالانقطاع إلى الله عز وجل والتوكل عليه بشهادتنا له بالربوبية وبالاخلاص له بالوحدانية والعمل بحقيقة العبودية له وحده لا شريك له.

قال السجادة عليه السلام:

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَكَيْدِهِ وَمَكَائِدِهِ وَمِنْ الثَّقَةِ بِأَمَانِيَّتِهِ وَمَوَاعِيدِهِ وَغُرُورِهِ وَمَصَائِدِهِ وَأَنْ يُطْمَعَ نَفْسُهُ فِي إِضْلَالِنَا عَنْ طَاعَتِكَ، وَامْتِهَانِنَا بِمَعْصِيَتِكَ أَوْ أَنْ يَخْسَنَ عِنْدَنَا مَا حَسَنَ لَنَا أَوْ أَنْ يَثْقُلَ عَلَيْنَا مَا كَرِهَ إِلَيْنَا.

اللَّهُمَّ اخْسَأْ عَنَّا بِعِبَادَتِكَ، وَاكْتَبْهُ بُدْؤُونَا فِي مَحَبَّتِكَ، وَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِتْرًا لَا يَهْتِكُهُ، وَزِدْنَا مُصْمِتًا لَا يَفْتَقُهُ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاشْغَلْهُ عَنَّا بِبَعْضِ أَعْدَائِكَ، وَأَعْصِمْنَا مِنْهُ بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ وَاكْفِنَا خَشْرَهُ، وَوَلِّْنَا، واقطَعْ عَنَّا إِثْرَهُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَمْتَعْنَا مِنَ الْهُدَى بِمَثَلِ ضَلَالَتِهِ، وَزَوِّدْنَا مِنَ التَّقْوَى ضِدَّ غَوَايَتِهِ، وَاسْلُكْ بِنَا مِنَ التَّقَى خِلَافَ سَبِيلِهِ مِنَ الرَّدَى، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لَهُ فِي قُلُوبِنَا مَدْخَلًا، وَلَا تَوَطِّنْ لَهُ فِيمَا لَدَيْنَا مَنْزَلًا. اللَّهُمَّ وَمَا سَوَّلَ لَنَا مَن بَاطِلٍ فَعَرَّفْنَاهُ، وَإِذَا عَرَفْتَنَاهُ فَقِنَاهُ، وَبَصَّرْنَا مَا نَكَأَيْدُهُ بِهِ، وَالْهَمْنَا مَا نَعِدُّهُ لَهُ وَأَيَقِظْنَا عَنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ بِالرَّكُونِ إِلَيْهِ، وَأَحْسِنْ بِتَوْفِيقِكَ عَوْنَنَا عَلَيْهِ. اللَّهُمَّ وَاشْرَبْ قُلُوبَنَا إِنْكَارَ عَمَلِهِ، وَالطُّفْ لَنَا فِي نَقْضِ حِيلِهِ.

اللهم صل على محمد وآله وحول سلطانهم عنا واقطع رجاءهم منا واذرأه عن الولوع بنا. اللهم صل على محمد وآله. واجعل آباءنا وأمهاتنا وأولادنا وأهلنا وذوي أرحامنا وقراباتنا وجيراننا من المؤمنين والمؤمنات... منه في حرز حارز، وحِصنٍ حافظ وكهفٍ مانع، وألبسهم منه جُنناً واقيةً، وأعطهم عليه اسلحةً ماضيةً اللهم واعظمْ بذلك من شهد لك بالربوبية وأخلص لك بالوحدانية وعاداه بحقيقة العبودية واستظهر بك في معرفة العلوم الربانية. اللهم احلِّ ما عقد، واقطع ما رتق وأفسخ ما دبّر وثبّطه إذا عزم، وأنقض ما أبرم. اللهم واهزم جُنْدَهُ وأبطل كيده واهدم كهفه وأرغم أنفه.

اللهم اجعلنا في نظم أعدائِهِ، واعزلنا عن عدادِ أوليائِهِ لانطیعُ له إذا استهوانا، ولا نستجيبُ لَهُ إذا دعانا، نأمرُ بمُنْاواتِهِ مَنْ أطاعَ أمرنا، ونعِظُ عن متابعتِهِ مَنْ اتَّبَعَ رَجْرنا.

اللهم صل على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وأعدنا وأهلنا وإخواننا وجميع المؤمنين والمؤمنات معاً استعذنا منه وأجرنا معاً استجرتنا بك من خوفِهِ، واسمع لنا ما دعونا بِهِ، وأعطنا ما أغفلناه واحفظ لنا ما نسيناه وصيّرنا بذلك في درجات الصالحين ومراتب المؤمنين آمين رب العالمين»

يستعيز الإمام بالله تعالى شانه من الشيطان الرجيم فيقول اللهم - يا الله - انا نلجأ إليك من وساوس الشيطان المطرود من ساحة رحمتك وعزك، ونلجأ إليك من أساليب تضليله إلينا ومكره وحيله ومن الاطمئنان لمواعيده وغروره وخداعه واكاذيبه، وأن يكون له الامل أو الرجاء في اضلالنا عن طاعتك يا رب العالمين،

وإن تحتقرنا بارتكاب معاصيك، حيث نرى الشرَّ خيراً والجهل علماً، والخرافة ديناً، والهدر بلاغة - اللهم - اطرده عنا واشغلنا عنه بالطاعات وفعل الخيرات واخزه ورد كيده بجدنا واجتهادنا فيما يرضيك واجعل بيننا وبينه ستراً وحصناً وسداً منيعاً لا يستطيع اجتيازه أو خرقه أو نقضه. واشغله عنا ببعض اعدائك واحفظنا منه بحفظك وعنايتك، واكفنا غدره واغتياله، واصرفه عنا واجعل اقوالنا وافعالنا ومقاصدنا كلها خالصة لوجهك الكريم.

اللَّهُمَّ صل على محمد وآله ومتعنا من الهدى بمقدار ضلالتة حيث لا أحد أخلص لمهنته وكافح من أجلها كابليس اللعين اللهم زدنا من الهدى بما يقابل ضلالتة، ومن التقوى بما يقابل غوايته وخداعه، فمن اعطى قلبه للشيطان فقد النقي وجوده واصبح اداة والعوبة بيده ولا يمكن ان تستقيم الحياة في أي مجتمع يتحرك فيه الاشرار والقراصنة بحريّة وبلا رادع أو زاجر من انصار الحق والعدل. اللهم وما زين وسهل لنا من الباطل فعرّفناه واذا ادركناه فقناه وجنبناه آياه، وعرفنا بما نستطيع مجابهته به وما نستعد له وبه، ونبها عن الغفلة والسكون والركون إليه.

واملاً افندتنا انكاراً له، واجعل قلوبنا مشمّزة منه ومن عمله، وهب لنا نوراً نستضيء به في ظلمات الشبهات والشكوك والمرديات.

واجعلنا من عبادك المؤمنين من الذين ليس للشيطان سلطان عليهم، واقطع رجاء الشيطان منا وادفعه عنا فلا نجبه ولا نريده، حيث لا يحب الشيطان إلّا من استمع له واغتر بحيله وعلله.

فقد ابتدأ الإمام عليه السلام دعاءه هذا متعوّذاً من الشيطان بضمير المتكلم ومن معه على سبيل الأجمال ثم قال «واجعل اباءنا وامهاتنا...» أي ثم فصل بذكر الذين

اشركهم في الدعاء وهم الاولاد والآباء وسائر الارحام والجيران والخلان وكل من قال [لا اله إلا الله محمد رسول الله] طلب للجميع الصلاح والفلاح لتبقى الصلة فيما بينه وبينهم قائمة ودائمة دنيا وآخرة، حيث لا قرابة ولا صداقة يوم الفصل إلا بين المؤمنين المتقين، قال سبحانه ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

واذا كانت ملّة الكفر واحدة فملّة الإيمان كذلك واحدة وقد دعا رسول الله صلي الله عليه وسلم أول مادعا عشيرته الاقربين بأمر من الله الذي خاطبه بقوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ❖ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٢) ولما ردوا دعوته التمس قبولها عند الابعدين عنه فاستجابوا له وفدوه بالمهج، وكان الآباء يبارزون الأبناء وهؤلاء يتربصون باولئك، وبهذا كانوا أقرب له وألصق به دنيا وآخرة من القربات واولي الارحام الكفرة وفي نهج البلاغة: «إن ولي محمد من اطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدو محمد من عصى وإن قربت قرابته...» رب قريب أبعد من بعيد ورب بعيد أقرب من قريب^(٣). ثم قال ﷺ اللهم احفظ الجميع ممن سبق ذكرهم ووصفهم في مكان امين بعيد عن متناول الشيطان وقد ارتدوا الملابس الواقية الحافظة من كل سوء وقد تزودوا بأسلحة قوية شديدة يدافعون بها عن انفسهم ويدفعون بها ذلك العدو، وهذا يتمتع به كل من شهد بانك خالقه وربّه واخلص بشهادته في توحيدك، ونصب للشيطان العداوة بصدق

١ - الزخرف، ٦٧.

٢ - البقرة، ٢١٤.

٣ - في ظلال الصحيفة السجادية - محمد جواد مغنية ص ١٦٩.

عبوديته لك وحدك لاشريك ومثيل لك، واستعان بك عليه بالحجج البالغة والادلة الدامغة والعلوم الربانية والالطاف الالهية...

أي معرفة ما يجب الايمان بها كعقيدة وكنظام ينبثق من تلك العقيدة، وكذلك في السلوك معرفة ما يجب فعله أو تركه وكل ذلك تصدق عليه كلمة التفقه في الدين أو معرفة الدين قال تعالى: ﴿لَيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾^(١)

وقال رسول الله ﷺ: (تفقهوا في الدين...)، (عليكم بالتفقه بالدين).

اللهم ابطل كل أمر عزم عليه الشيطان وبادر إليه، ومزق كل مانسج واحلل عزيمة ما اراد من كيد ومكر اراده لنا واحجبه ولا توصله إلى مرامه و مراده.

اللهم واهزم جنده المتمثل من الداخل بالنوايا السيئة ومن الجشع والطمع والحرص والحسد والحقد والشر وبالنفس الامارة بالسوء وغيرها كثير، ومن الخارج المتمثل بشياطين الانس والجن، اللهم اهزمه امامنا وارغم أنفه واجعلنا من اعدائه ولا تجعلنا من اوليائه حيث لانطيعه ولا نستجيب له ولا نأتمر بأمره بل نأمر المطيعين لنا بعداوتيه بأن يكونوا أعداء له ونعظ من ينتهي بنهينا اذانهيناهم بأن ينتهوا عن متابعتيه وهكذا اطال الإمام عليه السلام في الدعاء وجعله شاملاً للاهل والاخوة ولكافة المؤمنين والمؤمنات وقد أقرن ذلك بالصلاة على محمد وآله باعتبارها دعوة مستجابة وختم ذلك بأن يكونوا في درجات الصالحين ومراتب المؤمنين.

نجد روح المحبة للجميع والتسامح من خلال قوله عليه السلام «اللهم وصل على التابعين من يومنا هذا إلى يوم الدين وعلى ازواجهم وعلى ذرياتهم وعلى من

اطاعك منهم صلاة تعصمهم بها من معصيتك، وتفسح لهم في رياض جنتك وتمنعهم بها من كيد الشيطان....»^(١).

المراد بالصلاة هنا التوفيق والهداية إلى الطاعة بقرينة العصمة من المعصية^(٢) وتكون المحصلة انك توسع لهم في بحبوحات جناتك، وتمنعهم وتحفظهم بهذه الصلاة ودخولهم الجنة من مكر الشيطان وطرقه واحاييله.

وقال ﷺ «اللهم صل على محمد واله، واكفنا حدَّ نوائب الزَّمان وشرَّ مصائد الشيطان»^(٣) الحد هنا مأخوذ من الحِدَّة والشِدَّة او من الحرب والعداء كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

والنوائب: المصائب (وشر مصائد الشيطان) كلف سبحانه وتعالى الإنسان وترك له الحرية في العمل حيث لا انسانية بلا حرية وحذرته من خداع المغريات واتباع الشهوات وكثيراً ما يطلق عليها حبال الشيطان ومصائده لانها تقود إلى غضب الله ومعصيته تماماً كما فعل ابليس مع آدم وزوجه^(٤).

ويقول ﷺ: «ونعوذ بك ان ننطوي على غش أحد، وأن نُعجب بأعمالنا، ونُمدَّ في اموالنا، ونعوذ بك من سوء السريرة، واحتقار الصغيرة وأن يستحوذ علينا الشيطان....»^(٥).

قال رسول الله ﷺ «من غشنا فليس منا، ويحشر يوم القيامة مع اليهود لانهم

١ - الصحيفة السجادية الكاملة - علي انصاريان - ت ٤ ص ٣٢ و ٣٣

٢ - في ظلال الصحيفة السجادية - محمد جواد مغنية - ت ٤ ص ٦٠

٣ - الصحيفة السجادية - علي انصاريان - ت ٥ ص ٣٦

٤ - في ظلال الصحيفة السجادية - محمد جواد مغنية - ت ٥ ص ٦٦

٥ - الصحيفة السجادية - علي انصاريان ت ٨ ص ٤٦

اغش خلق الله»، والذي يعجب بأعماله خرافي أحق لانه لا يرى إلا ذاته، ومن خلالها ينظر إلى الأشياء فهي دينه ودينه، وهو يعنى عن نقائضها، كما ان الأمل نوعان:

مذموم: إذا بعث إلى العمل للدنيا فقط، ونسي ما وراءها
وممدوح: إذا بعث إلى العمل للدنيا والآخرة معاً، وفي شتى المناحي وتقلبات الظروف والاحوال. لاهية بلا عمل، ولا عمل بلا أمل، وفي الحديث الشريف «الامل رحمة لأمتي، ولولاه ما أرضعت والدته ولدها، ولا غرس غارس شجرة».

«ونعوذ بك من سوء السريرة» هي النية المطلوبة، وسوؤها أن لا يشعر المسيء إلا بنفسه ولا يغضب إلا لها... هو وحده ومن بعده الطوفان، وحسنها ان يشعر المحسن بالام الآخرين، ويغضب للمظلومين والمحرومين (واحتقار الصغيرة) أي السيئة الصغيرة - كما يراها الفاعل - وهي في واقعها كبيرة لجزره تعالى عنها ونهى^(١).

(وان يستحوذ علينا الشيطان) والاستحواذ التسلط والسيطرة فيكون من أنصار او اعوان او اولياء الشيطان والعياذ بالله، وهي من اخطر المراتب ان يتسلط علينا الشيطان فيسيرنا كيف شاء وأنى شاء، ولا تتم سلطته إلا من بعد ما تقدم من استدراج وتمهيد.

وقوله ﷺ « اللهم إن الشيطان قد شمت بنا إذ شايعناه على معصيتك، فصل

على محمد وآله، ولا تشمت به بنا بعد تركنا إياه لك ورغبنا عنه إليك»^(١).

لقد شمت إبليس بآدم بعد أن أغراه بالشجرة، ونال جزاءه بالخروج منها، ثم تاب آدم عن قريب وعفا الله عما سلف والآن قد مثل الشيطان معنا نحن اولاد آدم نفس الدور و اسرفنا على انفسنا تماماً كما اسرف الوالد، وقد تبنا كما تاب، فاصفح وتسامح عن الاولاد كما صفحت وتسامحت من قبل عن أينا آدم ﷺ.

ويقول ﷺ «ومن أبعد غوراً في الباطل وأشد إقداماً على السوء مني حين أقف بين دعوتك ودعوة الشيطان، فأتبع دعوته على غير عمى مني في معرفة به ولانسيان من حفظي له؟ و أنا حينئذ موقن بأنّ منتهى دعوتك إلى الجنة ومنتهى دعوته إلى النار...»^(٢).

هنا الإمام يعكس خطورة الاستجابة لدعوة الشيطان، حيث أنها تمثل الغور إلى اعماق الباطل، و أنها شدة في الاقدام على المعاصي والابتعاد عن رحمة الله وطاعته، والسوء هو كل ما يضر بصاحبه والآخرين، والخير هو كل ما ينفع صاحبه والآخرين، فكيف يستجيب الإنسان لدعوة الشيطان وهو يعلم يقيناً أنها تؤدي به إلى الهلكة والنار ويترك الاستجابة للرحمان وهي تؤدي به إلى النجاة والجنة فالامام هنا يتعجب اشد العجب من وضوح الطريق وتركه إلى الضلال والنار.

وقال ﷺ (اللهم اجعل ما يلقي الشيطان في روعي من التمني والتظني والحسد.. ذكراً لعظمتك، وتفكيراً في قدرتك، وتديراً على عدوك، وما أجري على

١ - الصحيفة السجادية - علي انصاريان ت ١٠، ص ٥٠

٢ - الصحيفة السجادية: علي انصاريان ت ٢٠، ص ٨٤.

لساني من لفظة فحش أو هُجر أو شتم عرض أو شهادة باطل أو اغتيال مؤمن غائب أو سب حاضر وما أشبه ذلك.. نُطقاً بالحمد لك، واغراقاً في الثناء عليك، وذهاباً في تمجيدك، وشكراً لنعمتك، واعترافاً بإحسانك، وإحصاءً لمنك^(١).

أي اللهم أسألك ان تعصمني مما يلقي الشيطان في قلبي من الوسوس والاهواء والافكار السوداء، واجعل مكان ذلك ذكرك الحسن على كل حال سواء كان قلبي متوجهاً إليك أم منصرفاً عنك ومشغولاً بغيرك واجعلني متفكراً بقدرتك لأنه يُؤدِّي إلى معرفتك والايمان بك قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢)

والتندير على عدو الله مقاومته وردعه، وما يحاول الشيطان ان يجري على لساني، من لفظ فاحش او شتم او شهادة باطل، او غيبة لمؤمن، فأسألك اللهم ان تعصم لساني عن النطق باي قبيح، واجعل مكان ذلك النطق بحمدك على السراء والضراء وشكراً لنعمائك واقراراً بإحسانك وتعظيمك لنعمك.

وقال ﷺ «وأعذني وذريتي من الشيطان الرجيم، ومن شرِّ السَّامة والهامة واللامة والعامّة، ومن شرِّ كل شيطان مريد...»^(٣)

اللهم اني ألجأ إليك وأتحصن بحصنك وذريتي من الشيطان الطريد المبعد من ساحة رحمتك، ومن شر كل ذات سم غير قاتل وشر كل مؤذٍ وكل نكبة وكل ما يخاف منه، ومن شرِّ كل شيطان قد اسفر للعداوة والبغضاء وقد تمرّد على الحق.

١- في ظلال الصحيفة السجادية - محمد جواد مغنّية ت ٢٠ ص ١٩٨

٢- آل عمران، ١٩١.

٣- الصحيفة السجادية - علي انصاريان ت ٢٣، ص ٩٨.

وقال ﷺ: «وأعدني من الشيطان الرجيم، فإنك خلقتنا، وأمرتنا ونهيتنا، ورغبنا في ثواب ما أمرتنا، ورهبتنا عقابه، وجعلت لنا عدواً يكيدنا، سلطته منا على ما لم تسلطنا عليه منه، أسكنته صدورنا، وأجريته مجاري دماننا، لا يغفل إن غفلنا، ولا ينسي إن نسينا، يؤمننا عقابك، ويخوفنا بغيرك، إن هممنا بفاحشة شجعنا عليها، وإن هممنا بعمل صالح تبطننا عنه، يتعرض لنا بالشهوات، وينصب لنا بالشبهات، إن وعدنا كذبنا، وإن مآنا أخلفنا، وإلا تصرف عنا كيده يضلنا وإلا تقنا خباله يسترلنا.

اللهم فاقهر سلطانه عنا بسلطانك، حتى تحبسه عنا بكثرة الدعاء لك فتصبح من كيده في المعصومين بك»^(١).

خلق سبحانه الإنسان ومنحه عناصر ثلاثة هي: العقل، والقدرة، والحرية، وبهذه العناصر مجتمعه يستحق الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية، فالله سبحانه يخوف بعقابه في الأمر والزجر، وجعل لنا عدواً هو الوسواس الخناس الذي يغلي في الصدور من الحقد والحسد والعزم على غيرهما من المآثم والدليل قوله (أسكنته صدورنا، وأجريته مجاري دماننا)، ومعنى قوله (سلطته منا على ما لم تسلطنا عليه)

معناه أن هذا الوسواس الخبيث لا هو يذهب من تلقاء نفسه، ولانحن نستطيع الفرار منه. فهو قريب جداً مما بل هو ملازم لنا وليس لنا بُد من ذلك. وهذا واقع لا شك فيه ومن أجل ذلك لا يحاسب سبحانه وتعالى ولا يعاقب على أي شيء

يدور ويمور في النفس من الافكار والنوايا السوداء إلا إذا ظهرت وتجسمت في نية أو قصد أو عزم أو قول أو فعل، فالشيطان يؤمننا عقاب الله سبحانه حيث يضمن لنا الامن والامان من غضبه وعذابه سبحانه ويخوفنا بغير الله تعالى، ان اردنا وفكرنا ان نعمل منكراً وسوءاً يشجعنا عليه ويحثنا على ارتكابه وهنا اشارة إلى جهاد النفس حيث الجهاد الاكبر، واذا أردنا ان نعمل صالحاً جثم على صدورنا وتبتطنا عنه وجعلنا نسوفه، فهو يزين لنا الشهوات، و يظهر لنا الافكار الخاطئة انها صحيحة، حيث يلبس الباطل ثوب الحق والحق ثوب الباطل، ان وعدنا أخلف وعده ﴿يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾^(١)

فيا رب ان لم تصرف عنا كيد الشيطان ومكره فإنه يضلنا، وان لم تجنبنا حيله وفساده فانه يخرجنا من طاعتك إلى طاعته، ويوقعنا بالزلل والخطايا، فيا ربنا هب لنا من لدنك صبراً على الطاعة وصبراً على المعصية وصبراً على المصيبة ونصراً على الهوى حتى لانعصيك في كل الاحوال و حتى تحبسه عنا في كثرة دعائنا لك فنكون من كيده سالمين ومعصومين بك يارب العالمين.

ثم يقول عليه السلام « هذا مقام من تداولته ايدي الذنوب، وقادته أزمة الخطايا، واستحوذ عليه الشيطان... »^(٢).

طبعاً ليس هذا اعتذاراً واقلعاً منه عليه السلام، كيف وهو الإمام المعصوم بل استغفاراً وخضوعاً لله سبحانه، فهو يقول هذا مقام من وقع فريسة الذنوب وهنا تصوير رائع جداً وهو ان يشبه الذنوب وكأن لها أيدي تمسك بفريستها لتستحوذ

١- سورة النساء، ١١٩- ١٢٠.

٢- الصحيفة السجادية: علي انصاريان، ت ٣١، ص ١٢٣.

عليها وتتصرف بها كيف شاءت، وقادته الخطايا لما تشاء، و تسلط عليه الشيطان فاملئ عليه وامره بالكبائر ...

ثم يقول ﷺ «وقد استحوذ عليّ عدوك الذي استنظرك لغوايتي فأنظرته، واستمهلك إلى يوم الدين لاضلالي فأمهلته فأوقعني وقد هربتُ إليك من صغائر ذنوب موبقة وكبائر أعمال مردية.

حتى إذا قارفت معصيتك، واستوجبت بسوءٍ سعيي سخطك، فتل عذار غدره وتلقاني بكلمة كفره وتولّى البراءة مني، وأدبر مولياً عني، فأصحرني لغضبك فريداً، وأخرجني إلى فناء تقمّتك طريداً، لا شفيع يشفع لي إليك، ولا خفيّر يؤمّني عليك، ولا حصن يحجبني عنك، ولا ملاذ الجأ إليه منك»^(١) قطعاً لاسيّل للشيطان على الإمام ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» إِنَّمَا سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ^(٢).

وعليه يكون المراد بقوله.. استحوذ عليّ وما يشبه هذا التعبير مجرد التضرع والاسترحام او كناية عن الخوف من الله والحاجة إلى فضله او ترويض النفس وعدم الرضا عنها واستمهلك إلى يوم الدين «قال رب انظرني إلى يوم يبعثون قال انك من المنظرين...» والحكمة من هذا الامهال ان تظهر النوايا والافعال التي تزين او تشين، فان الحلم لا يعرف إلا عند الغضب، والشجاعة لا تعرف إلا عند الحرب (صغائر ذنوب موبقة) أي مهلكه وكبائر ذنوب أيضاً مهلكه، ولكن للهلاك منازل مختلفة، فالعذاب الشديد على الذنب الكبير. ومادونه على الذنب الصغير، حتى إذا

١ - الصحيفة الجادية - علي انصاريان ت ٣٢، ص ١٣٠.

٢ - سورة النحل، ٩٨ - ١٠٠.

فعلت معصيتك، وحق عليّ عذابك بسوء فعلي انصرف عني بوجهه وتركني وحيداً وتلقاني بكلمة كفره «وقال الشيطان لما قضى الامر... اني كفرت بما اشركتُموني من قبل»^(١).

وتولّى البراءة مني وأدبر مولياً عني وقال: اني أخاف الله رب العالمين وهكذا كل خائن محتال يغري ضعاف العقول بالفساد والضلال ويمنّهم الاماني، فإذا وقعت الواقعة تنصل وتجاهل.

فأصحرني وجعلني تائهاً في بيداء الضلالة متصدياً لحلول غضبك بي فريداً وحيداً، وأخرجني من طاعتك إلى عذابك وسطوتك لاناصر ولاشفيع.. وخفير أي مجير بمعنى ولا مجير يجعلني في أمن وأمان من غضبك عليّ ولا يمنعني منك مانع^(٢).

وقال ﷺ: «قد ملك الشيطان عِناني في سوء الظن وضعف اليقين، فأنا أشكو سوء مجاورته وطاعة نفسي له، وأستعصمك من مَلَكَتِهِ، وأتضرع إليك في صرف كيده عني، وأسألك في أن تسهّل إلى رزقي سبيلاً»^(٣).

يقول ﷺ (وهو المعصوم) استحوذ عليّ عدوك الشيطان بخصلتين هما سوء الظن وضعف اليقين استخدمهما في التسلط عليّ فانا اشكو إليك سوء قربه لي وطاعتي له والجأ إليك من تأثيره عليّ نفسي، وادعوك مخلصاً في ان تصرف عني مكره وان توسع في رزقي.

١- سورة ابراهيم ١٤، آية ٢٢.

٢- في ظلال الصحيفة السجادية - محمد جواد مغنیه ت ٣٢ ص ٣١٧

٣- الصحيفة السجادية - علي انصاريان ت ٣٢ ص ١٣٣

ويقول ﷺ «فلولا ان الشيطان يخذلهم عن طاعتك ما عصاك عاص، ولولا انه صوّر لهم الباطل في مثال الحق ماضلّ عن طريقك ضال»^(١).

هنا الإمام يكشف لنا حقيقة جوهرية وهي ان الشيطان لا يمكنه ان يبعد الناس عن طاعة الله إلا بشيئين هما:

أولاً: الخداع والتضليل.

ثانياً: اظهار الباطل بصورة الحق وبالعكس وإلا ما عُصى الله قط.

وقال ﷺ «اللهم صل على محمد واله، واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مؤنسا، ومن نزغات الشيطان وخطرات الوسواس حارسا...»^(٢).

هنا الإمام يصلي على محمد واله ليكون الدعاء مستجاباً ثم يظهر نكهة قراءة القرآن في ظلم الليالي فيكون مؤنساً وأنيساً ويكون هنا القرآن وتلاوته حارساً من احاييل الشيطان واباطيله.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣)

وفي اصول الكافي عن عليّ ﷺ (البيت الذي يقرأ فيه القرآن تهجره الشياطين)^(٤).

وعنه ﷺ «اللهم صل على محمد وال محمد، وجنبنا الالحاد في توحيدك،

١ - الصحيفة السجادية - علي انصاريان ت ٣٧ ص ١٤٤

٢ - الصحيفة السجادية - علي انصاريان ت ٤٢، ص ١٥٩.

٣ - سورة الأعراف، ٢٠٠.

٤ - في ظلال الصحيفة السجادية - محمد جواد مغنية ت ٤٢ ص ٣٨٤

والتقصير في تمجيدك، والشك في دينك، والعمى عن سبيلك، والاغفال لحرمتك، والانخداع لعدوك الشيطان الرجيم»^(١)

اين الالحاد من زين العباد؟

يتبدىء بالصلاة على النبي واله ثم يدعو الله أن يكون موحداً متهجداً داعياً مخلصاً سالكاً الصراط المستقيم ولا يغفل فيرتكب المعاصي ثم إلّا يخدع من قبل الشيطان الطريد. وعنه عليه السلام « اللهم صل على محمد واله، وإن ملنا فيه فَعَدَلْنَا، وإن زُغنا فيه فقومنا، وإن اشتمل علينا عدوك الشيطان فاستنقذنا منه... »^(٢).

دعاؤه عليه السلام لدخول شهر رمضان، فهو عليه السلام يدعو الله الاستقامة وعدم الانحراف، وإذا تسلط الشيطان واشتد علينا ليبعدنا عن ساحة طاعتك فاستنقذنا من شراكه واساليبه.

ثم يخاطب شهر رمضان المبارك وهو يودعه ويسلم عليه فيقول له «.. السلام عليك من مجاور رقت فيه القلوب وقلت فيه الذنوب، السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان...»^(٣).

فشهر رمضان يكون عوناً على إبعاد الشيطان... حيث الشياطين فيه مغلولة.

١ - الصحيفة السجادية - علي انصاريان ت ٤٤ ص ١٦٨

٢ - الصحيفة السجادية - علي انصاريان ت ٤٤ ص ١٦٩

٣ - الصحيفة السجادية - علي انصاريان ت ٤٥ ص ١٧٦

٤ - ماذا قال الإمام الصادق عليه السلام عن الشيطان

لقد تحدث الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن الشيطان فقال: «إذا توضأ أحدكم ولم يسمَّ كان للشيطان في وضوئه وصلاته شرك وان أكل أو شرب أو لبس وكل شيء صنعه ينبغي له ان يسمَّى عليه، فإن لم يفعل كان للشيطان فيه شرك^(١)».

إذن ينبغي للمتوضيء أو المصلي أو من يأكل أو يشرب أو يلبس أو يقوم بأي عمل ان يسمي أي يقول (بسم الله الرحمن الرحيم) كي يطرد الشيطان ويبعده وإلا كان شريكه في ذلك العمل.

❖ وعن محمد بن ادريس في آخر السرائر نقلاً عن كتاب محمد بن علي بن محبوب: عن علي بن السندي، عن حماد بن عيسى، عن حسين بن المختار، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن عيسى بن أعين يشكُّ في الصلاة فيعيدها، قال: هل يشكُّ في الزكاة فيعطيه مرتين^(٢).

هذا الحديث يكشف لنا ان الشك يحصل بسبب عدم تعلُّق القلب بتلك العبادة وانها غير ذات بال، في حين انه لا يشك في المال إذا اعطاه لانه (و تحبون المال حباً جماً) والصلاة إذا شك بها واعادها لا تكلفه شيئاً في حين إذا شك فيما اعطاه من الزكاة فانه يكلفه مالاً.

❖ عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يزال الشيطان فرحاً ما اهتجر

١ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢١، ٢٢/٥، ٧ - وسائل الشيعة الحر العاملي، ج ٧، ص ١٧٠.

٢ - وسائل الشيعة - الحر العاملي ج ٨، ص ٢٤٨.

المسلمان فإذا التقيا اصطكت ركبته وتخلعت اوصاله ونادى ياويله مالقي من الشبور^(١). إذن مرتع الشيطان في ان يهجر المسلمون بعضهم البعض الآخر فهو يفرح و يكون منتصراً عليهم في تفريقهم وتشيتهم. اما إذا التقوا وزالت البغضاء من بينهم فانه يصبه الويل والشبور إلى درجة اصطكاك ركبته وتخلع اوصاله وتمزقها وصراخه بالويل والشبور.

❖ و عن مفضل بن عمر قال: «قال لي ابو عبد الله عليه السلام: من روي على مؤمن رواية يريد بها شينه و هدم مروئته ليسقط من عين الناس، اخرج الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان»^(٢)

فقد يستحلي البعض تلفيق الاكاذيب الساخرة، للتندر على الناس والسخرية بهم، وهو لهو عابث خطير، ينتج الاحقاد والآثام^(٣) وهذا مما ينطبق عليه قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفُحْشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤)

فهذا الذي يريد أن ينتقص من المؤمنين باشاعة الاباطيل عنهم وتلفيق التهم إليهم بقصد اسقاطهم اجتماعياً فإن الله سبحانه سوف يعاقبه اشد العقاب ويعذبه اشد العذاب واكثر من هذا، فإن الله يطرده من ولايته فلا يكون ولياً له إلا الشيطان، وحتى الشيطان لا يقبله ويطرده ويتبرأ منه فيكون لا ناصر له ولا معين والكل خصمه.

١ - الكافي - الكليني ٢: ٢٥٨/٧ - وسائل الشيعة - الحر العاملي ج ١٢، ص ٢٦٢.

٢ - الكافي - الكليني ٢: ٢٦٧/٢ - وسائل الشيعة - الحر العاملي ج ١٢، ص ٢٩٤.

٣ - أخلاق أهل البيت - السيد مهدي الصدر ص ٢٩ - الكافي.

٤ - النور، ١٩.

❖ وعن غياث بن ابراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ان الشيطان يدير ابن آدم في كل شئ، فإذا أعياه جثم له عند المال فأخذ برقبته»^(١).

ان الشيطان يدخل على الإنسان من كل باب، فإذا كان هذا الإنسان من الصالحين الحذرين أغلق الابواب و المنافذ عليه كلها ولم يسمح له بذلك، فإذا آيس الشيطان منه توجه إليه صوب المال. او بالمعنى الثاني ان الشيطان يبقى متابعاً للإنسان حتى يتعبه ثم إذا اتعبه توجه إليه صوب المال لانه يعلم ان الناس يحبون المال حباً جثاً كما قال تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ ❖ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا^(٢).

وكما قال رسول الله (ان الدينار و الدرهم أهلكا من كان قبلكم و هما مهلكاكم)^(٣)

و عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من علامات شرك الشيطان الذي لا يشك فيه أن يكون فحاشاً لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه^(٤)
قال تعالى: ﴿... وَشَارِكُكُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ...﴾^(٥)

فالشيطان شريك الآباء في ابنائهم إذا كانت الاموال من سحت و حرام وأخذت بغير حق، وكل ولد زنا وقيل كل مال حرام او فرج حرام^(٦)

١ - الكافي - الكليني: ٤ / ٢٣٨: ٢ - وسائل الشيعة - الحر العاملي ج ١٦ ص ٢١

٢ - الفجر، ١٩ - ٢٠.

٣ - وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ١٦ ص ٢٢

٤ - وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ١٦ ص ٣٢

٥ - سورة الأسماء، ٦٤.

٦ - مجمع البيان - الطبرسي ج ٦ ص ٦٥٨

فمن علامات هؤلاء تجده فحاشاً. أي كثير الفحش - في الكلام الفاحش البذيء والفعل الفاحش البذيء، فهؤلاء لا يبالون ولا يهتمون بما يخرج من افواههم او ما يقول الناس فيهم.

... وعن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يقول ابليس لجنوده: القوا بينهم الحسد والبغى فإنهما يعدلان عند الله الشرك ^(١).

هنا يبيّن الإمام عليه السلام مدى خطورة الحسد والبغى بين الناس سيّما المؤمنين حيث يذكر على لسان الشيطان كيف يأمر جنوده وحزبه بان يلقوا بين الناس الحسد والبغى فإنهما يعدلان الشرك (عند الله سبحانه) ويقودان إليه.

* وعن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « قال امير المؤمنين عليه السلام : لَمَتَان: لَمَّةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَلَمَّةٌ مِنَ الْمَلِكِ، فَلَمَّةُ الْمَلِكِ الرِّقَّةُ وَالْفَهْمُ، وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ السُّهُوُ وَالْقَسْوَةُ» ^(٢)

قال ابن منظور «وفي حديث ابن مسعود قال: لابن آدم لَمَتَان: لَمَّةٌ مِنَ الْمَلِكِ، لَمَّةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ فَاتِّعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ وَتَطْيِيبٌ بِالنَّفْسِ، وَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَاتِّعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَتَخْيِيبٌ بِالنَّفْسِ.

وفي الحديث: فَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ فَيُحْمَدُ اللَّهُ عَلَيْهَا وَيَتَعَوَّذُ مِنَ لَمَّةِ الشَّيْطَانِ... قال ابن الاثير: اراد الامام الملك او الشيطان به والقرب منه، فما كان من خطرات الخير فهو من الملك وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان. واللَمَّة: كالخَطَرَة

١ - الكافي - الكليني ٢/ ٢٤٦ : ٢ - وسائل الشيعة - الحر العاملي ج ١٦ ص ٣٨ - ٣٩.

٢ - الكافي - الكليني ٢/ ٢٤٨ : ٢ - وسائل الشيعة - الحر العاملي ج ١٦ ص ٤٤.

والزّورة والأُتية^(١).

إذن الملك والشيطان قريبان من الإنسان بل مجتمعان معه ومؤثران فيه فعليه الحيطة والحذر وليأخذ من الأوّل وينبذ الثاني.

* عن محمد بن علي بن الحسين باسناده عن هشام بن الحكم وأبي بصير جميعاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رجل في الزمن الأوّل طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها، وطلبها من حرام فلم يقدر عليها، فأناه الشيطان فقال له: ألا أدلك على شيء تكثر به دنياك وتكثر به تبعك؟ فقال بلى، قال: تبتدع ديناً وتدعو الناس إليه، ففعل فاستجاب له الناس وأطاعوه، فأصاب من الدنيا، ثم انه فكّر فقال: ما صنعت ابتدعت ديناً ودعوت الناس إليه، ما أرى لي من توبة إلا أن آتي ممن دعوته إليه فأرده عنه، فجعل يأتي اصحابه الذين أجابوه فيقول: إن الذي دعوتكم إليه باطل، إنما ابتدعته فجعلوا يقولون: كذبت هو الحق، ولكنك شككت في دينك، فرجعت عنه، فلما رأى ذلك عمّد إلى سلسلة فوتد لها وتداً ثم جعلها في عنقه، وقال: لا أحلّها حتى يتوب الله عز وجل عليّ، فأوحى الله عز وجل إلى نبي من الانبياء: قل لفلان: وعزّتي لو دعوتني حتى تنقطع اوصالك ما استجبت لك حتى تردّ من مات على مادعوته إليه فيرجع عنه^(٢).

ان مسألة ابتداع دين مسألة خطيرة جداً تؤدي بالمبتدع الهلكة وغلق باب التوبة حتى يزيل آثار تلك البدعة وهيئات ازالتها حيث يقول رسول الله ﷺ: «ان

١ - لسان العرب - ابن منظور ج ١٢ ص ٣٣٤

٢ - من لا يحضره الفقيه - أبي جعفر الصدوق - ج ٣ ص ٣٧٥ الوسائل - الحر العاملي ج ١٦

الله غافر كل ذنب إلا من أحدث ديناً»^(١).

فمن سنَّ سُنَّةَ حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنَّ سُنَّةَ سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

❖ عن علي بن سليمان النوفلي، عن فطر بن خليفة، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال لما نزلت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ...﴾^(٢)

صعد ابليس جبلاً بمكة يقال له ثور فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقال: نزلت هذه الآية فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: انا لها بكذا وكذا، فقال: لست لها، ثم قام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخناس: انا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة انسيتهم الاستغفار، فقال: انت لها فوكله بها إلى يوم القيامة^(٣)

فكما يجب عدم ارتكاب الذنب ويحرم ذلك كذلك يجب استغفار الذنب وحرمة تركه فقد قال رسول الله ﷺ بعد ان سُئِلَ عن خير العباد؟ الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أسأؤوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا»^(٤)

و عن علي ابراهيم في تفسيره، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل عن

١ - عقاب الاعمال: ٣٠٦/١، وسائل الشيعة - الحر العاملي ج ١٦، ص ٥٥.

٢ - آل عمران، الآية ١٣٥.

٣ - الامالي - الصدوق: ٣٧٦/٥ - وسائل الشيعة - الحر العاملي ج ١٦ ص ٦٦ - ٦٧.

٤ - الامالي - الصدوق: ١٩/٤ - وسائل الشيعة - الحر العاملي ج ١٦ ص ٦٧

زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لَمَّا أُعْطِيَ اللهُ إِبْلِيسَ مَا أُعْطَاهُ مِنَ الْقُوَّةِ، قَالَ آدَمُ: يَا رَبِّ سَلَّطْتَ إِبْلِيسَ عَلَيَّ وَلَدَى، وَأَجْرِيَتُهُ مِنْهُمْ مَجْرَى الدَّمِ فِي الْعُرُوقِ، وَأُعْطِيَتُهُ مَا أُعْطِيَتُهُ، فَمَا لِي وَلَوْلَدِي؟ قَالَ: لَكَ وَلَوْلَدُكَ السَّيِّئَةُ بِوَاحِدَةٍ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، قَالَ: يَا رَبِّ زِدْنِي، قَالَ: التَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ إِلَيَّ أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسَ الْحَلْقُومَ، قَالَ: يَا رَبِّ زِدْنِي، قَالَ: أَغْفِرْ وَلَا أَبَالِي، قَالَ: حَسْبِيَ»^(١).

هنا الدعوة إلى عدم اليأس والقنوط بل إلى الاستبشار والاستغفار.
... عن غياث بن ابراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «ما اجتمع ثلاثة من الجاحدين إلا حضرهم عشرة أضعافهم من الشياطين، فإن تكلموا تكلم الشياطين بنحو كلامهم، وإذا ضحكوا ضحكوا معهم، وإذا نالوا من أولياء الله نالوا معهم، فمن ابتلي من المؤمنين بهم فإذا خاضوا في ذلك فليقم، ولا يكن شرك شيطان ولا جليسه، فإن غضب الله لا يقوم له شيء، ولعنته لا يردّها شيء، ثم قال عليه السلام فإن لم يستطع فلينكر بقلبه وليقم ولو حلب شاة، أو فواق ناقة»^(٢).

هذا الحديث يكشف لنا مدى اغراء واغواء الشياطين لاوليائهم ومن تسلطوا عليهم والالقاء في مخيلاتهم لذا إذا ابتلي البعض بذلك فعلاجها الرد فإن لم يقدر فالترك والمغادرة فإن لم يقدر فالانكار بالقلب وذلك أضعف الايمان والمغادرة القصيرة اشعاراً بالانكار القلبي.

.. عن ابن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال امير المؤمنين عليه السلام: ذكرنا أهل

١ - تفسير القمي ٤٢: ١ - وسائل الشيعة - الحر العاملي ج ١٦ ص ٨٨

٢ - الكافي - الكليني: ٦ / ١٥٠: ٢ - وسائل الشيعة - الحر العاملي ج ١٦ ص ٢٦٣

البيت شفاء من الوعك والاسقام ووساوس الريب، وحبنا رضا الربّ تبارك وتعالى»^(١)

وهذا الحديث يظهر لنا ان ذكر أهل البيت شفاء للجسد والروح سيما الوسوسة والتشكيك والتردد فإنّها أخطر من مرض الجسد، فالجسد قد يجد العلاج السريع النافع اما الوسوسة إذا لم تجد من يعالجها فإنّها تودى بصاحبها الهلكة.

.. عن اسحاق بن عمّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أحسن يا اسحاق إلى أوليائي ما استطعت، فما أحسن مؤمن إلى مؤمن، إلا خمش وجه إبليس، وقرّح قلبه»^(٢)

ان احسان المؤمن لاخيه المؤمن يؤدّي إلى ابعاد الشيطان وانزال الاذى إلى الدرجة التي يخمش فيها وجهه حيث يلطمه لما اصاب المؤمنين من خير، بل حتى يلهب قلبه ويقرّحه.

وقال الصادق عليه السلام الحسد حسدان: حسد فتنة وحسد غفلة، فأما حسد الغفلة فكما قالت الملائكة حين قال الله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)

أي اجعل ذلك الخليفة منا ولم يقولوا، حسداً لآدم من جهة الفتنة والرد

١- المحاسن - احمد البرقي: ١٠٧ / ٦٢- وسائل الشيعة - الحر العاملي ج ١٦ ص ٣٤٨

٢- الكافي: ٩ / ١٦٥ : ٢- وسائل الشيعة - الحر العاملي ج ١٦ ص ٣٧٧

٣- البقرة، ٢٨ .

والحهود. والحسد الثاني الذي يصير به العبد إلى الكفر والشرك فهو حسد إبليس في رده على الله وإيائه عن السجود لآدم عليه السلام^(١).

والذي يظهر من قوله تعالى هو أن الملائكة أرادت الخلافة لنفسها باعتقادها أنها أفضل المخلوقات ولم يكن حسداً لآدم وتنافساً وصراعاً، أما إبليس فعلي العكس، وهو الحسد الثاني حيث يصل إلى الكفر والشرك في رده على الله سبحانه وتعالى واعتراضه عليه ولم يسجد له.

وفي حضور الشيطان لدى المحتضر بهدف سلبه الإيمان قال الصادق عليه السلام: «ما من أحد يحضره الموت وإلا وكل به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر ويشككه في دينه حتى تخرج نفسه، فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه، فإذا حضرتم موتاكم فلقنوهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حتى يموت» وفي رواية أخرى: «لقنه كلمات الفرج وسم له الاقرار بالأئمة واحداً بعد واحد حتى ينقطع عن الكلام»^(٢).

وفي الخبر «انه يجيء الشيطان إليه فيجلس عند يساره فيقول اترك هذا الدين وقل اثنين حتى تنجو من هذه الشدة» فإن أشد حال على المؤمن هي النزع، والعطش، واحراق الكبد، ففي ذلك الوقت يجد الشيطان عليه فرصة، لنزع إيمانه، لأن المؤمن يعطش في ذلك الوقت، فيجيء الشيطان عند رأسه في قدح من ماء بارد فيحرك له فيقول المؤمن: اعطني من الماء ولا يدري أنه شيطان فيقول: قل لا صانع للعالم حتى أعطيك، فإن لم يجبه يجيء إلى موضع قدميه فيحرك القدح

١ - تحف العقول - الحراني ص ٢٧٣

٢ - سفر الآخرة: رضا علي حجازي العاملي ص ٣٥

فيقول المؤمن أعطني من الماء فيقول: قل كذَّبَ الرسول حتى أعطيك، فمن أدركته الشقاوة يجيب إلى ذلك، ويخرج من الدنيا كافراً، ومن أدركته السعادة يردّ كلامه ويلتفت أمامه.

وقد حكى عن ابن زكريا الزاهد: «أنه لما حضرته الوفاة أتاه صديقه وهو في سكرات الموت ولقنه لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله فأعرض الزاهد بوجهه ولم يقل فقال له ثانياً فأعرض ولم يقل، وقال له ثالثاً فقال: لا أقول ثم غشي عليه فتعجب صديقه، فلما كان بعد ساعة وجد ابوزكريا خفّة ففتح عينيه فقال لصديقه: هل قلتم لي شيئاً، قالوا: نعم عرضنا عليك الشهادة ثلاثاً فأعرضت في المرتين الاولتين وقلت في الثالثة لا أقول قال: اتاني إبليس عليه اللعنة ومعه قدح من الماء وقف على يميني وحرك القدح وقال لي أحتاج إلى الماء فقلت بلئى قال: قل عيسى ابن الله فأعرضت عنه، ثم أتى من قبل رجلي فقال لي كذلك، وفي الثالثة قال: قل (لا إله) فقلت له لا أقول، ف ضرب القدح على الأرض وولئى هارباً رددت على إبليس لا عليكم فأشهد أن لا إله إلا الله...»^(١).

وفي رواية عن أبي عبد الله عليه السلام: «ان الشيطان ليأتي الرجل من أوليائنا عند الموت عن يمينه وعن شماله ليضله عما هو عليه» وفي خبر آخر (ليصدّه عما هو عليه فيأبى الله له ذلك وذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني عند معاينة ملك الموت وحضور الشياطين لاضلاله (وفي الآخرة) يعني في القبر عند سؤال منكر ونكير إلى دخول الجنة^(٢).

١ - سفر الآخرة - رضا علي حجازي العاملي ص ٣٦

٢ - سفر الآخرة - رضا علي حجازي العاملي ص ١٢٤

الصراع محتدم على أشده بين الإنسان والشیطان ومحتوم ولا بد منه، وميدان هذا الصراع هي الحياة الدنيا والمعركة بينهما سجال، كثر وفتر مرة ينتصر على الإنسان بتسويلاته فيوقعه في المعصية، وأخري يكون النصر حليف الإنسان إما بعدم انصياعه لتزييناته، واغراءاته، وإما بالتوبة النصوح بعد المعصية ففي كلا الحالتين انتصار لابن آدم على ابليس.

٥ - حديث العلماء عن الشيطان

لقد تحدث الكثير من العلماء عن الشيطان قديماً وحديثاً واسندوا حديثهم إلى العديد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة، وقد اخترنا البعض من تلك الأحاديث لبعض العلماء.

١ - الشيخ الصدوق: (المتوفى ٣٨١ هـ ق)

أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١ هـ فقد ذكر في كتابه ثواب الأعمال وعقاب الأعمال قال: حدثني محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه، عن عمه، عن محمد بن علي الكوفي، عن ابن فضال، عن سعيد بن غزوان، عن اسماعيل بن أبي زياد، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: لا يزال الشيطان هايباً لابن آدم ذعراً منه ما صلى الصلوات الخمس لوقتهن، فإذا ضيعهن اجتراً عليه فأدخله في العظام^(١).

وفي باب (عقاب من ترك فريضة من فرائض الله، أو ارتكب كبيرة من الكبائر) عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: لا ينظر الله إلى عبد ولا يزيكه إذا ترك فريضة من فرائض الله و ارتكب كبيرة من الكبائر، قال: قلت لا ينظر الله إليه؟ قال نعم قد أشرك بالله قال: قلت أشرك؟ قال: نعم ان الله عز وجل امر

بأمرٍ وأمره إبليس بامرٍ فترك ما أمر الله عزوجل به وصار إلى أمر إبليس به فهذا مع إبليس في الدرك السابع من النار^(١).

وعن الفضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا اخذ القوم في معصية الله عزوجل فإن كانوا ركباً كانوا من خيل إبليس، وإن كانوا رجلاً كانوا من رجاله. كأنه أشار عليه إلى قوله تعالى لا إبليس حين قال: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَخْتَنَّكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾ * قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً * وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطِغَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ...^{(٢)(٣)}.

وكان علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة في الجامع إذ قام إليه رجل من أهل الشام فقال يا أمير المؤمنين اني أسألك عن أشياء فقال سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً فاحدق الناس بابصارهم فقال أخبرني... عن اسم أبي الجن فقال: شومان وهو الذي خلق من مارج من نار وسأله هل بعث الله عزوجل نبياً إلى الجن؟ فقال: نعم، بعث إليهم نبياً يقال له يوسف، فدعاهم إلى الله عزوجل فقتلوه، وسأله عن اسم إبليس ما كان في السماء؟ قال كان اسمه الحارث^(٤).

١ - ثواب الاعمال و عقاب الاعمال - للشيخ الصدوق ص ٢٩٣.

٢ - سورة الأعراف، ٦٤.

٣ - نفس المصدر السابق صفحه ٣٠٢.

٤ - عيون اخبار الرضا - للشيخ الصدوق ج ٢، ص ٢١٨ - ٢١٩.

٢- المحقق محسن الكاشاني: (المتوفى ١٠٩١ هـ ق)

قال وهو يتحدث عن القلب واثـر الشيطان فيه: -

القلب متجاذب بين الشيطان والملك فقد قال: ﷺ (في القلب لُتـان لُتـة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ولُتـة من العدو إيعاد بالشر و تكذيب بالحق ونهي عن الخير، فمن وجد ذلك فليتعوذ بالله من الشيطان ثم تلا ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ... الآية﴾^(١) وقال بعض السلف إنما هما هـتان يجولان في القلب همّ من الله وهمّ من العدو فرحم الله عبداً وقف عند همّه فما كان من الله امضاء وما كان للعدو جاهده، ولتجاذب القلب بين هاتين اللّمتين قال رسول الله ﷺ (قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن).^(٢)

والله سبحانه وتعالى منزّه أن يكون له اصابع مركبة، من لحم ودم وعظم تنقسم بالانامل، و لكن روح الاصابع سرعة التقلب والقدرة على التحريك والتغيير، فانك لا تريد اصبعك لشخصها بل لفعالها في التقلب والترديد، وكما انك تتعاطى الافعال بأصابعك، فالله تعالى انما يفعل ما يفعله باستسـخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في قلب القلب كما ان اصابعك مسخرة لك في قلب الاجسام مثلاً، والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشياطين صلاحاً متساوياً ليس يترجح أحدهما على الآخر وانما يترجح أحد

١ - سورة البقرة، ٢٦٨.

٢ - أخرجه الحاكم.

الجانبيين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات، أو الاعراض عنها ومخالفتها فإن اتبع الإنسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى، وصار القلب عس الشيطان ومعدته، لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبهه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم، ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل إلى غير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى لاجرم لم يخل قلب أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال رسول الله ﷺ: (ما منكم من أحد إلا وله شيطان، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وانا إلا أن الله عز وجل أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير)^(١).

وانما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله على شهوته حتى صار لا ينبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعوه إلى الشر، فالشيطان المتدرع بها لا يأمر إلا بالخير.

ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالاً فوسوس، ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق بحاله واقبل الملك والهم، فالتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى ان يفتح القلب لاحدهما فيسكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاصاً، واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشيطان وملكوها فامتلات بالوساوس الداعية إلى اثار العاجلة وإطراح الآخرة، ومبدأ استيلائها اتباع الهوى. ولا يمكن فتحها بعد ذلك

إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى إذ هو مطرح أثر الملائكة، قال جرير بن عبيدة العدوي: شكوت إلى العلاء بن زياد ما وجد في صدري من الوسوسة فقال: «إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عاجوه وإلا مضوا وتركوه».

يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾^(١)

وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبداً لله فلذلك تسلط عليه الشيطان وقال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ...﴾^(٢)

هو اشاره إلى ان الهوى الهو ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبداً لله.

وقال عثمان بن أبي العاص: (يارسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال: ذلك شيطان يقال له خنزب، إذا احسست به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً، قال ففعلت ذلك، فأذهب الله عني)^(٣).

وفي الخبر ان للوضوء شيطاناً يقال له ولهان فاستعيذوا بالله منه)^(٤).

ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب إلا ذكر شيء سوى ما يوسوس به لانه اذا حضر في القلب ذكر شيء انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء

١- سورة الحجر، ٤٢.

٢- سورة الجاثية، ٢٣.

٣- أخرجه مسلم ج ٧، ص ٢١، وقال النووي: قوله (حال بيني وبين صلاتي) أي نكدي فيها ومنعني لذتها والفراغ للخشوع فيها.

٤- أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٤٢١، وفي هامشه قوله (ولهان) مصدر (وله) اذا تحير الشيطان لالتقاء الناس في التحير سمي بهذا الاسم.

سوى ذكر الله وسوى ما يتعلق به يجوز أن يكون أيضاً مجالاً للشيطان، فذكر الله سبحانه هو الذي يؤمن جانبه و يعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله تعالى والاستعاذة به والتبري عن الحول والقوة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون، الذين الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف بقلوبهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلصة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(١).

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ قال: هو منبسط على قلب الإنسان فإذا ذكر الله سبحانه خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه، فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتطاردهما قال الله تعالى سبحانه: ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾^(٢).

وفي الحديث (ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس وإن نسي الله التقم قلبه).^(٣)

وقال ابن وضاح في حديث ذكره: (اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال: بأبي وجه لا يفلح)^(٤).^(٥)

١ - سورة الأعراف، ٢٠١.

٢ - المجادلة، ١٩.

٣ - اخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان وابو يعلي والبيهقي في الشعب من حديث انس بسند ضعيف كما في الجامع الصغير.

٤ - قال العراقي لم اجد له اصلاً.

كما ان الشهوات ممتزجة بلحم الآدمي ودمه فسلطنة الشيطان أيضاً سارية في لحمه ودمه ومحيطه بالقلب من جوانبه، ولذلك قال النبي ﷺ: (ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع)^(٦).

ذلك لأن الجوع يكسر الشهوة، ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى اخباراً عن ابليس: ﴿... لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ ثُمَّ لَأَنبِتَنَّهُمْ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ...﴾^(٧)

وقال رسول الله ﷺ: (ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الإسلام فقال له: اتسلم وتترك دينك ودين آبائك؟ فعصاه فاسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: اتهاجر وتدع ارضك ونساءك؟ فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: اتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتتكح نساؤك ويقسم مالك؟ فعصاه فجاهد، قال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله ان يدخله الجنة)^(٨).

فقد ذكر رسول الله ﷺ معنى الوسوسة وهي الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتتكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد، وهذه الخواطر معلومة،

٥ - المحجة البيضاء: المحقق محسن الكاشاني ج ٥، ص ٤٨ - ٥١.

٦ - اخرجه الدارمي ج ٢، ص ٣٢٠، واحمد في المسند ج ٣، ص ١٥٦ و ٢٨٥ و ٣٠٩ دون قوله (فضيقوا مجاريه بالجوع).

٧ - سورة الأعراف، ١٦ - ١٧.

٨ - اخرجه النسائي ج ٦ ص ٢٢، واحمد والطبراني وابن حبان والبيهقي في الشعب عن سبره بن أبي فاكه كما في الدر المنثور ج ٣، ص ٧٣.

فاذن الوسواس معلوم بالمشاهدة، وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه، فإسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال رسول الله ﷺ: (ما من أحد إلا وله شيطان) وقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان^(١)...

تلييس إبليس

انتشر الآن تلييسه في البلاد والعباد في المذاهب والاعمال حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها كل ذلك إذعان لتلييسات الشيطان ومكائده، فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك أو لمة الشيطان وان يعين النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ (أي رجعوا إلى نور العلم) فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ^(٢) أي انكشف لهم الاشكال، فاما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الاذعان لتلييسه بمتابعة الهوى ويكثر فيه غلظه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر، وفي مثلهم قال الله تعالى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَخْتَسِبُونَ﴾^(٣).

قل هي اعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات وأغمص^(٤) أنواع علوم

١- المحجة البيضاء - في تهذيب الاحياء: محسن الكاشاني ص ٥١، ٥٢.

٢- سورة الأعراف، ٢٠١.

٣- الزمر، ٤٧.

٤- أغمص: أي أحقر.

المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكائد الشيطان، وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلب عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز عنه، ولا يُنجي من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر، وأبوابها من خارج الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا...^(١)

مداخل الشيطان إلى القلب^(٢)

ان القلب مثاله مثال الحصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن عن العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلعه ولا يقدر على حراسة أبواب الحصن عن العدو من لا يعرف أبوابه، وحماية القلب عن فساد الشيطان واجبة وهي فرض عين على كل عبد مكلف، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضاً واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله، فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة، ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة، ولكننا نشير إلى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان.

أولاً وثانياً: فمن أبوابه العظيمة الحرص والحسد، فمهما كان العبد حريصاً على الشيء أعماه حرصه وأصمّه اذ قال ﷺ: (حبك الشيء يعمي ويصم)^(٣) ونور

١ - المحجة البيضاء - في تهذيب الاحياء: محسن الكاشاني ص ٥٤، ٥٥.

٢ - المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء - محسن الكاشاني ص ٥٧.

٣ - أخرجه ابو داود في السنن ج ٢، ص ٦٢٧.

البصيرة هو الذي يصرف مداخل الشيطان، فإذا غطاء الحرص أو الحسد لم يبصر فوجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما توصله إلى شهوته وإن كان منكراً وفاحشاً، فقد روي أن نوحاً لما ركب البحر وحمل في السفينة من كل زوجين اثنين كما أمر فرأى في السفينة شيخاً لم يعرفه فقال له نوح ﷺ ما أدخلك؟ قال: دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وابدانهم معك، قال نوح ﷺ اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم، قال له ابليس: خمسٌ أهلكُ بهنَّ الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك بالثنتين فإوحى الله تعالى إلى نوح ﷺ أنه لا حاجة بك إلى الثلاث مُرَّةً فليحدثك بالثنتين فقال: هما اللتان لا تكذباني، هما اللتان لا تخلفاني بهما اهلك الناس الحرص والحسد، بالحسد لُعنْتُ وجُعِلْتُ رجيماً وأما الحرص فانه أبيع لآدم الجنة كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص^(١).

ثالثاً ورابعاً: الفُضْبَ والشهوة، فإن الغضب غول العقل فإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان، ومهما غضب الإنسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة، فقد روي أن ابليس لقي موسى ﷺ فقال: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسائله وكلمك تكليماً، وأنا من خلق الله اذنبت ذنباً وأريد التوبة فاشفع لي إلى ربي أن يتوب عليّ، قال موسى: نعم فدعا موسى ﷺ ربه عز وجل، فقال: يا موسى قد قُضيت حاجتك فمره أن يسجد لقبر آدم، فلقى موسى ﷺ إبليس فقال له: أُمِرْتُ

١ - أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان. وابن عساكر عن ابن عمر كما في الدر المنثور ج ٣، ص ٢٢٣.

ان تسجد لقبر آدم لكتاب عليك، فاستكبر وغضب، وقال: لم أسجد له حياً فكيف اسجد له ميتاً، ثم قال إبليس: يا موسى ان لك عليّ حقاً بما شفعت لي إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فإن روعي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم، واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتي ولد آدم حين يلقي الزحف فأذكره ولده وزوجته واهله حتّى يولّي، وإياك ان تجالس امرأة ليست لك بذات محرم فأني رسولها إليك ورسولك إليها^(١)

فقد اشار في هذا إلى الشهوة والغضب والحرص، فإن الفرار من الزحف حرص على الدنيا، وامتناعه عن سجوده لآدم منشؤه الحسد وهو من أعظم مداخله، وقال بعض الانبياء عليه السلام لابليس: باي شيء تغلب ابن آدم؟

قال: آخذه عند الغضب وعند الهوى.

خامساً: ومن أبوابه العظيمة حب التزيّن بالثياب والاثاث والدار، فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالباً على قلب انسان باض فيه وفرخ فلا يزال الشيطان يدعوه إلى عمارة الدار و تزيين سقوفها وحيطانها.. ويستسخره فيها طول عمره وإذا وقع في ذلك استغنى عن معاودته، فإن بعض ذلك يجرّه إلى البعض ولا يزال يؤديه شيء إلى شيء إلى ان يساق إليه اجله..

سادساً: الشبع من الطعام وإن كان حلالاً صافياً فإن الشبع يقوّي الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان، روي ان ابليس ظهر ليحيى عليه السلام فرأى عليه مغاليق من كل شيء فقال له يحيى عليه السلام: يا ابليس ما هذه المغاليق؟ قال هذه الشهوات التي

١ - اخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان عن ابن عم كما في الدر المنثور ج ١، ص ٥١، والمجلد الرابع عشر من بحار الانوار، ص ٦٣٤.

أصبت بها بني آدم. قال: فهل لي فيها شيء؟

قال ربما شبت فتقلناك عن الصلاة وعن الذكر، قال: هل غير ذلك؟ قال: لا.

قال يحيى عليه السلام: الله عليّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً. فقال ابليس: والله عليّ أن لا انصح مسلماً أبداً^(١).

سابعاً: الطمع في الناس: - فإذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحسن التصنع والتزيّن لمن طمع فيه بانواع الرياء والتلبس حتّى يصير المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه ويدخل كل مدخل في الوصول إلى ذلك وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداينة معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد روى صفوان بن سليم: أن ابليس تمثّل لعبد الله بن حنظلة وقال: يا ابن حنظلة احفظ عني شيئاً أعلمك، قال: لا حاجة لي به، قال: انظر فإن كان خيراً قبلت، وإن كان شراً رددت، يا ابن حنظلة لا تسأل أحداً غير الله شيئاً سؤل رغبة، وانظر كيف تكون إذا غضبت.

ثامناً: العجلة وترك التثبت في الامور: قال رسول الله ﷺ: (العجلة من الشيطان والتأني من الله عز وجل)^(٢).

وقال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٣)

وقال ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(٤)

١ - رواه ابن الشيخ في مجالسه نحو ابط بحار الانوار ج ١٤، ص ٦٢٠.

٢ - اخرجه الترمذي كما في كنوز الحقائق للمناوي باب العين هكذا (العجلة من الشيطان والاناء من الله).

٣ - الأنبياء، ٣٧.

٤ - الأسراء، ١١.

وقال لنبیه ﷺ ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾^(١).

هذا لأن الاعمال ينبغي أن تكون بعد البصيرة والمعرفة، والبصيرة تحتاج إلى تأمل ومهلة، والعجلة تمنع من ذلك، فعند الاستعجال يروج الشيطان شره للإنسان من حيث لا يدري، روى أنه لما ولد عيسى ﷺ اتت الشياطين ابليس فقالت: أصبحت الاصنام قد نكست رؤوسها، قال: هنا حادث قد حدث مكانكم، فطار حتى جال خافقي الارض ولم يجد شيئاً، ثم وجد عيسى ﷺ قد ولد، واذا بالملائكة قد حفت حوله، فرجع إليهم فقال: ان نبياً قد ولد البارحة، ما حملت انثى قط ولا وضعت إلاّ وأنا بحضرتها إلاّ هذا فأيسو أن تعبد الاصنام بعد هذه الليلة، ولكن اتنوا بني آدم من قبّل العجلة والخفة.

تاسعاً: الدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال من العروض والاثاث والدواب والعقار، وكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان، فإن من معه قوته فهو فارغ القلب، فلو وجد مائة دينار مثلاً على طريق انبعثت من قلبه مائة شهوة يحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار، فلاتكفيه مائة واحدة بل يحتاج إلى تسعمائة اخرى، وقد كان قبل وجود المائة مستغنياً، فالآن وجد مائة، وظن انه صار غنياً بها. وقد صار محتاجاً إلى تسعمائة ليشتري بها داراً ويعمرها... ويشتري اثاث البيت، ويشتري الثياب الفاخرة، وكل شيء من ذلك يستدعي شيئاً آخر يليق به...

قال ثابت: لما بعث النبي ﷺ قال ابليس لشياطينه: لقد حدث أمر فانظروا ماهو؟ فانطلقوا، ثم جاؤه وقالوا: ماندرى، قال ابليس! انا آتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال: قد بعث محمد ﷺ فجعل يرسل شياطينه إلى اصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين ويقولون: ماصحبنا قوماً قط مثل هؤلاء، نُصيبُ منهم، ثم يقومون إلى صلاتهم فيُحمي ذلك، قال ابليس: رويداً بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيرون حاجتكم منهم^(١) وروى ان عيسى عليه السلام توسد حجراً فمر به ابليس فقال: يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذه من تحت رأسه ورمي به، وقال: هذا لك مع الدنيا، و على الحقيقة من يملك حجراً ليتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه، فإن القائم بالليل مثلاً للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده فلا يزال يدعوه إلى النوم وإلى ان يتوسده، ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا تتحرك رغبته للنوم، هذا في حجر فكيف من يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطئة والمتزهات الطيبة، فمتى ينشط لعبادة الله تعالى.

عاشراً: ... البخل وخوف الفقر:

فإن ذلك هو الذي يمنع من الاتفاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكنز والعذاب الاليم هو الموعد للكانزين كما نطق به القرآن، قال خيشمة بن عبد الرحمن: ان الشيطان يقول: ما غلبني عليه ابن آدم فلن يغلبني على ثلاث ان أمره بأخذ المال من غير حقّه، وانفاقه في غير حقّه، ومنعه من حقّه - وقيل ليس

١ - اخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان مرسلأ كما في المعني.

للسيطان سلاح على الإنسان مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق، وتكلم بالهوى، وظنَّ بربه ظنَّ السوء.

حادي عشر: التعصّب للمذاهب والاهواء والحقّد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار:- وذلك مما يهلك الفساق والعُباد جميعاً، فإن الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصانهم صفة مجبولة في طبع الإنسان من الصفات السبعية، فإذا خيّل الشيطان إليه ان ذلك هو الحقّ وكان موافقاً لطبعه غلبت حلاوته على قلبه، فاشتغل به بكلّ همّته وهو بذلك فرحان مسرور يظنّ أنه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان^(١).

ترى الواحد منهم يتعصب لعليّ عليه السلام وكان من زهد عليّ عليه السلام وسيرته أنّه ليس في خلافته ثوباً اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسغ، وترى الفاسق لابساً الثياب الحريرية ومتجملأً بأموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب عليّ عليه السلام ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من اخذ ولداً عزيزاً لإنسان وهو قرّة عينه وحياة قلبه يضربه ويمزّقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الذين والشرع كانا أحب إلى عليّ عليه السلام من الاهل والولد، بل من نفسه عليه السلام، والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعون بمقاريض الشهوات ويتوددون إلى ابليس عدو الله وعدو اوليائه، فيرى كيف يكون حالهم يوم القيامة

عند عليٍّ عليه السلام وعند اولياء الله تعالى، لابل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما يحبّه اولياء الله في أمة محمدٍ صلى الله عليه وآله، لاستحيوا ان يجرؤوا على اللسان ذكرهم مع قبح افعالهم، ثم ان الشيطان يخيل إليهم ان من مات محباً لعلی عليه السلام فالنار لا تحوم حوله، وكل من أدعي مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصيمه إذ يقول له: كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فمالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مسلكي ومذهبي الذي سلكته وذهبت فيه إلى الله، ثم ادعيت مذهبي كاذباً.

... مارواه في الكافي باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: يا جابر أيكفى من اتحل التشيع ان يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله واطاعه وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخضع والامانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والايتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف اللسن عن الناس إلا من خير وكانوا امناء عشائريهم في الاشياء.

قال جابر: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة، فقال يا جابر لا تذهبن بك المذاهب حسب الرجل ان يقول: أُحِبُّ علياً واتولاهُ ثُمَّ لا يكونُ مع ذلك فعلاً، فلو قال إني احبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فرسول الله خير من عليٍّ ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبُّ آيَّاه شيئاً، فاتقوا الله وأعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، والله ما يتقرب إلى الله تعالى إلا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لاحد من حُجَّة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله

عاصياً فهو لنا عدو، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع^(١).

ومن عظيم حيل الشيطان ان يشتغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات، قال ابن مسعود، قعد قوم يذكرون الله فأتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيفترق بينهم فلم يستطع، فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس إياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى واشتغلوا بهم يفصلون بينهم ففرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم.

ثاني عشر: حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكير في ذات الله وصفاته وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم بذلك في أصل الدين، أو يخيل إليهم في الله خيلاً يتعالى الله عنه فيصير به كافراً أو مبتدعاً وهو به فرح مسرور متبجح بما وقع في صدره يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله، واشد الناس حماقة أقواهم اعتقاداً في عقل نفسه، واثبت الناس عقلاً أشدهم اتهاماً لنفسه وظنه، واحرصهم على السؤال من العلماء، روي ان رسول الله ﷺ قال: (ان الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلقك؟ فيقول: الله تبارك وتعالى، فيقول: فمن خلق الله تعالى؟ فإذا وجد أحدكم فليقل آمنت بالله وبرسوله، فإن ذلك يذهب عنه)^(٢) فالنبي ﷺ لم يأمر في علاج هذا الوسواس بالبحث، فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء، وأنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم وبمعاشهم ويتركوا العلم

١- الكافي - للكليني ج ٢، ص ٧٤.

٢- أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان بسند حسن كما في الجامع الصغير.

إلى العلماء، فالعالمي لو زنا أو سرق كان خيراً له من ان يتكلم في العلم فانه من تكلم من غير إتقان العلم في الله وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري، كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة. ومكائد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا حصر لها وانما قصدنا بما اوردناه في المثال.

ثالث عشر: سوء الظن بالمسلمين:

ولذلك قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَاجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...﴾^(١) ومن حكم بشرى على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في اكرامه أو ينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيراً منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال رسول الله ﷺ: (اتقوا مواضع التهم)^(٢).

... وعن بعض ازواج رسول الله ﷺ قالت: حتّى ان رسول الله ﷺ كان معتكفاً فأتيته فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشي معي فمرّ به رجلان من الانصار فسلبا ثم مضيا فدعاها فقال: إنها صفية بنت حيي، قالوا يا رسول الله افنظن بك إلا خيراً؟ قال: ان الشيطان ليجري من بني آدم مجرى الدم وإنني خشيت ان يدخل عليكما^(٣) فانظر كيف اشفق على دينهما فحرسهما، وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتّى لا يتساهل العالم الورع المعروف

١ - سورة الحجرات، ١٢.

٢ - ذكره المولى على القارئ في الموضوعات الكبيرة، ص ٢٤.

٣ - اخرجه البخاري ومسلم ج ٧، ص ٨.

بالدين في احواله فيقول: مثلي لا يظن به إلا خيراً إعجاباً منه بنفسه فإن أروع الناس وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم:

وعين الرضا عن كل عيب كليلَةٌ ولكن عين السخط تبدى المساويا فيجب الاحتراز عن السوء وعن تهمة الاشرار فإن الاشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر فمهما رأيت انساناً يسيء الظن بالناس طالباً للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه، وإنما يرى غيره من حيث هو، فإن المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العيوب، والمؤمن سليم القلب في حق كافة الخلق، فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب... فليس للآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله^(١).

٣- الشيخ محمد باقر المجلسي: (المتوفى ١١١١ هـ ق)

صاحب الموسوعة المعروفة بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار عليهم السلام.

فقد افرد الجزء الثالث والستين في الحديث عن باب تأثير السحر والعين ثم الحديث عن حقيقة الجن واحوالهم وباب ذكر ابليس وقصصه، والجزء باكملة يكاد أن يكون عن الجن وابليس وبما تضمن الحديث من الآيات القرآنية الكريمة والاحاديث الشريفة.

١ - المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء - لمحمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الكاشاني ج ٥ ص ٥٧ إلى ٦٧.

عن الرازي في تفسيره قال: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ...﴾^(١) ذلكم الشيطان أي المثبِّط الشيطان، وقيل الشيطان يخوِّف اوليائه بالوسوسة.

وقال في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(٢) لأن الله ينصر أوليائه والشيطان ينصر اوليائه، ولا شك ان نصره الشيطان لاوليائه أضعف من نصره الله لاوليائه ألا ترى أن أهل الخير والدين يبقى ذكرهم الحميد على وجه الدهر وان كانوا حال حياتهم في غاية الفقر والذلة، واما الملوك والجبابرة فإذا ماتوا انقضوا ولا يبقى في الدنيا رسمهم ولا ظلمهم. (والكيد) السعي في فساد الحال على جهة الحيلة، وفائدة ادخال (كان) للتأكيد لضعف كيده، يعني انه منذ كان، كان موصوفاً بالضعف والذلة^(٣).

وقال الرازي: أعلم انه لا يجب أن يكون كل معصية تصدر عن إنسان فإنها تكون بسبب وسوسة شيطان، وإلا لزم التسلسل أو الدور، فوجب الاعتراف بانتهاء هذه القبائح والمعاصي إلى اول معصية سابقة حصلت لابوسوسة شيطان آخر، اذا ثبت هذا فنقول: إن اولئك الشياطين كما انهم يلقون الوسوس إلى الأُنس والجن فقد يوسوس بعضهم بعضاً، وللناس فيه مذاهب: منهم من قال: الأرواح إما فلكية واما ارضية، والأرواح الارضية منها طيبة طاهرة ومنها خبيثة قذرة شريرة تأمر بالمعاصي والقبائح وهم الشياطين.

١ - آل عمران، ١٧٥.

٢ - النساء، ٧٦.

٣ - بحار الانوار - محمد باقر المجلسي الجزء ٦٣، ص ١٤٥.

ثم إن تلك الأرواح الطيبة كما تأمر الناس بالطاعات والخيرات فكذلك قد يأمر بعضهم بعضاً بالطاعات، والأرواح الخبيثة كما أنها تأمر الناس بالقبائح والمنكرات فكذلك قد يأمر بعضهم بعضاً بتلك القبائح والزيادة فيها، وما لم يحصل نوع من أنواع المناسبة بين النفوس البشرية وبين تلك الأرواح لم يحصل ذلك الانضمام بالنفوس البشرية وإن كانت طاهرة نقية عن الصفات الذميمة كانت في جنس الأرواح الخبيثة فتنظم إليها.

ثم إن صفات الطهر كثيرة وصفات النقص والخسران كثيرة وبحسب كل نوع منها طوائف من البشر وطوائف من الأرواح الأرضية.

وبحسب تلك المجانسة والمشاكلة ينضم الجنس إلى جنسه، فإن كان ذلك في أفعال الخير كان الحاصل عليها ملكاً، وكان تقوية ذلك الخاطر إلهاماً، وإن كان في باب الشر كان الحاصل عليها شيطاناً، وكان تقويه ذلك الخاطر وسوسة ويقال: فلان يزخرف كلامه: إذا زينه بالباطل والكذب، وكل شيء حسن معوه فهو مزخرف.

وقوله تعالى: (وإن الشياطين) قال الطبرسي (قدس سره) يعني علماء الكافرين ورؤساءهم المتمردين في كفرهم (اليوحون) أي يوحون ويشيرون (إلى أوليائهم) الذين اتبعوهم من الكفار، والوحي القاء المعنى إلى النفس من وجه خفي، وهم يلقون الوسوسة إلى أهل الشرك. وقوله: (فبما اغويتني) قيل: أي خيبتني من رحمتك وجنتك، وقيل: أي صرت سبباً لغوايتي بأن أمرتني بالسجود لآدم فغويت عنده، وقيل أي اهلكتني بلعنك إياي. (لاقعدن لهم) أي ارصد لهم لأقطع سبيلهم (صراطك المستقيم) دين الحق.

(ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم) أي من جميع الجهات وبأي وجه امكنه، وقيل من جهة دنياهم وآخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم عن ابن عباس وغيره وحاصله: أني أزين لهم الدنيا واخوفهم بالفقر واقول لهم لاجنة ولانار ولابعث ولاحساب واثبطهم عن الحسنات واشغلهم عنها وأحب إليهم السيئات وأحثهم عليها قال ابن عباس: وانما لم يقل: ومن فوقهم، لأن فوقهم جهة نزول الرحمة من السماء، فلا سبيل له إلى ذلك، ولم يقل من تحت ارجلهم لأن الاتيان منه موحش.

وقيل (من بين ايديهم وعن ايمانهم) من حيث يبصرون (ومن خلفهم وعن شمائلهم) من حيث لا يبصرون وروي عن أبي جعفر عليه السلام قال (ثم لآتينهم من بين ايديهم) معناه اهون عليهم أمر الآخرة (ومن خلفهم) أمرهم بجمع الاموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم (وعن ايمانهم) افسد عليهم امر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة (وعن شمائلهم) بتحبيب اللذات إليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم.

وقال البيضاوي (من بين ايديهم)، من حيث يعلمون ويقدرّون على التحرز عنه (ومن خلفهم) من حيث لا يعلمون ولا يقدرّون (وعن أيمانهم وعن شمائلهم) من حيث يتيسر لهم ان يعلموا أو يتحرزوا، ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم^(١) وعن امير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة قال: فاعتبروا بما كان من فعل الله ببليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهد وكان قد عبد الله ستة آلاف

سنة لا يُدرى أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة^(١) وقد ورد في مواظ الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام لهشام... فقلت له: فاي الاعداء اوجبهم مجاهدة؟ قال عليه السلام أقربهم إليك واعداهم لك... ومن يحرض اعداءك عليك وهو ابليس... (٢).

٤ - الشيخ محمد مهدي النراقي (المتوفى ١٢٠٩ هـ ق):

«المطاردة بين جندي الملائكة والشياطين في معركة النفس».

... الوسواس اثر الشيطان الخناس، والالهام عمل الملائكة الكرام، ولا ريب في ان كل نفس في بدو فطرتها قابلة لأثر كل منهما على التساوي، وانما يترجح أحدهما بمتابعة الهوى وملازمة الورع والتقوى، فإذا مالت النفس إلى مقتضى شهوة أو غضب وجد الشيطان مجالاً فيدخل بالوسوسة وإذا انصرفت إلى ذكر الله ضاق مجاله وارتحل فيدخل الملك بالالهام. فلا يزال التطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة النفس. لهيولانية وجودها وقابليتها للأمرين بتوسط قوتيهما العقلية والوهمية، إلى أن يغلب أحد الجندين ويسخر مملكة النفس ويستوطن العقلية والوهمية، فيها وحينئذ يكون اجتياز الثاني على سبيل الإختلاس، وحصول الغلبة إنما هو بغلبة الهوى أو التقوى، فإن غلب عليها الهوى وخاضت فيه صارت مرعى الشيطان ومرتعه وكانت من حزبه، وإن غلب عليها الورع والتقوى

١ - بحار الانوار - محمد باقر المجلسي ج ٦٣ صفحة / ٢١٤ عن نهج البلاغة خطبة ١٩٢.

٢ - بحار الانوار - محمد باقر المجلسي ج ٧٨، ص ٣١٥.

صارت مستقر الملك ومهبطه ودخلت في جنده، قال رسول الله ﷺ: (خلق الله الإنسان ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم قال الله تعالى:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾^(١).

وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف كالملائكة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله).

ولاريب في أن أكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وملكوها ويتصرفون فيها بضروب الوسوس الداعية إلى إثارة العاجلة وإطراح الآجلة. والسر فيه: إن سلطنة الشيطان سارية في لحم الإنسان ودمه ومحيطه بمجامع قلبه وبدنه، كما ان الشهوات ممتزجة بجميع ذلك، ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان ليجري من بني آدم مجرى الدم» وقال الله سبحانه حكاية على لسان ابليس اللعين: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ ثُمَّ لَأَيْتَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾^(٢).

فالخلاص من أيدي الشياطين يحتاج إلى مجاهدة عظيمة ورياضة شاقة. فمن لم يقم في مقام المجاهدة كانت نفسه هدفاً لسهام وساوسهم وداخله في أحزابهم^(٣).

١- الأعراف، ١٧٩.

٢- سورة الأعراف، ١٦- ١٧.

٣- جامع السعادات / الجزء الأول / الشيخ محمد مهدي النراقي ص ١٤٥- ١٤٦.

تسويلات الشيطان ووساوسه

لما كانت طرق الباطل كثيرة وطريق الحق واحد، فالأبواب المفتوحة للشيطان إلى القلب كثيرة، و باب الملائكة واحدة، ولذا روي إن النبي ﷺ خط يوماً لأصحابه خطأ وقال: (هذا سبيل الله) ثم خط خطأً عن يمينه وشماله فقال (هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه) ثم تلا قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (١).

ثم لسهولة ميل النفس إلى الباطل وعسر انقيادها للحق تكون الطرق المؤدية إلى الباطل التي هي أبواب الشيطان جليلة ظاهرة، فكانت أبواب الشيطان مفتوحة أبداً، والطرق المؤدية إلى الحق التي هي باب الملائكة خفية، فكان باب الملائكة مسدوداً دائماً، فما أصعب بالمسكين ابن آدم أن يسد هذه الأبواب الكثيرة الظاهرة المفتوحة ويفتح باباً واحداً خفياً مسدوداً. على أن اللعين ربنا يلبس بين طريقي الحق والباطل ويعرض الشر في موضع الخير، بحيث يظن أنه لئمة الملك وإلهامه، لا وسوسة الشيطان وإغواؤه، فيهلك ويضل من حيث لا يعلم، كما يلقي في قلب العالم أن الناس لكثرة غفلتهم أشرفوا على الهلاك، وهم من الجهل موتى، ومن الغفلة هلكى.

أما لك رحمة على عباد الله؟

أما تريد الثواب والسعادة في العقبى؟

فما بك لاتنبههم عن رقدة الغفلات بوعظك، ولا تنقذهم من الهلاك الأبدي
بنصحك؟

وقد مَنَّ الله عليك بقلب بصير وعلم كثير ولسان ذلق ولهجة مقبولة، فكيف
تخفي نعم الله تعالى ولا تظهرها، فلا يزال يوسف بأمثال ذلك ويشتها في لوح
نفسه إلى ان يسخره بلطائف الحيل، ويشغل بالوعظ فيدعوه إلى التزئ والتصنع،
والتحسن بتحسين اللفظ، والسرور بتملق الجماعة، والفرح بمدحهم إياه،
والإنبساط بتواضعهم لديه، وانكسارهم بين يديه، ولا يزال في أثناء الوعظ يقرر
في قلبه شوائب الرياء وقبول العامة، ولذة الجاه وحب الرياسة، والتعزز بالعلم
والفصاحة والنظر إلى الخلق بعين الحقارة، فيهدي الناس ويضل نفسه ويعمر يومه
ويخرب أمسه، ويخالف الله ويظن أنه في طاعته، ويعصيه ويحسب أنه في عبادته
فيدخل في جملة من قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الَّذِينَ
ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا^(١)

ويكون ممن قال - رسول الله ﷺ - فيهم (ان الله ليؤيد هذا الدين بأقوام
لاخلاق لهم) و (إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر). فلا نجاة من مصاد
الشيطان ومكائده إلا ببصيرة باطنة نورانية وقوة قدسية ربانية، كما لانجاة
للمسافر الحيران في بادية كثيرة الطرق غامضة المسلك في ليلة مظلمة إلا بعين
بصيرة صحيحة وطلوع شمس مشرقة نيرة^(٢).

«اللائم الفارقة بن الإلهام والوسوسة»

١ - الكهف، ١٠٣ - ١٠٤ .

٢ - جامع السعادات / الجزء الأول / الشيخ محمد مهدي التراقي ص ١٤٦ - ١٤٨ .

من تمكن من معرفة الخير والشر سهل عليه التفرقة بين الإلهام والوسوسة، وقد قيل إنّ إلهام الملك ووسوسة الشيطان يقع في النفوس على وجوه وعلامات: أحدها: كالعلم واليقين الحاصلين من جانب يمين النفس وتقابله الشهوة والهوى الحاصلان من جانب شمالها.

وثانيهما: كالنظر إلى آيات الآفاق والأنفس على سبيل النظام والإحكام المزيل للشكوك والأوهام والمحصل للمعرفة والحكمة في القوة العاقلة هي الجانب الأيمن من النفس ويقابله النظر إليها على سبيل الإشتباه والغفلة والإعراض عنها، الناشئة منها الشبه والوساوس في الواهمة والمتخيلة التي على الجانب الأيسر منها، فإنّ الآيات المحكمات بمنزلة الملائكة المقدسة من العقول والنفوس الكلية لأنها مبادئ العلوم اليقينية، والمتشابهات الوهميات بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمانية، لأنها مبادئ المقدمات السفسطية.

وثالثها: كطاعة الرسول المختار والأئمة الأطهار في مقابلة أهل الجحود والإنكار وأرباب التعطيل والتشبيه من الكفار فكلّ من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملائكة المقدسين الملهمين للخير، ومن سلك سبيل الضلال فهو بمنزلة المغويين بالشرور.

ورابعها: كتحصيل العلوم والإدراكات التي هي في الموضوعات العالية والأعيان الشريفة، كالعلم بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والبعث وقيام الساعة، ومثول الخلائق بين يدي الله تعالى، وحضور الملائكة والنبين، والشهداء والصالحين، في مقابلة تحصيل العلوم والإدراكات، التي هي من باب الحيل والخديعة والسفسطة، والتأمل في أمور الدنيا الغير خارجة عن دار المحسوسات،

فإنَّ الأول يشبه الملائكة الروحانية، وجنود الرحمن الذين هم سكان عالم الملكوت السماوي، والثاني يشبه الأبالسة المطرودة عن باب الله الممنوعة من ولوج السماوات، المحبوسة في الظلمات، المحرومة في الدُّنيا عن الإرتقاء، والمحجوبة في الآخرة عن دارالنعم^(١).

علاج الوسواس

الوسواس إن كانت بواعث الشرور والمعاصي، فالعلاج في دفعها أن يتذكر سوء عاقبة العصيان ووخامته، في الدُّنيا والآخرة ويتذكر عظيم حقِّ الله وجسيم ثوابه وعقابه ويتذكر ان الصبر عما تدعو إليه هذه الوسواس أسهل من الصبر على النار لو قذفت شرارة منها إلى الأرض أحرقت نبتها وجمادها، فإذا تذكر هذه الأمور وعرف حقيقتها بنور المعرفة والإيمان، حبس عنه الشيطان وقطع عنه وساوسه إذ لا يمكن أن ينكر عليه هذه الأمور الحقّة، إذ يقينه الحاصل من قواطع البرهان يمنعه عن ذلك ويخيّبه، بحيث يرجع هارباً خائباً.

فإن التهاب نيران البراهين بمنزلة رجوم الشياطين فإذا قوبلت بها وساوسهم فرت الحُر من الأسد.

وإن كانت مختلجة بالبال بلاإرادة واختيار من دون أن تكون مبادئ الأفعال، فقطعها بالكلية في غاية الصعوبة والإشكال، وقد اعترف أطباء النفوس بأنها الداء العضال ويتعسّر دفعه بالمرّة وربما قيل بتعذره ولكن الحق امكانه لقول

النَّبِيِّ ﷺ (من صَلَّى ركعتين لم تتحدث نفسه فيها بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)، ولولا امكانه لم يتصور ذلك.

والسر في صعوبة قطعها بالكلية إنّ للشيطان جنتين: جنداً يطير وجنداً يسير، الواهمة جنده الطيار، والشهوة جنده السّيار، لأنّ غالب ما خلقنا منه هي النّار التي خلق منها الشيطان، فالمناسبة اقتضت تسلطه عليهما وتبعيتهما له.

ثمّ لما كانت النّار بذاتها مقتضية للحركة، إذ لا تتصور نار مشتعلة لا تتحرك، بل لا تزال تتحرك بطبيعتها، فشأن كلّ من الشيطان والقوتين أن يتحرك ولا يسكن، إلّا إنّ الشيطان لما خلق من النّار الصرفة من دون امتزاج شيء آخر بها فهو دائم الحركة والتحريك للقوتين بالوسوسة والهيجان، والقوتان لما امتزج بغالب مادتها - أعني النّار - شيء من الطين لم تكونا بمثابة ما خلق من صرف النّار في الحركة، إلّا أنّهما استعدتا لقبول الحركة منه، فلا يزال الشيطان ينفخ فيهما ويحركهما بالوسوسة والهيجان ويطير ويحول فيهما.

ثمّ الشهوة لكون النارية فيها أقلّ فسكونها ممكن، فيحتمل أن يكف تسلط الشيطان عن الإنسان فيها، فيسكن بالكلية عن الهيجان. وأمّا الواهمة فلا يمكن أن يقطع تسلطه عنها، فيمتنع قطع وسواسه عن الإنسان، إذ لو أمكن قطعه أيضاً بالمرة، لصار اللعين منقاداً للإنسان مسخراً له، وانقياده له هو سجوده له، إذ روح السجود وحقيقته هو الانقياد والطاعة، ووضع الجبهة حالته وعلامته، وكيف يتصور أن يسجد الملعون لأولاد آدم ﷺ مع عدم سجوده لأبيهم واستكباره من أن يطمئن

عن حركته ساجداً له معللاً بقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ﴾^(١).

فلا يمكن أن يتواضع لهم بالكف عن الوسوسة، بل هو من المنظرين لإغوائه إلى يوم الدين، فلا يخلص منه أحد إلا من أصبح وهمومه هم واحد، فيكون قلبه مستغلاً بالله وحده، فلا يجد الملعون مجالاً فيه، ومثله من المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين، فلا تظن أنه يخلو عنه قلب فارغ، بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم، وسيلانه مثل الهواء في القدح، فإنك إن أردت أن تخلي القدح عن الهواء ومن غير أن تشغله بمثل الماء فقد طمعت في غير مطمع، بل بقدر ما يدخل فيه الماء يخلو عنه الهواء. فكذلك القلب إذا كان مشغولاً بفكر مهم في الدين يمكن أن يخلو من جولان هذا اللعين، وأما لو غفل عن الله ولو في لحظة، فليس في تلك اللحظة قرين إلا الشيطان كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَغْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: (إن الله يبغض الشاب الفارغ) لأن الشاب إذا تعطل عن عمل مباح يشغل باطنه لا بد أن يدخل في قلبه الشيطان ويعيش فيه ويبغض ويفرخ، وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالداً أسرع من توالد الحيوانات، لأن الشيطان طبعه من النار، والشهوة في نفس الشاب كالحلفاء اليابسة، فإذا وجدها كثر توالده، وتولدت النار من النار ولم تنقطع أصلاً.

فظهر أن وسواس الخناس لا يزال يجاذب قلب كل إنسان من جانب إلى جانب، ولا علاج له إلا قطع العلائق كلها ظاهراً وباطناً، والفرار عن الأهل والمال

١- الأعراف، ١٢.

٢- سورة الزخرف، ٣٥.

والولد والجاه والرفقاء، ثم الاعتزال إلى زاوية^(١)، وجعل الهموم همّاً واحداً وهو الله. وهذا أيضاً غير كاف ما لم يكن له مجال في الفكر وسير في ملكوت السماوات والأرض وعجائب صنع الله، فإن استيلاء ذلك على القلب واشتغاله به يدفع مجاذبة الشيطان ووساوسه، وبأن لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه إلا الأوراد المتواصلة المترتبة في كلّ لحظة من الصلوات والأذكار والأدعية والقراءة، ويحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور، وإذا فعل كلّ ذلك لم يسلم له من الأوقات إلا بعضها، إذ لا يخلو في بعضها عن حوادث تتجدد وتشغله عن الفكر والذكر، كمرض أو خوف أو إيذاء وطغيان، ولو من مخالطة بعض لا يستغني عنه في الإستعانة في بعض أسباب المعيشة^(٢).

ما يتم به علاج الوسواس

لو أمكن العلاج في القطع الكلي للوسواس فإنما يتم بأمور ثلاثة:-
الأول: سد الأبواب العظيمة للشيطان في القلب، وهي الشهوة، والغضب، والحرص، والحسد والعداوة والعجب، والحقّد، والكبر، والطمع، والبخل، والخفة، والجبن، وحب الحطام الدنيوي، والشوق إلى التزين بالثياب الفاخرة، والعجلة في الأمر، وخوف الفاقة والفقر، والتعصب لغير الحق، وسوء الظن بالخالق والخلق،

١ - والمقصود ينبغي عدم التعلق المطلق بالأهل والمال والولد والجاه والرفقاء والاشتغال كاملاً بهم ليل نهار، كما ينبغي التفرغ إلى عبادة الله عز وجل وتخصيص أوقات لها وتحقيق الهدف الذي من أجله خلق الله سبحانه البشر، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ سورة الذاريات، ٥٦.

٢ - جامع السعادات / الشيخ محمد مهدي النراقي ج ١ - ص ١٥٠ - ١٥٣.

وغير ذلك من رؤوس ذمائم الصفات، ورذائل الملكات فإنها أبواب عظيمة للشيطان فإذا وجد بعضها مفتوحاً يدخل منه في القلب بالسوساس المتعلقة به، وإذا سدت لم يكن له إليه سبيل إلا على طريق الإختلاس والإجتياز.

الثاني: عمارة القلب بأضدادها من فضائل الاخلاق وشرائف الاوصاف، والملازمة للورع والتقوى، والمواضبة على عبادة الله سبحانه وتعالى.

الثالث: كثرة الذكر بالقلب واللسان، فإذا قلعت عن القلب أصول ذمائم الصفات المذكورة التي هي بمنزلة الأبواب العظيمة للشيطان، زالت عنه وجوه سلطنته وتصرفاته، سوي خطراته واجتيازاته، والذكر يمنعها ويقطع تسلطه وتصرفه بالكلية ولو لم يسد أبوابه أولاً لم ينفع مجرد الذكر اللساني في ازلتها، إذ حقيقة الذكر لا يتمكن في القلب إلا بعد تخليته عن الرذائل وتحليته بالفضائل، ولولاها لم يظهر على القلب سلطانه، بل كان مجرد حديث نفسي لا يندفع به كيد الشيطان وتسلطه، فإنّ مثل الشيطان مثل كلب جائع، ومثل هذه الصفات المذمومة مثل لحم أوكبز أو غيرهما من مشتهيات الكلب ومثل الذكر مثل قولك له: إخساً - ولاريب في أنّ الكلب إذا قرب إليك ولم يكن عندك شيء من مشتهياته فهو ينزجر عنك بمجرد قولك إخساً وإن كان عندك شيء منها لم يندفع عنك بمجرد هذا القول ما لم يصل إلى مطلوبه. فالقلب الخالي عن قوت الشيطان يندفع عنه بمجرد الذكر، وأما القلب المملوء منه فيدفع الذكر إلى حواشيه ولا يستقر في سويدائه، لاستقرار الشيطان فيه. وأيضاً الذكر بمنزلة الغذاء المقوي، فكما لا تندفع الأغذية المقوية مالم ينقّ البدن عن الإخلاط الفاسدة ومواد الأمراض الحادثة، كذلك لا ينفع الذكر مالم يطهر القلب عن الأخلاق الذميمة التي هي مواد مرض

الوسواس، فالذكر إنما ينفع للقلب إذا كان مطهراً عن شوائب الهوى ومنوراً بأنوار الورع والتقوى كما قال سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (١).

وقال سبحانه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٢).

ولو كان مجرد الذكر مطرداً للشيطان لكان كل أحد حاضر القلب في الصلاة، ولم يخطر بباله فيها الوسواس الباطلة والهواجس الفاسدة، إذ منتهى كل ذكر وعبادة إنما هو في الصلاة، مع أن من راقب قلبه يجد أن حضور الخواطر في صلاته أكثر من سائر الأوقات، وربما لا يتذكر مانسيه من فضول الدنيا إلا في صلاته، بل يزدحم عندها جنود الشياطين على قلبه ويصير مضماراً لجولانهم، ويقلبونه شمالاً ويميناً بحيث لا يجد فيه إيماناً و يقيناً، ويجاذبونه إلى الأسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين، ويمرون به في أودية الدنيا ومهالكها. ومع ذلك كله لا تظن أن الذكر لا ينفع في القلوب الغافلة أصلاً. فإن الأمر ليس كذلك، إذ للذكر عند أهله أربع مراتب كلها تنفع الذاكرين، إلا أن لُبّه وروحه والغرض الأصلي من ذلك المرتبة الأخيرة:

الأولي: اللساني فقط.

الثانية: اللساني والقلبي، مع عدم تمكنه من القلب، بحيث احتاج القلب إلى

مراقبته حتّى يحضر مع الذكر، ولو خلى وطبعه استرسل في أودية الخواطر.
الثالثة: القلبى الذى تمكن من القلب واستولى عليه، بحيث لم يمكن صرفه عنه بسهولة بل احتاج ذلك إلى سعي وتكلف، كما احتيج في الثانية إليهما في قراره معه ودوامه عليه.

الرابعة: القلبى الذى يتمكن المذكور من القلب بحيث انمحي عند الذكر، فلا يلتفت القلب إلى نفسه ولا إلى الذكر، بل يستغرق بشراشه^(١) في المذكور، وأهل هذه الرتبة يجعلون الالتفات إلى الذكر حجاباً شاغلاً. وهذه الرتبة هي المطلوبة بالذات، والبواقي مع اختلاف مراتبها مطلوبة بالعرض، لكونها طرقاً إلى ما هو مطلوب بالذات^(٢).

٥ - سيد قطب:

ذكر سيد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن) تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرِضُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَتُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٣).

إنَّ وعد الله حق.. انه آت لا ريب فيه.. انه واقع لا يتخلف.. انه حق.. والحق

١ - شراشه: القى عليه شراشه وهو ان يحبه حتّى يستهلك في حبه. (لسان العرب / ابن منظور / ج ٧، ص ٧٩).

٢ - جامع السعادات / الشيخ محمد مهدي النراقي / ج ١، ص ١٦٥-١٥٣.

٣ - سورة فاطر، ٥ - ٦.

لا بد أن يقع.. و الحق لا يضيع ولا يبطل ولا يتبدد ولا يحيد... ولكن الحياة الدّنيا
تغر وتخدع ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ولكن الشيطان يغر ويخدع فلا تمكنوه
من أنفسكم ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللّهِ الْغُرُورُ﴾ والشيطان قد أعلن عداؤه لكم وإصراره
على عدائكم ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ لا تركنوا إليه.. ولا تتخذوه ناصحاً لكم ولا تتبعوا
خطاه.. فالعدو لا يتبع خطي عدوّه وهو يعقل! ولا يدعوكم إلى الخير، ولا ينتهي
بكم إلى النجاة ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فهل من عاقل
يجيب دعوة الداعي إلى عذاب السّعير؟!

إنها لمسة وجدانية صادقة فحين يستحضر الإنسان صورة المعركة الخالدة
بينه وبين عدوه الشيطان، فإنه يتحفز بكلّ قواه وبكل يقظته وبغريزة الدفاع عن
النفس وحماية الذات. يتحفز لدفع الغواية والإغراء ويستيقظ لمدخل الشيطان إلى
نفسه، ويتوجس من كلّ هاجسه، ويسرع ليعرضها على ميزان الله الذي أقامه له
ليتبين، فلعلها خدعة مستترة من عدوه القديم!

وهذه هي الحالة الوجدانية التي يريد القرآن أن ينشئها في الضمير حالة
التوفر والتحفز لدفع وسوسة الشيطان بالغواية، كما يتوفر الإنسان ويتحفز لكل
بادرة من عدوه وكلّ حركة خفيّة! حالة التعبئة الشعورية ضد الشر ودواعيه، وضد
هواتفه المستترة في النفس، وأسبابه الظاهرة للعيان. حالة الإستعداد الدائم
للمعركة التي لا تهدأ لحظة ولا تضع أوزارها في هذه الأرض أبداً^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعُثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا يَتَيْنَهُمْ مِّنْ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١﴾

تبدأ قصة البشرية باحداثها المثيرة، تبدأ باعلان ميلاد الإنسان في احتفال مهيب، في رحاب الملأ الأعلى... يعلنه الملك العزيز الجليل العظيم، وزيادة في الحفاوة والتكريم. وتحتشد له الملائكة - وفي زمريتهم وان لم يكن منهم ابليس - وتشهده السماوات والارض وما خلق الله من شيء.. انه أمر هائل وحدث عظيم في تاريخ هذا الوجود ان الخلق قد يكون معناه الانشاء والتصوير قد يكون معناه الصورة والخصائص وهما مرتبتان في النشأة لمرحلتان فإن (ثم) قد لا تكون للترتيب الزمني، ولكن للترقي المعنوي. والتصوير أرقى مرتبة من مجرد الوجود...

وعلى أية حال فإن مجموع النصوص القرآنية في خلق آدم ﷺ، وفي نشأة الجنس البشري ترجع ان اعطاء هذا الكائن خصائصه الإنسانية ووظائفه المستقلة، كان مصاحباً لخلقه. وان الترقي في تاريخ الإنسان كان ترقياً في بروز هذه الخصائص ونموها وتدريبها واكتسابها الخبرة العالية، ولم يكن ترقياً في

(وجود) الإنسان كما تقول الدارونية...

... لقد اعلن الله بذاته العلية الجلية هذا الكائن الانساني، في حفل حافل

من الملائكة الاعلى

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ

السَّاجِدِينَ﴾^(١).

والملائكة خلق آخر من خلق الله لهم خصائصهم ووظائفهم.. وهم الذين لا

يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فقد سجدوا مطيعين منفذين لامر الله، لا

يترددون ولا يستكبرون ولا يفكرون في معصية لأي سبب ولأي تصور ولأي

تفكير.. هذه طبيعتهم وهذه خصائصهم وهذه وظيفتهم وإلى هنا تتمثل كرامة هذا

الكائن الانساني على الله كما تتمثل الطاعة المطلقة في ذلك الخلق المسمى

بالملائكة من عباد الله.

اما ابليس فقد امتنع عن تنفيذ امر الله سبحانه وعصاه.. نجد في المشهد ثلاثة

نماذج من خلق الله:

نموذج الطاعة المطلقة والتسليم العميق.

ونموذج العصيان المطلق والاستكبار المقيت.

وطبيعة ثالثة هي الطبيعة البشرية.

اما الطبيعة الاولى فهي خالصة لله وقد انتهت دورها بهذا التسليم المطلق.

واما الطيعتان الاخيرتان، فسنعرف كيف تتجهان.

﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(١).

لقد جعل ابليس له رأياً مع النص. وجعل لنفسه حقاً في ان يحكم نفسه وفق ما يرى هو من سبب وعلة مع وجود الامر... وحين يوجد النص القاطع والامر الجازم ينقطع النظر، ويبطل الفكر، وتتعين الطاعة، ويتحتم التنفيذ.. وهذا إبليس - لعنة الله - لم يكن ينقصه أن يعلم ان الله هو الخالق المالك الرازق المدير الذي لا يقع في هذا الوجود شيء إلا بأذنه وقدره. ولكنه لم يطع الامر كما صدر إليه ولم ينفذه بمنطق من عند نفسه: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٢) فكان الجزاء العاجل الذي تلقاه لتوه: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾^(٣).

ان علمه بالله لم ينفعه واعتقاده بوجوده وصفاته لم ينفعه وكذلك كل من يتلقى امر الله ثم يجعل لنفسه نظراً في هذا الأمر يترتب عليه قبوله أو رفضه، وحاكمية في قضية قضى الله فيها من قبل يرد بها قضاء الله في هذه القضية.. انه الكفر إذن مع العلم ومع الاعتقاد فابليس لم يكن ينقصه العلم ولم يكن ينقصه الاعتقاد!

لقد طُرد من الجنة وطُرد من رحمة الله وحقت عليه اللعنة وكتب عليه الصغار ولكن الشرير العنيد لا ينسى ان آدم هو سبب الطرد والغضب ولا يستسلم

١ - سورة الاعراف، ١٢.

٢ - سورة الاعراف، ١٢.

٣ - سورة الاعراف، ١٣.

لمصيره البائس دون ان ينتقم ثم ليؤدي وظيفته وفق طبيعة الشر التي تمخضت فيه: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (١).

فهو الاصرار المطلق على الشر، والتصميم المطلق على الغواية... وبذلك تتكشف هذه الطبيعة عن خصائصها الاولى....

شر ليس عارضاً ولا وقتياً انما هو الشر الاصيل العائد القاصد العنيد... ثم هو التصوير المشخص للمعاني العقلية والحركات النفسية، في مشاهد شاخصة حيّة.

لقد سأل ابليس ربه ان ينظره إلى يوم البعث.. وهو يعلم ان هذا الذي يطلبه لا يقع إلا بإرادة الله وقدره.

وقد أجابه الله إلى طلبه في الانتظار، ولكن ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ كما جاء في السورة الاخرى وقد وردت الروايات: انه يوم النفخة الاولى التي يُصْعَق فيها من في السماوات والارض - إلا من شاء الله - لا يوم يبعثون.

وهنا يعلن ابليس في تبجح خبيث - وقد حصل على قضاء بالبقاء الطويل - أنه سيرد على تقدير الله له الغواية وانزالها به، بسبب معصيته وتبجحه، بان يغوي ذلك المخلوق الذي كرمه الله والذي بسببه كانت مأساة ابليس ولعنه وطرده ! ويجسم هذا الاغواء بقوله الذي حكاه القرآن عنه:

﴿... لَا فَعْدَنَ لَهُمْ صِرْطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا يَنبَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ...﴾^(١)

إنه سيقعد لآدم وذريته على صراط الله المستقيم، يصد عنه كل من يهم منهم
باجتيازه - والطريق إلى الله لا يمكن أن يكون حساً، فالله سبحانه جل عن التحيز،
فهو إذن طريق الايمان والطاعات المؤدي إلى رضى الله - وانه سيأتى البشر من
كل جهة: ﴿مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ للحيلولة
بينهم وبين الايمان والطاعة... وهو مشهد حي شاخص متحرك لا طباق إبليس
على البشر في محاولته الدائبة لاغوائهم، فلا يعرفون الله ولا يشكرونه، اللهم إلا
القليل الذي يفلت ويستجيب: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ويجيء ذكر الشكر،
تنسيقاً مع ما سبق في مطلع السورة:

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ... لبيان السبب في قلة الشكر، وكشف الدافع الحقيقي
الخفي، من حيلولة إبليس دونه، وقعوده على الطريق إليه ليستيقظ البشر للعدو
الكامن الذي يدفعهم عن الهدى، وليأخذوا حذرهم حين يعرفون من اين هذه
الآفة التي لا تجعل اكثرهم شاكرين. لقد اجيب إبليس إلى ملتمسه - لأن مشيئة الله
- سبحانه - اقتضت ان يترك الكائن البشري يشق طريقه، بما ركّب في فطرته من
استعداد للخير والشر، وبما وهبه من عقل مرجح، وبما أمده من التذكير والتحذير
على أيدي الرسل، ومن الضبط والتقويم بهذا الدين كما اقتضت ان يتلقى الهداية
والغواية، وان يضطرع في كيانه الخير والشر، وان ينتهي إلى إحدى النهايتين،

فتحق عليه سنه الله وتتحقق مشيئته بالابتلاء، سواء اهتدى أو ضل، فعلى سنة الله الجارية وفق مشيئته الطليقة، تحقق الهدى أو الضلال.

لكن السياق هنا لا يصرح بترخيص الله - سبحانه - لابليس - عليه اللعنة - في إبعاده هذا الاخير كما صرح باجابته في انظاره انما يسكت عنه، ويعلن طرد ابليس طرداً لا معقب عليه. طرده مذموماً مقهوراً، وابعاده بملء جهنم منه ومن يتبعه من البشر ويضل معه:

﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُوماً مَذْخُوراً لَّمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١) ومن يتبعه من البشر قد يتبعه في معرفته بالله واعتقاده بالوهيته، ثم رفض حاكمية الله وقضائه، وادعاء أن له الحق في إعادة النظر في اوامر الله. وفي تحكيم منطقته هو في تنفيذها أو عدم تنفيذها.. كما أنه قد يتبعه ليضله عن الاهتداء إلى الله اصلاً... وهذا وذلك كلاهما اتباع للشيطان، جزاؤه جهنم مع الشيطان!

لقد جعل الله - سبحانه - لابليس وقيله فرصة الاغواء - وجعل لآدم وذريته فرصة الاختيار تحقيقاً للابتلاء الذي قضت مشيئته أن تأخذ به هذا الكائن، وتجعله به خلقاً متفرداً في خصائصه لا هو ملك ولا هو شيطان لأن له دور آخر في هذا الكون، ليس هو دور الملك ولا هو دور الشيطان.

وقوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ...﴾

وسوسة الشيطان لاندري نحن كيف تتم، لاننا لاندري كنه الشيطان حتى ندرك كيفيات افعاله، وكذا اتصاله بالانسان وكيفية اغوائه... ولكننا نعلم - بالخبر

الصادق وهو وحده المصدر المعتمد عندنا عن هذا الغيب - ان إغواء على الشريعة في صورة من الصور، وإيحاء بارتكاب المحظور يتم في هيئة من الهيئات. وان هذا الإيحاء وذلك الإغواء يعتمدان على نقاط الضعف الفطرية في الإنسان. وان هذا الضعف يمكن اتقاؤه بالايمان والذكر، حتّى ما يكون للشيطان سلطان على المؤمن الذاكر، وما يكون لكيده الضعيف حيثئذٍ من تأثير^(١).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لَأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٢)

هناك حقيقة واقعة - هي جدية المعركة مع الشيطان واصالتها واستمرارها وضراوتها...

لقد بدأ من سياق القصة اصرار هذا العدو العنيد على ملاحقة الإنسان في كل حالة، وعلى اتيانه من كل صوب وجهة، وعلى اتباعه في كل ساعة ولحظة. لقد اختار اللعين القصة اصرار هذا العدو العنيد على ملاحقة الإنسان في كل حالة، وعلى اتيانه من كل صوب وجهة، وعلى اتباعه في كل ساعة ولحظة. لقد اختار اللعين ان يزاول هذا الكيد، وان ينظر لمزاولته على المدى الطويل ... اختار هذا على ان يضرع إلى الله ان يغفر له خطيئته في معصيته عياناً وقد سمع أمره مواجهة! ثم بين انه سيقعد لهم على طريق الله لا يمكنهم من سلوكه، وأنه سيأتيهم من كل جهة يصرفهم عن هداة.

١ - في ظلال القرآن / سيد قطب / الجزء الثالث ص ١٢٦٨.

٢ - سورة الأعراف، ١٦ - ١٧.

وهو إنما يأتيهم من ناحية نقط الضعف فيهم ومداخل الشهوة ولا عاصم لهم منه إلا بالتقوى وبالايمان والذكر والتقوى على اغوائه ووسوسته، والاستعلاء على الشهوات واخضاع الهوى لهدى الله.

والمعركة مع الشيطان هي المعركة الرئيسية. انها المعركة مع الهوى باتباع الهدى، والمعركة مع الشهوات باستعلاء الارادة. والمعركة مع الشر والفساد في الارض الذي يقود الشيطان اولياءه إليه باتباع الهدى، والمعركة مع الشهوات باستعلاء الارادة. والمعركة مع الشر والفساد في الارض الذي يقود الشيطان اولياءه إليه باتباع شريعة الله المصلحة للارض...

والمعركة في الضمير، والمعركة في الحياة الواقعية متصلتان لامنفصلتان. فالشيطان وراءهما جميعاً!

والطواغيت التي تقوم في الارض لتخضع الناس لحاكميتها وشرعها وقيمها وموازينها، وتستبعد حاكمية الله وشرعه والقيم والموازن المنبثقة من دينه.. انما هي شياطين الانس التي توحى لها شياطين الجن. والمعركة معها هي المعركة مع الشيطان نفسه. وليست بعيدة عنها.

وهكذا تتكرر المعركة الطويلة الضارية فالمعركة مع الشيطان ذاته ومع اوليائه، ويشعر المسلم وهو يخوض المعركة مع هواه وشهواته، وهو يخوضها كذلك مع اولياء الشيطان من الطواغيت في الأرض وأتباعهم وأذنابهم، وهو يخوضها مع الشر والفساد والانحلال الذي ينشئونه في الارض من حولهم... يشعر المسلم وهو يخوض هذه المعارك كلها، انه انما يخوض معركة واحدة جديّة صارمة ضارية لأن عدوه فيها مصر ماضٍ في طريقه... وان الجهاد - من ثم - ماض

إلى يوم القيامة، في كل صورته ومجالاته^(١).

٦ - إبراهيم محمد الجمل:

مسائل حول عصيان ابليس ومحاботه:

المسألة الأولى:

ان ابليس لم يكن من الملائكة فهو غير مأمور بالسجود لآدم، فكيف يعاقب على مخالفتة امرأ لم يوجه إليه؟ والجواب: - ان ابليس لو لم يكن مأموراً لقال الله: إنك لم تأمرني حين قال الله له ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾^(٢) ولكنه أظهر التكبر ولم ينف الامر، ففهمنا انه كان مأموراً، وانه وإن كان من غير الملائكة ولكن الله تعالى كان قد أمر الشاهدين لنفخ الروح في آدم بالسجود وابليس كان حاضراً، وانما عبّر الله تعالى بالملائكة لانهم كانوا الجمهور الأعظم في الحاضرين. ووجود فرد من غيرهم لا يغير في صدور الامر على هذه الصورة، فهو كان من الحاضرين المأمورين حقيقة وإن كان غير ملك، وليس لاحد أن يكون أقوم بحجة ابليس نفسه.

وهناك رأي آخر: وهو أن في الملائكة صنفاً يقال لهم الجن فلفظ الملائكة

يشمله.

١ - في ظلال القرآن / سيد قطب، الجزء الثالث ص ١٢٢٤ - ١٢٧٥.

٢ - سورة الاعراف، ١٢.

وكذلك قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا...﴾^(١).

حيث اراد بالجنّ الملائكة وأنما سماهم جنّاً لأستتارهم عن الأعين^(٢).

المسألة الثانية

نعلم ان ابليس طرد من الجنة عقب إيائه السجود، فكيف وصل إلى آدم في الجنة حتى أغواه ودلّاه وزوجه بغروره؟

والجواب: أن طرده من الجنة لا يجعل دخولها مستحيلاً عليه، وأنه قد دخلها عاصياً آثماً لإغواء من حسده من أول يوم، على أن ابليس تصل وسوسته إلى النفس وان كان بعيداً، كما يصل تأثير السحر إلى الغائب والبعيد، وكما يصل صوت البعيد بواسطة الهاتف واللاسلكي، فلا منع من أن يصل تأثير وسوسته إلى آدم من خارج الجنة إلى داخلها. واني اميل إلى أنه دخلها آثماً وعاصياً أمر به بدليل قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾^(٣)^(٤).

المسألة الثالثة

أكان ابليس وقت امتناعه عن السجود منافقاً أم كافراً؟ والجواب: قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٥).

١ - الصفات، ١٥٨.

٢ - المجمع الطبرسي، ج ٤، ص ٥٣٠.

٣ - الأعراف، ٢٤.

٤ - قصص الانبياء للشيخ النجار ط ٨، إحياء التراث بيروت.

٥ - سورة ص، ٧٤.

وفيه قولان: أحدهما انه وقت العبادة كان منافقاً، والقول الثاني أنه كان مؤمناً ثم كفر، وهذا قول الاكثرين فليل في معنى الآية وكان من الكافرين في علم الله أي كان عالماً منذ الازل أنه سيكفر، والذي عليه الاكثرون أن ابليس اول كافر بالله فرد إلى ماهية تقتضي وجودها - او يقال معنى الآية انه صار من الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك - واختلف الناس بأي سبب كفر ابليس لعنه الله، فقالت الخوارج انما كفر بمعصية الله، وكل معصية كفر، هذا قول باطل بالكتاب والسنة وإجماع الامة، وقال آخرون كفر بترك السجود لآدم ومخالفته أمر الله - وقال: السجود في الصلاة ركن واحتج به طائفة على كفر تارك الصلاة كما هو مذهب احمد.

وحكى اجماع الصحابة، وقال ابوهريرة (كان اصحاب رسول الله ﷺ لا يرون من الاعمال شيئاً من تركه فقد كفر إلا الصلاة) رواه الحاكم. وقد جاء تكفير تارك الصلاة عن أحد عشر نفساً من الصحابة وسبعة من التابعين وعامة فقهاء الحديث وقال آخرون: كفر ابليس لأنه خالف الامر الشفاهي من الله، فإن الله خاطب الملائكة وامرهم بالسجود ومخالفة الامر الشفاهي أشد قبحاً.

وقال جمهور الناس: كفر ابليس لانه أبى السجود واستكبر وعاند وطعن واعتقد انه محق في تمرده واستدل بأنه خير منه فكأنه ترك السجود لآدم تسفيهاً لامر الله وحكمته، وهذا الكبر عبّر عنه رسول الله ﷺ بقوله (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) (أ.هـ)

وقال الميموني: ذكر ابو عبدالله بن حنبل ابليس فقال: إنما امر بالسجود فاستكبر وكان من الكافرين والاستكبار هو الكفر، وقد حكى الشهرستاني في اول

كتابه: الملل والنحل عن شارح الاناجيل الاربعة قال: إعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس ومصدرها استمراره بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على الطين، وتشعبت عن هذه الشبهة سبع شبهات، وسارت في الخليقة، وتلك الشبهات مسطورة في شرح الاناجيل الاربعة و مذكورة في التوراة متفرقة على شكل المناظرة بينه وبين الملائكة بعد الامر بالسجود والامتناع منه. وقال ابليس - لعنه الله - للملائكة يتوجه على مساق حكمته سبحانه اسئلة سبعة، قال شارح الاناجيل فاوحى الله من سرادقات الجلال والكبرياء يا ابليس ما عرفتني ولو عرفتني لعلمت أنه لا اعتراض عليّ في شيء من أفعالي فإنني انا الله لا اله إلا انا لا أسأل عما أفعل: (أ.هـ)

وهذه القصة والمناظرة هي من نقل أهل الكتاب، ونحن لانصدقها ولا نكذبها وكأنها والله أعلم مناظرة وضعت على لسان ابليس ولاريب انها من كيده، وقد اخبر الله سبحانه ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(١) واسئلته وشهادته من اضعف الاسئلة عند أهل الايمان، وان ضعف موقعها عند من أصلًا اصولًا فاسدة كانت سدأ بينه وبين ردها^(٢). (أ.هـ)

وفي ذلك كلام لا يسعه هذا الموضع.

وبذلك عصى ابليس ربه وأخرج من الجنة، فحشد جنوده وأتباعه، وجمع طاقاته، واستعد للاغواء والاضلال...^(٣)

١ - النساء، ٧٦.

٢ - مصائب الإنسان مكاييد الشيطان - لابن مفلح المقدسى الحنبلى

٣ - جذور الشر - ابراهيم محمد الجمل ص ٢٢٢ - ٢٢٤.

هرب الشيطان من الاذان

عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال:

(اذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان له صراخ حتى لا يسمع الاذان، فإذا قُضي الاذان أقبل، فإذا ثوب بها ادبر، فإذا قُضي أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول له: اذكر كذا - لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى) (أ.هـ)^(١)

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ (اذا أذن المؤذن هرب الشيطان حتى يكون بالروحاء وهي من المدينة ثلاثون ميلاً) (أ.هـ) رواه الإمام أحمد ورواه مسلم فقال: الروحاء من المدينة ستة وثلاثين ميلاً، وفي هذه فضل عظيم للاذان فإن الشيطان يدبر منه ولا يدبر من القرآن ذكره ابن عبد البر.

وقال ابن عباس: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَخَدَّهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَانِهِمْ نُفُورًا﴾ (٢).

المراد بهم الشياطين، وقال ابن زيد: المراد به المشركون. وقيل المعنى ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَخَدَّهُ﴾ (٣)، قوله لا اله إلا هو وانت تتلو القرآن وإنما يدبر الشيطان من الاذان لتلاسمعه، فيضطر إلى ان يشهد له بذلك يوم القيامة لقوله ﷺ: (لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة،

١ - متفق عليه.

٢ - سورة الاسراء، ١٧.

٣ - الاسراء، ١٧.

وقيل ليأسه من وسوسة الإنسان عند الاعلان بالتوحيد^(١).
 ذكر بقي بن مخلد في تفسيره ان ابليس رَنَّ اربع رنَّات: رنَّة حين لعن، ورنَّة
 حين هبط، ورنَّة حين ولد رسول الله ﷺ، ورنَّة حين انزلت فاتحة الكتاب.
 قال سعيد بن جبير لما لعن الله ابليس حوّل صورته عن صورة الملائكة
 ورنَّ رنَّة فكل رنَّة منها في الدنيا إلى يوم القيامة) رواه ابو حاتم^(٢).

١ - جذور الشر - ابراهيم محمد الجمل ص ٢٦٤.

٢ - جذور الشر - ابراهيم محمد الجمل ص ٢٧٠.

الفصل السابع

الأبواب السابقة ومحصلة الكتاب

ثمرة البحث

دعاء

الخاتمة

ثمره البحث

بعد أن اطلعنا على ماهية الشيطان وخطواته ولماذا خلق وهل له دور، وكيف أنه يتبرأ من اتباعه وكيف يتعامل مع الإنسان وأن الإنسان مسؤول عن جميع اعماله، ومراحل التأثير الشيطاني على النفس الإنسانية، والغاية من ذكر القرآن الكريم لأساليب عمل الشيطان، وما ورد ذكره على لسان رسول الله ﷺ وما ورد ذكره في نهج البلاغة وفي الصحيفة السجادية وماذا قال الإمام الصادق عليه السلام عنه، ولاقوال بعض العلماء وحديثهم عن الشيطان وكيف يجري الشيطان في الميدان الاجتماعي نصل إلى نهاية الكتاب أو البحث ونختم بالسؤال التالي.

هل المعرفة بالشيء تكفي وتغني أم تحتاج إلى خطوات عملية وميدانية
لعلاجه بعد المعرفة؟

وتوضيح ذلك، لو أن الإنسان اكتشف نفسه بأنه مصاب بمرض عضال أو خطر كالسرطان، هل أن مجرد معرفته بذلك تشفيه من دائه أم لا؟ أم ينبغي له الإسراع في اتخاذ العلاج اللازم والذي قد يتطلب عملية استئصال أو عملية جراحية كبرى بالاضافة إلى تناول فواتير أو نسخ الادوية وتجنّب الممنوعات من

الاطعمة والاشربة وإلى غيرها؟

صحيح ان اكتشاف المريض مرضه خطوة مهمة جداً وحساسة وعدم اكتشافه ذلك قد يعجل في هلاكه ولكن ذلك لا يكفي ولا يغني دون اتمام الخطوات العملية التي يحتاجها و أن طالت وتعددت وكان ثمنها باهضاً وغالياً، كذلك دورنا مع الشيطان وخطواته ينبغي لنا أن نعمل على ابعاده عن ساحتنا بعزيمة و بخطوات رائدة وبشكل عملي و ليس نظري و بشكل واقعي. و اليكم أعزائي جملة من الخطوات التي ينبغي العمل بها تجنباً من تسلط الشيطان علينا:

(١) ينبغي الابتعاد عن الاهتمام كثيراً بالمظاهر وعلينا الزهد في هذه

الحياة القصيرة الفانية:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٢)

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «من أصبح وامسى والدنيا اكبرهمه، جعل الله الفقر بين عينيه وشتت أمره ولم ينل من الدنيا إلا ما قُسم له، ومن أصبح وامسى والآخرة اكبرهمه، جعل الله الغنى في قلبه وجمع له امره» (٣). وليس معنى هذا اننا

١ - سورة الحجر، ٣٩.

٢ - سورة النساء، ١١٩ - ١٢٠.

٣ - الاربعون حديثاً - الإمام الخميني - ص ١١٨، عن اصول الكافي المجلد الثاني - كتاب الإيمان والكفر، باب حب الدنيا ح ١٥.

نهجر الدنيا وتنزوي، فالزهدُ ليس معناه ان لاتملك شيئاً بل الزهد هو أن لا يملكك شيء..

وقال امير المؤمنين (عليه السلام): (...ان الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها. مسجد أحبّاء الله، ومصلّى ملائكة الله ومهبط وحى الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة...) (١).

أذن المذموم هو التوجه إلى الدنيا وتعلق القلب بها وحبّها حباً يشغله عن الهدف الذي من أجله خلق، وهذا هو منشأ المفسد والخطايا، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (رأس كل خطيئة حب الدنيا) (٢) وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (ما ذئبان ضاريان في غنم ليس لها راع هذا في أولها وهذا في آخرها بأسرع فيها من حب المال والشرف في دين المؤمن) (٣) وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (ان الدرهم والدينار اهلكا من كان قبلكم، وهما مهلكاكم) (٤). إذن ينبغي الموازنة في التصرف وفي السلوك وعدم الخلود إلى الأرض لأنها دار مجاز وانتقال وارتحال ولم تكن يوماً دار اطمئنان واستقرار وفرح.

وقال الإمام الحسين (عليه السلام) صبيحة يوم عاشوراء: (...عباد الله اتقوا الله وكونوا

١ - الأربعون حديثاً - الإمام الخميني - ص ١٢٠، عن نهج البلاغة - الحكمة رقم ١٣١، د. صبحي الصالح.

٢ - الأربعون حديثاً - الإمام الخميني - ص ١٢١، عن اصول الكافي المجلد الثاني كتاب الإيمان والكفر - باب حب الدنيا ج ١ و ٣.

٣ - الأربعون حديثاً - الإمام الخميني - ص ١٢١، عن نهج البلاغة الخطبة ٥، د. صبحي الصالح.

٤ - الأربعون حديثاً - الإمام الخميني - ص ١٢٣.

من الدنيا على حذر فإن الدنيا لو بقيت على أحد لكان الأنبياء أحق بالبقاء وأولى بالرضا وأرضى بالقضاء، غير أن الله خلق الدنيا للفناء، فجديدها بالٍ ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر والمنزل تلة والدار قلعة فتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واتقوا الله لعلكم تفلحون. أيها الناس إن الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دارفناء وزوال متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، المغرور من غرته والشقي من فتنه فلا تفرنكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها وتُخَيِّب طمع من طمع فيها... (١).

وفي اغلب الاحيان يستحوذ على الإنسان حب الدنيا فينسيه آخرته، ويشعر وكأنه خال فيها ويكون ذلك الحب مرتعاً للشيطان اذ من خلاله ينفذ له ويفريه قال رسول الله ﷺ في إحدى مواعظه: (مالي أرى حب الدنيا قد غلب على كثير من الناس، حتّى كأن الموت في هذه الدنيا على غيرهم كُتِبَ وكأن الحق في هذه الدنيا على غيرهم واجب، وحتّى كأن ما يسمعون من خير السموات قبلهم عندهم كسبيل قوم سَقَرُوا عما قليل إليهم راجعون، تبونونهم أجدائهم وتأكلون تراثهم وأنتم مخلصون بعدهم، هيهات هيهات، أما يتعظ آخرهم بأولهم، لقد جهلوا ونسوا كل مواظبة في كتاب الله وأمنوا شر كل عاقبة سوء ولم يخافوا نزول فادحه ولا بوائق كل حادثة) (٢).

١ - مقتل سيد الشهداء يوم عاشوراء الشريفى ص ٨ و ٩.

٢ - تحف العقول عن آل الرسول - الحراني ص ٢٨.

(٢) أن يكون الإنسان من المخلصين

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢).

فما معنى المخلصين؟ وما الفرق بين المخلص والمخلص؟

المُخْلَص (بفتح اللام) هو الذي اخلصه الله واصطفاه لذاته المقدسة، أما المخلص (بكسر اللام) فهو الذي خلص الله عز وجل، ولا يمكن أن يكون المُخْلَص (بفتح اللام) مُخْلَصاً إلا من بعد أن يكون مخلصاً - بكسر اللام - فهم الذين اخلصهم الله بأن وفقهم لذلك ولطف بهم فليس للشيطان عليهم من سبيل. من قرأ بكسر اللام قال: وهم الذين اخلصوا عبادتهم لله وامتنعوا عن عبادة الشيطان وانتهوا عما نهاهم الله عنه، ومن قرأ بفتح اللام قال هم الذين اخلصهم الله بأن وفقهم لذلك ولطف بهم وليس للشيطان عليهم سبيل (٣) فيقول الشيطان أنا أدعوا الجميع إلى الفنى وازين لهم القبائح إلا عباد الله الذين إستخلفهم وآثرهم وعصمهم فلا سبيل لي عليهم.

١ - سورة الحجر، ٣٩ - ٤٠.

٢ - سورة ص، الآية ٨٢ - ٨٣.

٣ - مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي - ج ٦، ص ٥١٩.

وفي الرواية^(١): ان رجلاً مرّ بشجرة تُعبد من دون الله تعالى، فأخذ فأسه وركب حماره وتوجه نحو الشجرة ليقطعها، فلقاه إبليس في الطريق على صورة انسان فقال له: إلى أين؟

فقال في جوابه: شجرة تعبد من دون الله تعالى فعاهدت الله عهداً أن اركب حماري وأخذ فأسي و اتوجه نحوها لأقطعها، فقال له إبليس: مالك ولها دعها، فلم يرجع.

فقال له: ابليس ارجع وأنا معطيك كل يوم أربعة دراهم، فترفع طرف فراشك وتأخذها، فقال له: أوتفعل ذلك؟ قال: نعم ضمنْتُ لك ذلك كل يوم، فرجع إلى منزله فوجد ذلك يومين أو ثلاثة، فلما أصبح بعد ذلك رفع طرف فراشه فلم ير شيئاً، ثم جاء يوم آخر فلم ير شيئاً، فأخذ الفأس وركب الحمار وتوجه نحو الشجرة فلقى إبليس (لع) على صورة انسان فقال له: اين تريد؟ قال شجرة تعبد من دون الله تعالى أريد أن اقطعها قال له إبليس: لا تطيق ذلك، أما أول مرة فكان خروجك من غضبك لله تعالى فلو اجتمع أهل السماء والارض ماردوك عنها، وأما الآن فأنما خروجك من حيث لم تجد الدراهم فإن قدمت لأدقن عنقك.

وفي رواية أخرى أن العابد في المرة الأولى صرع الشيطان وهو صرع العابد في المرة الثانية ويؤيده، ماروي في تفسير قوله تعالى ﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ﴾^(٢)

(أي غلب عليهم) ان الشيطان سُئل أي ذنب إذا فعله ابن آدم استحذرت

١ - الحديقة الناصرية، السيد محمد حسين الجزائري، ناشر الإسلام ص ٢٤٣.

٢ - المجادلة، ١٩.

عليه؟ قال: إذا أطاعني المرة الأولى^(١).

٣) ينبغي أن يكون الإنسان عبداً مخلصاً رشيداً لله ولا يغوي
قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْغَاوِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾^(٣).
إنّ من أرقى المراتب الإنسانية هي أن يكون فيها الإنسان عبداً لله وحده
دون غيره من الانداد والاهواء والمحاور فما معنى العبودية لله؟ وما معنى
الغواية؟

العبودية هي خضوع الضعيف للقوي ومطاوعة العاجز للقادر وتسليم
الصغير للكبير والحقير للعظيم، فإنه قانون عام جاري في الكون حاكم في جميع
أجزاء الوجود وفيه تؤثر الأسباب في مسبباتها و تتأثر المسببات عن اسبابها.
واذا ظهر الناموس (القانون) المذكور لذوات الشعور والإرادة - كالحوانات - كان
مبدأ للخضوع والمطاوعة من الضعيف للقوي كما نشاهده من حال الحيوانات
العجم شعر الضعيف منها قوة القوي يثس من الظهور عليه والقدرة على مقاومته
وظهوره في العالم الإنساني أوسع وأبين من سائر - الحيوانات - لما في هذا النوع
من عمق الإدراك وخصيصة الفكر فهو متفنن في اجرائه في غالب مقاصده

١ - زهر الربيع نعمة الله الجزائري ج ١، ص ١٢٥ ط . ق.

٢ - سورة الحجر، ٤٢.

٣ - سورة الأسراء، ٦٥.

وأعماله جلباً للنفع أو دفعاً للضرر كخضوع الرعية للسلطان والفقير للغني والمرؤوس للرئيس والمأمور للأمر والخادم للمخدوم والمتعلم للعالم والمحب للمحبوب والمحتاج للمستغني والعبد للسيد والمريوب للرب. وجميع هذه الخضوعات من نوع واحد وهوتذل وهوان نفساني قبال عزة وقهر مشهود.

والعمل البدني الذي يظهر هذا التذل والهوان هي العبادة أيًا ما كانت؟ وممن ولمن تحققت؟ ولا فرق في ذلك بين الخضوع للرب تعالى وبينه إذا تحقق من العبد بالنسبة إلى مولاه أو من الرعية بالنسبة إلى السلطان أو من المحتاج بالنسبة إلى المستغني أو غير ذلك فالجميع عبادة.

وعلى أي حال لاسبيل إلى ردع الإنسان عن هذا الخضوع لاستناده إلى قضاء فطري ليس للإنسان ان يتجافى عنه إلا أن يتبين أن الذي كان يظنه قوياً ويستضعف نفسه دونه ليس على ما كان يظنه بل هما سواء مثلاً^(١) فلا خضوع في الإسلام لأحد دون الله إلا ما يرجع إليه تعالى. والعبادة حاجة إنسانية ثابتة خلقت معه وظلت ثابتة في كيانه على الرغم من التطور المستمر في حياته، لأن العلاج بصيغة ثابتة يفترض ان الحاجة ثابتة وانها تسير على ثلاثة خطوط:

١- الحاجة إلى الارتباط بالمطلق.

٢- الحاجة إلى الموضوعية في القصد وتجاوز الذات.

٣- الحاجة إلى الشعور الداخلي بالمسؤولية كضمان للتنفيذ.

الإيمان بالله يحل مشكلة الضياع والانتماء وهذا يمثل الجانب السلبي من

١- الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي ج ١٠، ص ٢٧٤.

المشكلة، ومن زاوية أخرى تعبر عن مشكلة: الغلو في الانتماء والانتساب بتحويل الحقائق النسبية التي ينتمي إليها إلى مطلق، وهذا يمثل الجانب الإيجابي من المشكلة فهو يعالج الجانبين ويجعله خليفته في الأرض، والخلافة تستبطن المسؤولية والمسؤولية امامه، وجزاء يتلقاه تبعاً لتصرفه، بين الله والمعاد. بين الازل والابد، وهو يتحرك في هذا المسار تحركاً مسؤولاً هادفاً^(١) يكون عبداً مطيعاً مهتدياً أو عبداً ضالاً عاصياً.

فإذا كان مطيعاً مهتدياً ليس للشيطان عليه سبيل ولا سلطان وإذا كان ضالاً كان مرتعاً للشيطان.

والكل يسبح لله عز وجل ولا يتخلف عن هذه القاعدة الأساس، قال تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

تدل على تسبيح جميع الكائنات حتى النباتات والجمادات لله سبحانه ومن خص التسبيح بذوي العقول من الموجودات فهو نتيجة احتجاب عقول ذوي العقول، ولو فرضنا بان هذه الآية المباركة تقبل التوجيه والتأويل لتسبيح الكائنات، ولكن هناك آيات شريفة أخرى لا تقبل التأويل والتفسير مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ...﴾^(٣).

وأن تأويل التسبيح إلى التسبيح التكويني أو الفطري، يكون من التأويل

١- الفتاوى الواضحة الشهيد محمد باقر الصدر، ص ٧٠٣-٧٠٧.

٢- سورة الحديد، الآية ١.

٣- سورة الحج، الآية ١٨.

البعيد الموهون حيث تأباه الاحاديث والآيات الشريفة، وترفضه البراهين الفلسفية، وينكره المسلك العرفاني الجميل^(١).

والعبادة على ثلاث رتب، جاء في نهج البلاغة: «ان قوماً عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجار وان قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الاحرار وهي افضل العبادة»^(٢).

أما الغواية فهي عكس الهداية، والغواية هي الضلالة، والاغواء عدول عن الحق ومفارقة الهدى.

٤) يجب عدم اتباع ابليس في ظنه:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ^(٣).

أي حقق ابليس عليهم ظنه، أو أوجد ظنه صادقاً عليهم إذ قال لربه: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ وقوله: ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بيان لتصديق ظنه. وأنهم اتبعوه عن سوء اختيارهم فهم يختارون اتباعه فيتسلط عليهم لا أنه يتسلط فيتبعونه قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ

١- الأربعون حديثاً- الإمام الخميني - ص ٥٩٤.

٢- الميزان في التفسير القرآن - الطباطبائي ج ١، ص ٣٧.

٣- سورة سباء، ٢٠- ٢١.

سُلْطَنُ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ»^(١).

ومنشأ اتباعهم له ريب وشك في قلوبهم من الآخرة يظهر منهم بظهور اثره الذي هو الاتباع لابلis ان يتسلط عليهم من طريق اختيارهم^(٢).
أذن ينبغي لنا أن لا يكون هناك شك أو ريب في نفوسنا تجاه الآخرة حتى نكون من اتباع الشيطان و يتسلط علينا ونحقق ونصدق لأبلis ما قاله ظناً منه (لاغوينهم ولأضلنهم).

٥) ينبغي عدم اتباع الشيطان في خطواته:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٤)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٥)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾^(٦).

١ - سورة الحجر، ٤٢.

٢ - الميزان في التفسير القرآن - الطباطبائي ج ١٦، ص ٣٦٦.

٣ - سورة البقرة، الآية ١٦٨ - ١٦٩.

٤ - سورة البقرة، الآية ٢٠٨.

٥ - سورة الانعام، الآية ١٤٢.

٦ - سورة النور، ٢١.

اتباع خطوات الشيطان هو ان يضع الإنسان قدمه موضع قدم الشيطان فينطبق في مشيته فيكون متبعاً مما يؤدّي به بأن يعبد الإنسان بطريقة لم يأذن بها الله عزوجل له، أي يحدث له تشريعاً جديداً خاصاً به، وقد يكون الدافع خشية الله فيدخل الشيطان من خلال العناوين العبادية كزيادة التهجد أو الاحتياط في النجاسات والطهارات والالتزام حتّى يرهقه ويخرجه من عقيدته، وقد عالجهما الشارع المقدس كما جرى الحديث في الباب الثالث (...وعن إيمانهم) من الأبواب التي يلجها الشيطان على بني آدم.

٦) ينبغي الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(١)
 وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَخَضُّرُونَ﴾^(٢)
 وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(٥).

١- سورة آل عمران، ٣٦.

٢- سورة المؤمنون، ٩٧-٩٨.

٣- سورة الاعراف، ٢٠٠.

٤- سورة الفلق، الآية ١.

٥- سورة الناس، الآية ١.

الاستعاذة طلب المعاذ، والعوذ: هو الاعتصام والتحرز من الشر بالالتجاء إلى من يدفعه وهو الله عز وجل ويحتاج هذا الاعتصام مطلبين:
أولاً: الفورية وعدم التباطؤ والارتقاء والانبساط.

ثانياً: ترتيب الاثر الفعلي على الاستعاذة كطلب التوبة والتحرز بالله عز وجل من أن يصدونه عن تلاوة القرآن وعن الصلاة وعن فعل الخيرات، وعن الشرود الذهني وكثرة الشكوك والشبهة والسحر، وممن يدور في فلك الشيطان من الجن والانس والنساء والساحرات اللاتي ينفثن في العقد وكل ممن له تأثير عليهم ويكون أمراً عليهم ومتسلطاً على ارادته كالحاسدين، وكذلك من شر الوسواس الخناس من الجن أو الشيطان نفسه الذي يوقع الوسوسة في صدور الناس، وأن تكون الاستعاذة من جند ابليس اجمعين سواء كانوا من الجن أم من الانس. فعن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال، قال: رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن إلا ولقلبه في صدره اذنان إذن ينفث فيها الملك وإذن ينفث فيها الوسواس الخناس فيؤيد الله الملك وهو قوله سبحانه: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾» (١)(٢).

٧) الايمان بالله واليوم الآخر وعدم الرياء

بمقدار ما يكون الإنسان مؤمناً بالله واليوم الآخر فإنه يتجنب الشيطان باعتبار ان الايمان درجات كذلك تأثير الشيطان مراحل ورتب ودرجات قال

١ - المجادلة، ٢٢.

٢ - مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي م ٥، ج ١٠، ص ٨٧٠.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَفَقُّونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ (١).

تقدم الحديث عن الرياء ومخاطره في الباب الثالث من ابواب ولوج الشيطان (... وعن أيمانهم) وهنا قد اقترن الرياء بعدم الإيمان بالله وباليوم الآخر والذي يفقد الإيمان معناه أصبح طُعْمَةً للشيطان إذن ينبغي لنا ان نتحرى كيف نؤمن بالله وباليوم الآخر ايماناً صادقاً صحيحاً صافياً واضحاً لا تشوبه الشكوك والاهواء والجهل والغش، أن نعود إلى دراسة عقيدتنا حتّى نصل إلى عمق الدقة وصحة وسلامة الطريق فالامر مهم وخطير ومن اراد التخلص من العذاب المقيم واراد الانتقال إلى خلود الجنان وإلى الروح والريحان والنعيم ومن ارد ان ينتقل من ذل المعصية إلى عزّ الطاعة فعليه الجد والمثابرة لأنه شيء اساسي ومهم جداً ولم يك يوماً أمراً هامشياً قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿كَمَلِ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤).

١ - سورة النساء، الآية ٣٨.

٢ - سورة الاعراف، الآية ٢٧.

٣ - النحل، ٩٩.

٤ - الحشر، الآية ١٦.

لا خيار لنا في الاختبار، إلا أن نلج الدنيا أن نمر بمراحل حياتنا العاجلة فيها ولما كان الامر كذلك إذن ينبغي للعاقل أن يعيد حساباته من جديد وان يعطي الفرصة لنفسه بالتساؤلات كيف؟ ولماذا؟ وإلى أين؟

٨) هجران ما يريده الشيطان من اعمال:

ينبغي أن نهجر ما يريده الشيطان عن طريق الوسوسة والالقاء والنزغ واصدار الاوامر والتسلط والتولي له قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

من أساليبه الخبيثة التي يلج من خلالها هي الخمر والقمار والاصنام والسهام والاستقسام بالازلام كلها من ارجاسه وسبله، إذن الخمرة مفتاح كل شروباب كل جريمة يرتكبها شاربها ولايعي ما يفعل، والقمار يورث النزاع بين اقرب الناس والصراع والحقد والكراهية وقد يؤدي باصحابها إلى الاقتتال كما جرى كثيراً وكذلك تعطيل الطاقات وشل العقول من خلال الجهل والخرافة التي تكمن في الازلام وفي عبادة الاوثان والانقياد اليها بدلاً من الطاعة للواحد القهار. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ أَلْعَدُوَّةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾^(٢).

نسب المولى تعالى هذه الارجاس إلى الشيطان وعمله ولم يشرك له أحداً

١ - سورة المائدة، ٩٠.

٢ - سورة المائدة، ٩١.

وذلك بان الله تعالى قد عرف الشيطان بأنه عدو للإنسان لا يحبه ولا يريد له الخير
البتة قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (١)
وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ
السَّعِيرِ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ (٣)
فأثبت عليه لعنته وطرده عن كل خير (٤).

٩) ذكر الله سبحانه وعدم نسيانه:

ينبغي للمؤمن لما اراد طرد الشيطان من ساحته ان يرقب الله في كل شيء،
أن يكون الله عزوجل حاضراً عنده في كل حركة وسكون، في كل قول وعمل،
لأنه مامن سلوك للإنسان إلا وفيه حكم شرعى لا يعدو إلا أن يكون أحد خمسة
امور: واجب، وحرام، ومكروه، ومندوب، ومباح، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا
احصاها، والذكر على اللسان دائماً وان كان من الذكر (سبحان الله والحمد لله ولا
اله إلا الله والله اكبر) ولكن جعل الباري حاضراً وهو كذلك في المعتقد، هو الاله.
قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ
مُبْصِرُونَ﴾ (٥).

١- سورة يوسف، ٥.

٢- سورة الحج، ٤.

٣- سورة النساء، ١١٧.

٤- الميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي ج ٦، ص ١١٨ - ١٢٠.

٥- سورة الأعراف، ٢٠١.

وقال تعالى: ﴿فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنَسْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾^(٢)

وقال تعالى: ﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ

الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ *

وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ

بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾^(٤)

ولقد حث القرآن الكريم كثيراً على ذكر الله في كل حال، في العشرات من

الآيات المباركة وطلب من ابن آدم ان يرقب الله عزوجل في كل شئ وأن يكون

لهجاً باسمه العظيم ليل نهار في السلم و في الحرب عند الفاقة و عند الرخاء في

المرض و في الصحة في السفر و في الحضر عند الصبا و في الشيخوخة رجلاً كان

ابن آدم او امرأة عند الهموم والغموم او عند انجلاتها وانكشافها قال تعالى: ﴿لَقَدْ

كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا﴾^(٥)

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ

فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ

١ - سورة يوسف، ٤٢ .

٢ - سورة الكهف، ٦٣ .

٣ - المجادلة، ١٩ .

٤ - سورة الزخرف، ٣٥ - ٣٧ .

٥ - سورة الأحزاب، الآية ٢١ .

يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

وقال تعالى: واصفًا المنافقين بأنهم لا يذكرونه إلا قليلاً: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً...﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿... وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ (٤).

وقال تعالى: مخاطباً عباده: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (٥).

إلى غيرها من ذكرا الله او عند عطائه ونعمه قال تعالى: ﴿... فَاذْكُرُوا ءَالَءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿... فَاذْكُرُوا ءَالَءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ﴾ (٧).

وقال تعالى: ﴿... وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ...﴾ (٨).

وقال عند التقاء العدو والجهاد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا

١- آل عمران، الآية ١٣٥.

٢- سورة النساء، الآية ١٤٢.

٣- سورة الاعراف، الآية ٢٠٥.

٤- سورة الكهف، الآية ٢٤.

٥- سورة البقرة، الآية ١٥٢.

٦- سورة الاعراف، ٦٩.

٧- سورة الاعراف، ٧٤.

٨- سورة الاعراف، الآية ٨٦.

وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»^(١)

وترى المؤمنين تخشع قلوبهم وتوجل عند ذكر الله قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...»^(٢).

وقال عن المساجد: «فِي بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ...»^(٣).

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من ذكر الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب الله له الف حسنة وغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر»^(٤) وقال الصادق عليه السلام: «الذاكر لله عز وجل في الغافلين كالمقاتل في المحاربين»^(٥) ونقل عن الإمام الصادق عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من اراد أن يكون يوم القيامة كيلة تاماً من الثواب فليتلوا هذه الآيات المباركة «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» في دبر كل صلاة^(٦).

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: مكتوب في التوراة التي لم تغير أن موسى عليه السلام سأل ربه فقال: يا رب اقرب انت مني فأناجيك أم بعيد فأناذك؟ فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى انا جليس من ذكرني، فقال موسى:

١ - سورة الانفال، الآية ٤٥.

٢ - سورة الانفال، الآية ٢.

٣ - سورة النور، الآية ٣٦.

٤ - الأربعون حديثاً - الإمام الخميني - ص ٢٧٢ عن كتاب عدة الداعي للشيخ ابن فهد الحلبي.

٥ - الأربعون حديثاً - الإمام الخميني - ص ٢٧٢، عن اصول الكافي، كتاب الدعاء، باب ذكر الله عز وجل في الغافلين، ج ١.

٦ - الأربعون حديثاً - الإمام الخميني - ص ٢٧٧ عن اصول الكافي، المجلد الثاني، كتاب الدعاء، باب من يجب من ذكر الله عز وجل في كل مجلس ج. ٣.

فمن في سترك يوم لا ستر إلا سترك. فقال: الذين يذكرونني فاذكركم ويتحابون فيّ فاحبهم فاولئك الذين اذ أردت ان اصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم.

وعن أبي فضال عن الصادق عليه السلام أنه قال: (قال الله عز وجل لعيسى عليه السلام: يا عيسى اذكرني في نفسك اذكرك في نفسي، واذكرني في ملاك اذكرك في ملاخير من ملا الآدميين، يا عيسى ألن لي قلبك و اكثر ذكرى في الخلوات وأعلم أن سروري أن تبصص اليّ وكن في ذلك حيّاً ولا تكن ميتاً)^(١) إذن في ذكر الله حياة للقلوب وهداية على الطريق وابتعاد عن الشيطان وابعاد للشيطان بشرطي القول والعمل، وإلا فالتمني وحده لا يعالج سقيماً ولا يشبع جائعاً ولا يسقي أو يروي عطشاً.

١٠ التوكل على الله:

والتوكل على الله عز وجل من أهم العوامل التي تبعد الشيطان عن ساحة الإنسان المؤمن قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿... وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

١ - الأربعون حديثاً - الإمام الخميني - ص ٢٧٧، عن اصول الكافي - المجلد الثاني - كتاب الدعاء في السراج، ج ٣.
٢ - سورة النحل، ٩٩ - ١٠٠.

الْمُؤْمِنُونَ»^(١).

والتوكل: كِلَّةُ الامر إلى مالكة والتسويل على وكالته^(٢) ويقول بعض اصحاب العرفان (التوكل: طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية)^(٣).

لقد تحدثت العشرات من الآيات المباركة في القرآن الكريم عن التوكل والانقطاع إلى الله عز وجل والاعتماد عليه والرجوع إليه في كل الامور، فهو الذي يدل على الطريق القويم الذي يعصم عن الضلالة وعن الفتنة ومنه تستمد القوة في الثبات وفي ردع المعتدي وفيه تنجلي الكرب وإليه الحكم وهو صاحب السلطان. قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤)

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ...﴾^(٥)

وقال تعالى: ﴿...وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٦)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٧)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(٨)

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا

١ - المجادلة، ١٠.

٢ - الأربعون حديثاً - الإمام الخميني - ص ٢٠٧ عن منازل السائرين - التوكل.

٣ - الأربعون حديثاً - الإمام الخميني - ص ٢٠٧.

٤ - المائدة، ٢٣.

٥ - سورة الفرقان، ٥٨.

٦ - سورة التوبة، ٥١.

٧ - سورة الطلاق، ٢.

٨ - سورة يوسف، ٦٧.

ءَاذِئْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١﴾

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٢).

وقد ورد عن علي بن سويد عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ فقال (التوكل على الله درجات منها ان تتوكل على الله في امورك كلها فما فعل بك كنت عنه راضياً تعلم أنه لا يألوك خيراً وفضلاً و تعلم أن الحكم في ذلك له فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها) (٣) وان مقام (الرضا) غير مقام (التوكل) حيث أنه أسمى وأرفع وذلك لأن التوكل يطلب الخير والصالح لنفسه، فيوكل الحق تعالى، بصفته فاعل الخير، للحصول على الخير والصالح، أما الشخص (الراضي) فيكون قد أفنى إرادته في إرادة الله، فلا يختار لنفسه شيئاً.

والتوكل لا يكون إلا بعد وقوع سبب يستوجبه، أي عند وجود امر يتوكل فيه العبد على الله، مثل توكل النبي صلى الله عليه وآله واصحابه على الله في أن يحفظهم من المشركين، حينما قيل لهم ﴿... إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (٤).

وأما (التفويض) فيعد الطف إشارة واوسع معنى من التوكل ومثاله ماورد

١ - سورة إبراهيم، ١٢.

٢ - سورة الأحزاب، ٤٨.

٣ - الأربعون حديثاً - الإمام الخميني - ص ٢٠٦ عن اصول الكافي المجلد الثاني - كتاب الإيمان والكفر، باب التفويض إلى الله والتوكل عليه ج ٥.

٤ - سورة آل عمران، ١٧٣.

في الدعاء المروي عن النبي ﷺ: (اللهم اني اسلمت نفسي إليك، والجات ظهري إليك، وفوضت امرى إليك) وأعلى الرتب هي (الثقة) حيث أنها سواد عين التوكل، ونقطة دائرة التفويض وسويداء قلب التسليم^(١). لما نظر الحسين يوم عاشوراء إلى جمعهم كأنه السيل، رفع يديه بالدعاء وقال: اللهم انت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة، أنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو انزلته بك وشكوته إليك، رغبة مني إليك، عمن سواك فكشفته وفرجته فأنت ولي كل نعمة ومنتهى كل رغبة^(٢).

والتوكل يضيفي قوة هائلة للمؤمن بوجه عدوه قال تعالى: على لسان نوح عليه السلام متحدياً قومه من بعد التذكير: ﴿وَأَنزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِنَايَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾^(٣). وجاء التوكل على لسان موسى عليه السلام وعلى لسان قومه قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ۖ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

١ - الأربعون حديثاً - الإمام الخميني - ص ٢١٢.

٢ - مقتل سيد الشهداء يوم عاشوراء - محمود الشريفي ص ٧.

٣ - سورة يونس، ٧١.

٤ - سورة يونس، ٨٤ و ٨٥.

(١١) الاقتصاد وعدم البخل أو الاسراف والتبذير:

قال تعالى: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^(١).

قال في المجمع^(٢): التبذير التفريق بالاسراف واصله ان يفرق كما يفرق البذر إلا أنه يختص بما يكون على سبيل الافساد، وما كان على وجه الإصلاح لا يسمى تبذيراً وإن كثر، وبعبارة أخرى: الاتفاق في ما أجازة أو ما أوجبه الشارع المقدس لا يعد إسرافاً وإن كثر وبلغ ما بلغ ويعد الإتفاق اسرافاً إذا كان بما لا يجيزه الشارع المقدس وإن كان قليلاً وقليلاً. وقوله: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ تعليل للنهي عن التبذير، والمعنى لا تبذر إنك إن تبذر كنت من المبذرين والمبذرون إخوان الشياطين، وكأن وجه المواخاة بينهم أن الواحد منهم يصير ملازماً لشيطانه وبالعكس كالاخوين الذين هما شقيقان متلازمان في اصلهما كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾^(٤) أي احشروا الذين ظلموا وقرنائهم وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٥) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا

١ - سورة الاسراء، ٢٦ - ٢٧.

٢ - مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي - ج ٦، ص ٦٣٣.

٣ - سورة فصلت، ٢٥.

٤ - سورة الصافات، ٢٢.

يُفَصِّرُونَ»^(١).

أي ان الذين اتقوا الله باجتنباب معاصيه إذا وسوس إليهم الشيطان واغراهم تذكروا ما عليهم من العقاب فيجتنبون تلك المعاصي، وإخوان المشركين من الشياطين يمدونهم في غيِّهم ويعينونهم ثم لا يكفون عن مدهم وإعانتهم، ولا ينتهون عن غيهم ومن هنا يظهر تفسير من فسّر الآية بأنهم قرناء الشيطان أحسن من قول من قال المعنى أنهم اتباع الشياطين سالكون سبيلهم، وقوله: «وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا» فالمراد بالشيطان فيه هو (ابليس) الذي هو أبو الشياطين وهم ذريته وقبيله واللام حينئذٍ للعهد الذهني ويمكن أن يكون اللام للجنس والمراد به جنس الشيطان وعلى أي حال كونه كفوراً لربه من جهة كفرانه بنعم الله حيث أنه يصرف ما آتاه من قوة وقدرة واستطاعة في سبيل إغواء الناس وحملهم على المعصية ودعوتهم إلى الخطيئة وكفران النعمة، وقد ظهرت ما تقدم النكتة أي (الغاية من الحديث) في جمع الشيطان أولاً وافراده ثانياً فإن الاعتبار أولاً بأن كل مبذر أخو شيطانه الخاص فالجميع إخوان الشياطين والاعتبار ثانياً بابليس الذي هو ابو الشياطين أو بجنس الشيطان^(٢).

وقال تعالى: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّخْسُورًا»^(٣).

جعل اليد المغلولة إلى العنق كناية عن الامساك كمن لا يعطي ولا يهب شيئاً

١ - سورة الأعراف، ٢٠١-٢٠٢.

٢ - الميزان - الطباطبائي - ج ١٣، ص ٨١ و ٨٢.

٣ - سورة الاسراء، ٢٩.

لبخله وشح نفسه، وبسط اليد كل البسط كناية عن انفاق الإنسان كل ما في وجده بحيث لا يُبقي شيئاً كمن يبسط يده كل البسط بحيث لا يستقر عليها شيء ففي الكلام نهى بالغ عن التفريط والافراط في الانفاق. وقوله: ﴿فَتَقَعْدَ مَلُومًا مَّخْسُورًا﴾ متفرع على قوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ الخ.. والحسر هو الانقطاع أو العرى أي ولا تبسط يدك كل البسط حتى يعقب ذلك أن تقعد ملوماً نفسك وغيرك منقطعاً عن واجبات المعاش أو عرياناً لا تقدر على أن تظهر للناس وتعاشرهم وتراودهم. وقيل أن قوله: ﴿فَتَقَعْدَ مَلُومًا مَّخْسُورًا﴾ متفرع على الجملتين لا على الجملة الأخيرة والمعنى إن امسكت قعدت ملوماً مذموماً وإن أسرفت بقيت متحسراً مغموماً. وفيه أن كون قوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ ظاهراً في النهي عن التبذير والاسراف غير معلوم وكذا كون انفاق جميع المال في سبيل الله اسرافاً وتبذيراً غير ظاهر وإن كان منهياً عنه بهذه الآية كيف ومن المأخوذ في مفهوم التبذير أن يكون على وجه الافساد، ووضع المال ولو كان كثيراً أو جميعه في سبيل الله وإنفاقه على من يستحقه ليس بافساد له، ولا وجه للتحسر والغم على ما لم يفسد ولا أفسد^(١).

ولا يفوتنا ان نقول بأن البخل شيء مذموم أو قبيح فقد ورد عن النبي ﷺ أنه تعوذ بالله منه فقد قال ﷺ «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، أعوذ بك من الجبن، والبخل، وأعوذ بك من هم الدين وغلبة الرجال» فالبخل جبن، والبخل شجاع الوجه - لأكرامة له - جبان القلب بعكس

الكريم. وقد ذم القرآن الكريم كثيراً البخل قال تعالى: ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ مِيرِثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٦).

وقال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام أوصني فقال عليه السلام: لا تُحدث نفسك بفقر ولا طول عمر.

١ - سورة محمد، الآية ٣٨.

٢ - سورة الليل، ٨ - ١٠.

٣ - سورة الاسراء، ١٠٠.

٤ - سورة آل عمران، ١٨٠.

٥ - سورة النساء، ٣٧.

٦ - سورة الحديد، ٢٤.

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۖ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۖ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ
وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (١).

عباد الرحمن الذين تقدمت مزاياهم وسجاياهم وصفاتهم مدحهم القرآن
بكونهم ﴿.. وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ أي كان
إنفاقهم وسطاً وعدلاً بين ما ذكر من الاسراف والقتل، ومن الافراط والتفريط.

حيث ان الانفاق هو بذل المال وصرفه في رفع حوائج نفسه أو غيره،
والاسراف هو الخروج عن الحد ولا يكون إلا في جانب الزيادة وهو في الانفاق
التعدي عما ينبغي الوقوف عليه في بذل المال، والقتل - بالفتح والسكون - التقليل
في الانفاق وهو بازاء الاسراف على ما ذكره الراغب، القتل والاقتار والتقتير،
بمعنى واحد، والقوام - بالفتح - الوسط العدل، وبالكسر أي - القوام - ما يقوم به
الشيء وقوله: (بين ذلك) متعلق بالقوام والمعنى - كما ذكر كان انفاقهم وسطاً عدلاً
بين ما ذكر من الاسراف والقتل، فقوله ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ تنصيص على
ما استفاد من قوله: ﴿إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ فصدر
الآية ينفي طرفي الافراط والتفريط وذيّلها بثبت الوسط (٢).

١ - سورة الفرقان، ٦٣ - ٦٧.

٢ - الميزان في التفسير القرآن - الطباطبائي ج ١٥، ص ٢٤٠.

١٢) الوقوف بوجه مراحل التأثير الشيطاني

جرى الحديث في الفصل الثالث (مراحل التأثير الشيطاني على النفس الإنسانية) ويُعدُّ هذا الفصل من أهم الفصول الأساسية التي جاءت في هذا البحث او الكتاب ابتداءً من مراحل الوسوسة وانتهاءً بالمرحلة السادسة مرحلة ولاية الشيطان، فلا يفوتنا أننا بعد أن طلعنا على مراحل و طرق تأثيره ان نأخذ الحذر منه من بعد أن نعرف أو نكشف أنفسنا أننا بأيّة مرحلة، فليس عيباً أننا نجد أنفسنا مُخطئين و لكن العيب أن لا نكتشف أنفسنا أننا في أية جهة أو أي باب وصلنا من الانحراف والمعصية أو ربما عرفنا أننا مثلاً في المرحلة الثالثة أو الرابعة من تلك المراحل الحساسة والقاسية ولكننا لانغيرُ أيّة أهمية لذلك ونترك الامر دون علاج مما يؤدي بنا بالتالي إلى استفحال واستشراء وانتشار مرضه الويل مما يؤدي بنا إلى صعوبة العلاج إن لم تكن استحالته، أما إذا أخذنا الأمر مأخذ الجد و توجهنا إلى الله عز وجل مخلصين بأنْ يُنقذنا مما نحن فيه فإن الله قريب مجيب دعوة الداعي إذا دعاهُ قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(١).

إذن لاقية للإنسان بدون دعائه، فوجوده وعدمه عنده سواء واساس خلقه هو الانقياد والتسليم.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾^(٢).

١ - سورة الفرقان، ٧٧.

٢ - سورة غافر، ٦٠.

وقال تعالى: ﴿... وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا...﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٣).

ولنتعوذ بالله من همزات الشياطين فإنه منقذنا ومنجينا من ذلك العدو والبلاء السافر المبين، وان ذلك لا جدوى منه إذا لم يتحول إلى سلوك واقعي بعد أن يكون قناعة تامة.

وفي الختام، فكما بدأناه بدعاء نختمه بدعاء لدفع إبليس (لعنه الله) عنا:
«اللهم إن إبليس عبداً من عبيدك يرانى من حيث لا أراه وأنت تراه من حيث لا يراك وأنت أقوى على أمره كله وهو لا يقوى على شيء من أمرك اللهم فأنا استعين بك عليه، يارب فإني لا طاقة لي به. ولا حول ولا قوة إلا بك يارب، اللهم إن أرادني فأرده وإن كادني فكده، وأكفني شره واجعل كيده في نحره. برحمتك يا ارحم الراحمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين» (٤).

١- سورة الأعراف، ٥٦.

٢- سورة الأعراف، ١٨٠.

٣- سورة البقرة، ١٨٦.

٤- الباقيات الصالحات - الشيخ عباس القمي ص ١٥١-١٥٢، نقلاً عن كتاب المجتبى للسيد ابن طاووس (رحمه الله).

الهي أنت الذي ملأت قلوب الأولياء بنور المحبة وأخرست ألسنة عشاق
الجمال من التحدث عن أنفسهم والآخرين، وأبعدت أيادي الأثانيين المنحطين
عن أذيال كبريائك. الهي ايقظنا من سكر غرور الدنيا، من النوم العميق الذي غمرنا
من جراء الانغماس في عالم المادة والطبيعة، ومزّق باشارة واحدة الحجب
الغليظة والستائر السمكة من الاعجاب والذاتية، وخذنا إلى مجلس الطاهرين
لدى ساحتك، و محفل المخلصين المقدسين، وأبعد عنا شراسة الطبيعة، وسوء
الخلق، وغلظ اللسان والنفاق والانحراف، وأقرن حركاتنا وسكناتنا وافعالنا
وأعمالنا وأولنا وآخرنا وباطننا بالاخلاص والصفاء.

الهي إن نعمك قد ابتدأت علينا (لا يشترط عطاء الحق بقابلية المعطى له)
وعطاياك غير متناهية و باب رحمتك مشرعة ومائدة نعمك اللامتناهية مبسوبة،
هب لنا حالاً مضطرباً وقلباً ملتهباً وعيناً تذرّف الدموع، ورأساً لا يعرف القرار
وصدراً ينفث بالهموم والآلام واختتم حياتنا بالاخلاص إليك والحب إلى خواص
ساحتك وهم مقدمة كتاب الوجود وخاتمة نظام الغيب والشهود محمد وأهل بيته
الطاهرين صلوات عليه وعليهم اجمعين.

دعاء

اللهم انا نعوذ بك من نزغات الشيطان الرجيم وكيدِه ومكائده، ومن الشقة بأمانيه و مواعيده و غروره ومصائده وأن يطمع نفسه في اضلالنا عن طاعتك وامتهاننا بمعصيتك أو أن يحسن عندنا ما حسن لنا. أو أن يثقل علينا ما كرهه الينا. اللهم اخسأه عَنَّا بعبادتك. واكتبه بدؤوبنا في محبتك واجعل بيننا وبينه سترأ لا يهتكه، وردماً مصمتاً لا يفتقه

اللهم صل على محمد وآله. واشغله عَنَّا ببعض أعدائك، واعصمنا منه بحسن رعايتك واكفنا ختره، وولنا ظهره، واقطع عَنَّا أثره.

اللهم صل على محمد وآله، وأمتعنا من الهدى بمثل ضلالته، وزودنا من التقوى ضد غوايته واسلك بنا من التقى خلاف سبيله من الردى، اللهم لاتجعل له في قلوبنا مدخلاً، ولا توطنن له فيما لدينا منزلاً.

اللهم وما سؤل لنا من باطل فعرفناه، واذا عرفناه فقناه، وبصّرنا ما نكايده به. والهمنا ما نُعده له، وايقظنا عن سنّة الغفلة بالركون إليه. وأحسن بتوفيقك عوننا عليه.

اللهم صلّ على محمد وآله، وحول سلطانه عَنَّا واقطع رجاءه منا، وادراه عن الولوع بنا.

اللهم صلّ على محمد وآله، واجعل آباءنا وامهاتنا واولادنا وأهلينا وذوى

أرحامنا وقرباتنا و جيراننا من المؤمنين والمؤمنات... منه في حرز حارز
وحصن حافظ وكهف مانع وألبسهم منه جُنتاً واقية، وأعظمهم عليه أسلحة ماضية.
اللهم وأعمم بذلك من شهد لك بالربوبية وأخلص لك بالوحدانية وعاداه لك
بحقيقة العبودية، واستظهر بك عليه في معرفة العلوم الربانية.

الله احلل ما عقد وافتق ما رتق، وافسخ ما دبّر وثبّطه إذا عزم، وانقض ما
أبرم.

اللهم واهزم جُنده، وأبطل كيده، واهدم كهفه، وأرغم أنفه.
اللهم اجعلنا في نظم اعدائه، واعزلنا عن عداد اولائه لانطيع له إذا استهوانا،
ولا نستجيب له إذا دعانا، نأمرُ بمنائاته من أطاع أمرنا، ونَعِظُ عن متابعتة من اتبع
زجرنا.

اللهم صلّ على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أهل بيته الطيبين
الطاهرين، وأعذنا وأهلينا وإخواننا وجميع المؤمنين والمؤمنات ممّا استعذنا منه
وأجرنا ممّا استجرنا بك من خوفه. واسمع لنا ما دعونا به وأعطنا ما أغفلناه،
واحفظ لنا ما نسيناه، وصيّرنا بذلك في درجات الصالحين ومراتب المؤمنين آمين
ربّ العالمين^(١).

اللهم إنك تعلم ضعفنا ومسكنتنا وتعلم إنّنا لانستطيع الهرب من هذا العدو
القوي القدير الذي قد طمع في السلطة على الانبياء العظام والكُمل من الاولياء
الرفيعي المقام. فإن فقدنا بارقة لطفك ورحمتك أوقعنا هذا العدو القوي في

١ - الصحيفة السجادية الكاملة - بتحقيق وتنسيق علي أنصاريان / المستشارية الثقافية
لجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة - دمشق تسلسل ١٧ - ص ٧٣ - ٧٥.

مصارعنا إياه الى ارض الهلاك والدّمار وكُنّا تائبين في الظلمة والشقاوة.
 فأسألك بالخاصة في جنابك والمحارم في حضرتك أن تأخذ بأيدينا نحن
 المتحير في وادى الضلالة والحائرين في صحراء الغواية وأن تطهر قلوبنا من الغِل
 والغش والشرك والشك انك وليّ الهداية^(١).

الخاتمة

إنَّ هناك ضرورة لوجود الشيطان من ناحية النظام الكوني حيث توجد هناك دعويان: دعوة نحو الخير والصلاح وأُخرى دعوة إلى الشر والفساد، وعلى الإنسان أن يختار من بين السبيلين سبيل واحد، ليكون مصداق قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(١).

ومصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٢)، فإن لم تكن النفس الامارة ولم يكن الشيطان الذي يدعو إلى الشر والفساد، ولو لم يكن الاستعداد لفعل الشر والفساد في الإنسان لم يكن حينئذٍ للخير وجود لماذا؟ لأن الخير انما يكون خيراً إذا تمكن الإنسان منه ومن الشر بأن يختار أحد النجدين، وأما إذا انسد طريق الشر وبقي طريق الخير أي انه لو قال: (فألهمها تقواها) فقط فلا يكون ذلك التقوى هو التقوى المطلوب، لأنه إنَّما يكون كذلك إذا كان للإنسان ميل نحو الفجور في ذاته فيختار التقوى على الفجور وهكذا بالنسبة إلى الطاعة، فإنَّها إنَّما يكون لها معنى وتكون طاعة، إذا كان بإمكان الإنسان ان لا يطيع، واما إذا أُجبر عليها فليست حينئذٍ بطاعة، واذا لم تكن طاعة فلا معنى

١- سورة البلد، ١٠.

٢- سورة الانسان، ٣.

لمدح المطيع وذم العاصي ولا معنى للثواب والعقاب ولا تكليف ولا كل شيء^(١). هذا الكتاب او هذه الرسالة العلمية محاولة لفهم خطوات الشيطان و معرفة الشيطان من هو؟ ما دوره؟ ولماذا خلقه الله سبحانه وتعالى؟ وسلطه على الإنسان ما هي خطواته كيف يخطو مع الإنسان؟ كيف يضلّه ويرديه؟ ماذا قال القرآن عنه؟ ماذا قال رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام، ماذا ورد عنه في نهج البلاغة وفي الصحيفة السجادية وهكذا.. مذكره العلماء..

تاركاً الخوض في غمار هذا البحث للعلماء والأساتذة الأكفاء ليملأوا الفراغ الواضح في المكتبة الإسلامية لانه يهم الجميع ويستهدف الكل سيما أرباب الاختصاص ومن يضيئون الدرب للآخرين، فإن كان فيها خلل أو نقص فمن عندي، وان كان هناك صواب وسداد فمن عند الله سبحانه وتعالى و توفيقه والحمد لله وحده.

سيد سعيد الأعرجي

مصادر الكتاب

- ١- القرآن الكريم
- ٢- اخلاق أهل البيت - السيد مهدي الصدر - مؤسسة النعمان - بيروت - لبنان.
- ٣- الاداب المعنوية للصلاة - الإمام الخميني - روح الله - تعريب السيد احمد الفهري ط ١ - دمشق - دار طلاس ١٩٨٤.
- ٤- الاربعون حديثاً - الإمام الخميني - تعريب محمد الفروي - مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم - ايران.
- ٥ - الإسلام يقود الحياة - خلافة الإنسان وشهادة الانبياء - محمد باقر الصدر - دار التعارف - بيروت.
- ٦- أصول الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - تحقيق اكبر الغفاري - ط ٣، طهران، دار الكتب الإسلامية ١٣٨٨ هـ.ق.
- ٧ - اغائة اللهفان من مصائد الشيطان - ابن القيم الجوزية - ط ١ القاهرة تحقيق محمد عبدالقادر عطا - ١٤١٨ هـ.ق. ١٩٩٨ م.

- ٨ - إقبال الاعمال - رضي الدين ابن طاووس - تحقيق جواد قيومي
الاصفهاني - قم - مركز النشر لمكتب الاعلام الإسلامي ١٤١٤ هـ.ق.
- ٩ - الأماالي - محمد بن علي بن الحسين الصدوق (أماالي الصدوق) ط ٥ -
بيروت، مكتبة الهدى، ١٣٨٧ هـ.ق.
- ١٠ - الامثل في تفسير كتاب الله المنزل - ناصر مكارم شيرازي - ط ١ دار
احياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ١١ - اوائل المقالات ومذهب المختارات - محمد بن محمد بن النعمان
(الشيخ المفيد) تعليق فضل الله الزنجاني ط المؤتمر لألفية الشيخ المفيد ١٤٢٣ هـ.
ق.
- ١٢ - الباقيات الصالحات - الشيخ عباس القمي - دار الاضواء - بيروت -
لبنان.
- ١٣ - بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار - محمد باقر تقي
المجلسي - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.
- ١٤ - تاريخ الملوك والامم - محمد بن جرير الطبري - القاهرة - المكتبة
التجارية الكبرى - ١٣٥٨ هـ.ق.
- ١٥ - تحرير التنوير المعروف (بتفسير ابن عاشور) - محمد الطاهر ابن
عاشور - ط ١ مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - لبنان.
- ١٦ - تحف العقول عن آل الرسول - ابو محمد الحسن بن علي بن الحسين
ابن شعبة الحرّاني من اعلام القرن الرابع - مؤسسة الاعلمي - بيروت.
- ١٧ - تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة - محمد بن الحسن

- الحر العالمي - ت ١١٠٤ هـ - تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لاهياء التراث - قم.
- ١٨ - التعري الشيطاني - عدنان الطرشة - مكتبة العبيكان - مكتبة الملك فهد - الرياض السعودية.
- ١٩ - التفسير الحديث - ترتيب السور حسب النزول - محمد عزّة دروزة - ط ٢ - دار الغرب الإسلامي - دار احياء الكتب العربية - الحلبي - القاهرة.
- ٢٠ - التفسير الكبير - الفخر الرازي - دار احياء التراث العربي الطبعة الرابعة - ١٤٢٢ هـ - بيروت - لبنان.
- ٢١ - تفسير القرآن الكريم - محمد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازي - الملقب ب - (صدر المتألهين) - ط ٢ - دار التعارف - بيروت - لبنان.
- ٢٢ - تفسير القمي - علي بن ابراهيم القمي - مكتبة الهدى - النجف الاشرف - ١٣٨٧ هـ.
- ٢٣ - تفسير نورالثقلين - عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي - ط ٤ - قم - مؤسسة اسماعيليان - ١٤١٥ هـ ق.
- ٢٤ - تليس ابليس - جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي البغدادي - الطبعة الاولى - دار المعرفة بيروت - لبنان.
- ٢٥ - التوحيد - مرتضى مطهري - دارالمحجة البيضاء - ترجمة ابراهيم الخزرجي ط ١ - بيروت - لبنان.
- ٢٦ - ثواب الاعمال وعقاب الاعمال - أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق طهران - مكتبة الصدق - ١٣٩١ هـ ق.
- ٢٧ - جامع السعادات - محمد مهدي النراقي - الطبعة الثالثة - النجف

- الاشرف ١٣٨٣ هـ ق - مكتبة داوري - قم المقدسة.
- ٢٨ - الجامع الصغير - جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد محي
عبد الحميد - دار خدمات القرآن - القاهرة.
- ٢٩ - جذور الشر - ابراهيم محمد الجمل - دار الكتاب العربي - بيروت -
لبنان.
- ٣٠ - الحديقة الناصرية - محمد حسين الجزائري ناشر الإسلام - الطبعة
الثانية - مطبعة شاهين - مشهد ايران.
- ٣١ - الحياة - محمد رضا الحكيمي - ط ٣ - طهران ١٤٠١ هـ ق.
- ٣٢ - الخصال - محمد بن علي بن الحسين الصدوق - تصحيح علي اكبر
الفقاري - قم انتشارات جماعة المدرسين - ١٤٠٣ هـ ق.
- ٣٣ - الدرر المنثور في التفسير المأثور - عبدالرحمان جلال الدين
السيوطي - ١٤١٤ هـ دار الفكر - بيروت.
- ٣٤ - روح البيان في تفسير القرآن - اسماعيل حقي الحنفي الخلوتي
البروسي - ط ١ - دار الكتب العلمية ١٤٢٤ هـ بيروت.
- ٣٥ - زهر الربيع - نعمة الله الجزائري - مطبعة كيميا - قم - ايران.
- ٣٦ - سفر الآخرة محطاته المهولة - سكرات الموت - رضا علي حجازي
العالمي - دار الهادي - ط ١ - بيروت - لبنان.
- ٣٧ - سفينة البحار - الشيخ عباس القمي - ط ١ - دار الاسوة - ١٤١٤ هـ ق
- طهران.
- ٣٨ - سنن الدارمي - الحافظ عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي تحقيق

- فواز احمد زمزلي وخالد السبع العلمي ط ١ - دار الفكر - ١٤٠٧ هـ - بيروت.
- ٣٩ - سنن النسائي - احمد بن شعيب - شرح السيوطي - ط ١ - دار الفكر - ١٣٤٨ هـ - بيروت.
- ٤٠ - سيرة رسول الله ﷺ وأهل بيته - مؤسسة البلاغ - مؤسسة الهدى الدولية - طهران - ايران.
- ٤١ - شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء ﷺ - محمد طاهر آل شير الخاقاني - ط ١ - مطبعة سيد الشهداء - قم - ايران.
- ٤٢ - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد المعتزلي - ج ١ - دار الهدى الوطنية - بيروت - لبنان.
- ٤٣ - صحيح البخاري - أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري - دار المعرفة - بيروت.
- ٤٤ - صحيح مسلم - ابو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري - ط ١ - الرياض - بيت الافكار الدولية ١٤١٩ هـ - ق.
- ٤٥ - الصحيفة السجادية الكاملة - مع الدليل الموضوعي والمعجم اللغوي والفهارسي - تحقيق وتنسيق - علي انصاريان - دمشق.
- ٤٦ - صفوة التفاسير - محمد علي الصابوني - ادارة الشؤون الدينية ط ٢ - مطابع الدوحة الحديثة - قطر.
- ٤٧ - عوالي الآلي - ابن أبي جمهور الاحسائي - طبعة - دار سيد الشهداء - قم.
- ٤٨ - عيون اخبار الرضا ﷺ - أبي جعفر الصدوق - محمد بن علي بن

- الحسين بن بابويه القمي - ط ١ - مؤسسة الاعلمي - بيروت.
- ٤٩ - الفتاوي الواضحة - الشهيد محمد باقر الصدر - ط ٧ - دارالتعارف للمطبوعات - بيروت.
- ٥٠ - الفروع من الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - طهران - دارالكتب الإسلامية ١٣٩١ هـ.ق.
- ٥١ - في ظلال الصحيفة السجّادية - محمد جواد مغنية - دارالتعارف - ط ٢ - بيروت - لبنان.
- ٥٢ - في ظلال نهج البلاغة - محمد جواد مغنية - دارالعلم للملايين - الطبعة الثالثة ١٩٧٩.
- ٥٣ - في ظلال القرآن - سيد قطب - دارالشروق - القاهرة - الطبعة الشرعية التاسعة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
- ٥٤ - فيض القدير - محمد عبدالرؤوف المناوي - شرح الجامع الصغير - ط ٢ - دار الفكر ١٣٩١ هـ - بيروت.
- ٥٥ - القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني - ط ١ - محمد أركون - بيروت - دار الطليعة.
- ٥٦ - قصص الانبياء - الشيخ النجّار - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ٥٧ - لسان العرب - ابن منظور ٦٣٠ - ٧١١ هـ - مؤسسة التاريخ العربي - الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ - بيروت - لبنان.
- ٥٨ - المجتبى من الدعاء المجتبى - السيد علي ابن طاووس - تحقيق صفاء

- الدين البصري - مجمع البحوث الإسلامية ١٤١٣ هـ - ق - إيران.
- ٥٩ - مجمع البيان في تفسير القرآن - أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي - ط ١ - ١٤٠٦ هـ - دارالمعرفة - بيروت.
- ٦٠ - المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقي - تحقيق السيد مهدي الرجائي - ط ١ - المجمع العالمي لاهل البيت - قم ١٤١٣ هـ.
- ٦١ - المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء - محمد المرتضى المدعو بالمولي محسن الكاشاني ط ٢ - انتشارات جامعة المدرسين ١٣٨٣ هـ - قم.
- ٦٢ - مسائل الفردوس - شيرويه بن شهردار بن شيرويد الديلمي ومعه كتاب تسديد القوس للحافظ ابن حجر العسقلاني - بيروت - لبنان - دارالفكر ١٤١٨ هـ - ق - ١٩٨٩ م.
- ٦٣ - مصائب الإنسان من مكائد الشيطان - ابراهيم ابن أبي عبدالله محمد مفلح المقدسي الحنبلي صحيح عبدالله صديق - طبع في مصر - المكتبة التجارية الإسلامية.
- ٦٤ - مصاف بي پايان با شيطان - د. فتح الله نجار زادگان - مؤسسة بوستان - كتاب قم ايران.
- ٦٥ - مفاتيح الجنان - الشيخ عباس القمي - دارالاضواء - ط ١ - بيروت - لبنان.
- ٦٦ - معاني الاخبار - أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق - تحقيق علي اكبر غفاري - بيروت - دارالمعرفة ١٣٩٩ هـ - ق.
- ٦٧ - معجم مفردات الفاظ القرآن الكريم - الراغب الاصفهاني - طبعة

قم - إيران.

٦٨ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي -
الناشر - اسماعيليان - ١٣٩٧ هـ ق - طهران - إيران.

٦٩ - مفاتيح الغيب - محمد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازي الملقب ب -
(صدر المتألهين) مع تعليقات المولى علي النوري - ط ٣ - مؤسسة التاريخ العربي
- بيروت.

٧٠ - مقتل الإمام الحسين عليه السلام - عبد الزهراء الكعبي - مطبعة النعمان - النجف
الاشرف ١٣٧٩ هـ ق - ط ٤ - قم - إيران.

٧١ - من لا يحضره الفقيه - أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن
بابويه القمي - ط ٥ - قم - إيران.

٧٢ - منهاج الصالحين - ابو القاسم الخوئي - ط ٢٨ - نشر مدينة العلم - قم.
٧٣ - موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام محمود شريف - ط ١ -
دار المعروف - ١٤١٥ هـ ق - قم.

٧٤ - ميزان الحكمة - محمدي ري شهري - مركز النشر لمكتب الاعلام
الإسلامي ط ١ - قم ١٤٠٣ هـ ق.

٧٥ - الميزان في تفسير القرآن - محمد حسين الطباطبائي - اسماعيليان - ط
٥ - قم إيران.

٧٦ - الندوة رقم (٨) - محمد حسين فضل الله - دار الملاك - بيروت.

٧٧ - الندوة رقم (٩) - محمد حسن فضل الله - دار الملاك بيروت.

٧٨ - نهج البلاغة - د. صبحي الصالح - ط ١ - بيروت دار الكتاب اللبناني

١٣٨٧ هـ.ق.

٧٩ - نهج البلاغة - محمد عبد هـ - مؤسسة الاعلمي ط ١ - ١٤١٣ هـ ق -

بيروت لبنان.

٨٠ - وسوسة الشيطان الرجيم - سامي الخضرة ١٤٢٦ هـ - ط ٢ -

دارالهادي - بيروت لبنان.